



رواية لخيال عربي

موسم الحكايا

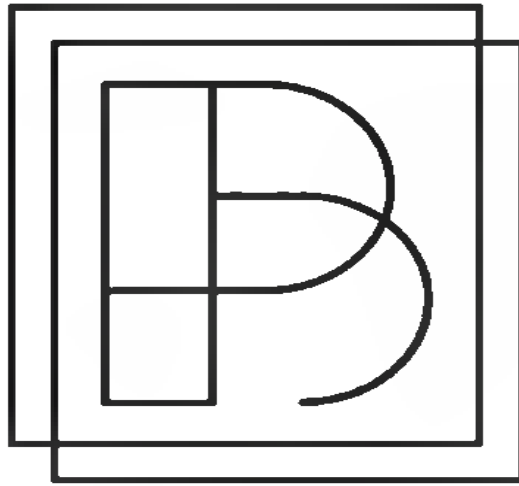
لخيال عربي

رواية



ردمك: 978-1-956510-91-1

جميع الحقوق محفوظة



بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

  booklandkw

 bookland.kw

 www.booklandkw.com

ليثيليا

رواية

محمد سلمان كامل

الطبعة الثالثة

2025

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شعيب.



كلمة لا بد منها.

أعتقد بأن كل حكاية هي انعكاس لتأثير آخر أو لمخيلة أخرى، الأمر ذاته ينطبق على هذه الحكاية التي خرجت من العدم بشكل مفاجئ. لم تكن هذه الرواية من ضمن مخططاتي الفعلية، لكنها وجدت طريقها إلى الظهور بشكل ما بعد أن عجزت طوال عام ونصف عن كتابة مسودة حقيقية، لأسباب عديدة ليست هامة بشكل حقيقي. لم أدرك حقاً بأن هذه القصة بدأت تستولي عليّ من دون أي تخطيط مسبق، لكنها خرجت في نهاية الأمر، وفرضت نفسها على مخيلتي وعلى أوراقي ببساطة.

ربما يبدأ الأمر عند نقطة واضحة، وهي ولعي بحكايات لافكرافت التي بدأت من عندها بقراءة أدب الرعب بشكل فعلي. تلك الحكايات القصيرة والغريبة كانت تترك دائماً بداخلي أسئلة واضحة: ما هي قيمة المرء تجاه نفسه؟، وأين هو من كل هذا الكون؟ عند أي نقطة نحن نقف؟. أعرف أنّ هذه التساؤلات لا تمت إلى الواقع بصلة، وأنّ الدين الإسلامي يُجيب عن كل التساؤلات التي تتعلق بعلاقة المرء بكونه الفعلي. لكنّ هذا لم يقتل شغفي تجاه القصص الغريبة التي تعلّقت بالفرضيات البعيدة. لهذا السبب أصبحت حكايات لافكرافت هي المفضلة لديّ، وحتى الأدب الذي كان عبارة عن امتداد له، وكل الروايات التي أعادت صياغة لافكرافت بشكل جديد. لعلّ الكتب الحديثة أعادت صياغة الرعب الكوني بطريقة أكثر حداثة وملاءمة للعصر الحالي، فالحكايات القديمة لا تخلو من لمسة بدائية رغم كل ما تحتضنه من إبداع.

ولعي بتلك الحكايات قادني أيضاً إلى الأدب الغريب، وجنح إلى الأسطورة الأكثر بروزاً في محاولة لتقليد عالم لافكرافت، وهي المجموعة القصصية الخاصة بروبرت وليام تشامبرز "الملك في الرداء الأصفر". لسنوات طويلة جداً، كانت لسمات هذه الشخصية علامة مميزة في مخيلتي، ولا يمكن إنكار قيمتها في الأدب الممتد لقصص لافكرافت. أحببت الصناعة المبسطة لهذا العالم، وكيف تمكنت من بلورة جانب آخر للرعب، أكبر قيمة من القصص الاعتيادية. حينها علمت جيداً بأن أحد أهدافي سيكون محاولة لصنع أسطورتني الخاصة، مهما اختلفت إمكانياتي أو قدرتي على الكتابة حتى.

حين ظهرت التفاصيل الأولى لهذه الفكرة، عرفت جيداً بأن الكيان الخيالي الذي أرغب في صناعته سيكون موجوداً في مكان ما من هذه الحكاية، وحينها ظهرت الملكة في الرداء القرمزي، والتي ستكون موجودة في طيات هذه الحكاية لسبب ما، لا يمكنني تفسيره في هذه الصفحات الأولى. كل شيء هنا كان خارجاً عن سيطرتي ببساطة، وهذه الحكاية هي وليدة شغف أكثر من كونها نتاج خطة واضحة للكتابة وبحبكة مدروسة، ولا أخفيكم سراً بأنني أكرر هذا في كل حكاياتي تقريباً، إلا أن كل صفحة في هذه الرواية كانت ترتبط بطريقة غريبة بما قبلها، من دون إدراك مني لما أريد الوصول إليه، ولم أعرف مسبقاً كيف كنت سأنتهي هذه الحكاية، ومع مطاردة للتوقيت وجدثني أكتسب المقدرة باستمرار، وأنعطف مع أحداث هذه الرواية، إلى أن انتهت.

هذه الجهود ما كانت لتظهر لولا تشجيع بعض الأشخاص، والقائمة

تطول بحيث إن الحيز هنا لا يكفي لأن أذكر كل شخص منهم، لكن الجدير بالذكر هنا، هو الصديق حمزة حسن، لأن حرصه المستمر هو ما سمح لي بالتقيد بهذه الرواية في حين كان الاستسلام وارداً جداً، ولأنه كان على ثقة من أن هناك حكاية تنجز قبل أن أبدأ بكتابة الصفحة الأولى منها.

"كل ما في الحياة ليس سوى مجموعة من الصور في الدماغ،
لا يوجد بينها فرق سواء عند أولئك الذين ولدوا من
أشياء حقيقية، وأولئك الذين ولدوا من أحلام داخلية..
ولا يوجد سبب لتقييم واحد فوق الآخر".
لافكرافت.



الطابق العلوي

في طريقنا إلى مكتبة نورثون لايتس، سألني بران: "كيف تعتقد أن العالم سينتهي؟"

"لا أعرف، هدوء... ربما.. ظلام".

لا أفكر عادة في هذا الحدث، لا أحاول أن أتخيل الأحداث بطريقة مأساوية: أما حين تكون جادة كنهاية العالم، فإن الأمر يفوق قدرتي على تقبل الأمر. لا أتصور أنني سأكون موجودة عندما تبدأ هذه النهاية. سأتلاشى وأبدأ من جديد حينها. سأكون لا شيء.

سأكون في العدم.

لا أنكر أن فكرة هذه الراحة تغريني أكثر من التساؤلات الكبيرة، والبحث وراء الحقائق الموعودة. أفضل التفكير في الموت الحتمي، كفكرة أقرب من كل الكوارث التي ستنهي صور الحياة. الموت في حد ذاته لم يكن يرعبني، أو لعله كان يرعبني في الماضي، لكنه الآن أصبح جزءاً لا يتجزأ من فكرة العيش ككل.

لا بد أن ترتبط الحياة بالموت.

سيأتي الموت في النهاية.

"ماذا عن الفوضى ويوم الحساب؟"

قلت بثقة: "كل هذا يبدأ من جديد بعد الهدوء". لطالما تصوّرت أن الأمور ستسير بهذه الطريقة. مجرد صمت طويل، ثم نستيقظ بعد سبات مريح لنواجه النهاية الحتمية. سيكون هناك الكثير من الخراب

والذعر، ولن يكون هناك أي موت آخر. قلث هذا له: "لن نموت من جديد، سنعيش حياة واحدة ونموت ميتة واحدة".

لوى شفتيه، ثم قال: "هذا منطقي".

سألته: "ماذا عنك؟ كيف تعتقد أن الأمور ستسير؟"

"لست واثقاً".

"وم؟"

"من وجود نهايات". أربني هذا، رغم أن الفكرة مريحة. لطالما ظننت أن بران يبدأ بفقدان إيمانه سريعاً، لكنني لم أتصور أن الأمور ستكون قريبة إلى هذا الحد. أصغيث بصمت إلى ما قاله لي، ولم تبدُ الفكرة منطقية. ماذا عن الحكايات وكل الكتب؟

"نحن موعودون بذلك؟"

"موعودون". كزر الكلمة وغرق في صمته. "لكننا لم نتطرق يوماً إلى الاحتمالات الأخرى، كل تلك النظريات والأفكار الفوضوية. . . ماذا لو أن إحداها كانت حقيقية؟" حاولت البحث عن إجابة، ولم أعثر على رد مناسب. كان يقود السيارة بهدوء وأعرف أنه كان يدفن غضبه بعيداً.

"لكن ما الذي قادك إلى هذه الفكرة؟"

التفت نحوي: "أتقصد: لماذا اليوم؟"

"نعم. لماذا اليوم؟"

رفع كتفه: "لا يوجد أسباب. هكذا تقفز الأفكار إلى ذهني فجأة،

وَتَفْجَرُ كُلَّ الاحتمالات، ثم تزول". لمعت أضواء المكتبة من بعيد، كانت أبهى من صورها السابقة. شعرت بالراحة لأننا نكاد نصل، لكن القلق أصبح جلياً في عيني براندون.

"ستسير الأمور على ما يرام". قلت له هذا، فأخبرني بأنه يعرف ذلك بالطبع. كان عصبياً وأتى رده باقتضاب، فعرفت أن الأمور لن تسير بشكل جيد. "أنت غاضب". تحزكت المركبة ببطء أكبر، نحو زحام المركبات القليلة عند واجهة نورثون لايتس.

"ما الذي يدعو إلى هذا الغضب؟"

هتفت: "ما أدراني؟، إنها مشاعرك".

"لست غاضباً، لأنها مشاعري أنا، يمكنني أن أؤكد لك".

"لا يتطلب الأمر هذه المبالغة". شعرت بأنني أتحوّل فجأة إلى عدوته، فقلت بهدوء أكبر. "تبدو أنيقاً بالمناسبة". رفع رأسه ليتأكد من محياه في المرأة الصغيرة.

"هل أنا كذلك؟" أكد ذلك، فابتسم ليخفي ارتبাকে. أعلم أن هذا ليس يومه هو، وودّ لو أنّه كان كذلك. إنه يفتقد هذه اللحظات الجديدة، ولعلها تشبه الولادة من جديد بالنسبة إليه، لكن غضبه لا يحمل أي مسوغ، إنها أنانية خالصة.

أعرف بران، وأدرك أن أنانيته الدفينة يصعب اكتشافها.

"أنت أيضاً تبدين جميلة". أراد أن يسدّد دينه من المجاملات. كنت واثقة من أن مظهري البسيط جيد إلى حد ما، وما كان هذا سيقودني نحو المرأة. ابتسمت بينما ظلّ يحدّق إليّ، متوقّفاً أن تقودني كلماته

نحو الانتصار، لكنّها لم تفعل.

تركنا سيارتنا مع خدمة ركن السيارات، ومشينا معاً في طريقنا إلى مدخل المكتبة. "تصرّف بشكل طبيعي معه، وأخبره أنّ الكتاب أعجبك".

"لكنّه لم يعجبني".

قلت: "لكنّه كان جيّداً، وعليك أن تعترف بهذا". تنهّد من جديد. "كُنّ حقيقياً يا بران. فكسب عداوة جديدة لن يعود بمنفعة". أردت أن أخبره بأنّ هذا لن يشفي غليله، إنه عاجز عن الكتابة، ولعله في أعماقه يُلقي اللوم على العالم كله.

ابتسم ما أن دخلنا المكتبة، ووقفنا وراء صف الكراسي المواجهة للمنبر الصغير. كان كريستيان وينسلو يقرأ بالفعل صفحات من كتابه. لا أعلم إن كان قد تجاوز المقدمة، لكنني كنت ممتنة لأننا نكاد نُنهي الجزء الممل من هذا الحفل، قبل أن نبدأ بشكل فعلي. كان وينسلو طويل القامة بشرته حنطية، ولحيته غطت النصف السفلي من وجهه، ولعله حاول من خلال هذا المظهر أن يبرهن للجميع أن الكلمات والأوراق لا تتيح له الوقت لينال حياة حقيقية. كان كاتباً جيّداً بطبيعة الحال، وبران يعتقد أنّه أحد منافسيه، رغم أنّ وينسلو لا يكتب الحكايات الخيالية، وإنما كتبه مبنية على قضايا حقيقية، وأبحاث أجراها بنفسه عن جرائم قتل حقيقية.

وقعت عيناه علينا ولم أكن واثقة ممّا إذا كانت تعابيره تشير بالتحية، أم أنها مجرد حركة ثماشي الإلقاء الذي كان يُلقيه للجمهور. جلسنا في الصف الأخير نُصغي إليه، وحين انتهى صققت مع

الجميع. وَزَع أحد النادلين مشروبات للجميع، لكنّ بران رفض.

حين انتهينا، احتشد القراء حوله، ورافقت براندون إلى المنصة الخشبية حتى يحييه. كان قد رفض بالفعل أن يمنحه الاعتراف بالنصر التام، لأنّ كتابه الجديد كان يحطّم الأرقام القياسية البسيطة بالنسبة إلى المكتبة ودار النشر. منحته نسختي، والتي كانت نسخة بران من الناشر كنوع من الدعاية.

"هل قرأتما الكتاب؟" بدا سعيداً بهذا.

"بالفعل قرأناه" قلث.

"هل أعجبكما؟"

سبقت بران: "بالفعل أعجبني، أعتقد أنّه الأفضل حتى هذه اللحظة". ظلّ بران في حالة سكون، وتعمّد ألا ينظر مباشرة إلى غريمه. "وسأكون أنانية، وأطلب التوقيع باسمي أنا". فعل ذلك، ولم يجادلني حتى. أعاد الكتاب، فشكرته.

"كيف تسير أموركما؟"

"نحن بخير، شكراً لسؤالك". أجاب زوجي بلهجة حقيقية، وأراحني عندما تمكّن من التصرّف بشكل عاقل من دون أن تسيطر عليه مشاعر الغيرة. "ماذا عنك؟ كيف تسير أيامك؟" أوماً وينسلو بصمت، ثم قاطعنا ظهور لامبير، وهو صاحب المكتبة ودار النشر.

"روزوود". فتح ذراعيه ليحتضن بران. "سعيد لرؤيتك". رفع رأسه، ثم مَد جسده نحوي ليصافحني. "إليسيا، سعيد لرؤيتك أيضاً".

"شكراً لك".

وقعت عيناه على الكتاب: "هل قرأته؟"

"بالطبع".

"ماذا تعتقدين إذا؟"

"إنه جيد". راقبني متوقفاً المزيد. "كانت هناك بعض المبالغة في طريقة ربط الأدلة التي عثر عليها الكاتب، ولا أعلم إن كان قد قام بتحقيق فعلي للوصول إلى هذا كله، لكنني أعتقد بأنه أجاد أسلوب الطرح هذه المرة، وهو ما كان يفتقد إليه في الكتب السابقة".

"بالضبط، هذا ما كنت أقوله للمحرر، وأعتقد أن الفضل يعود إليه".

"أفمحرر جديد؟" سأله بران.

"نعم، وما صنعه في كتاب وينسلو يُعدّ معجزة. إن تأثير هذا الاختلاف واضح، وهو ما انتشله من حافة الهاوية. لولا أننا لم نعمل بجهد على تحسين طرحه في هذا الكتاب، لكانت هذه هي نهايته الحتمية". ألقينا ثلاثتنا نظرة على الكاتب المحاط بعدد من الشبان.

علق بران: "أتطلع إلى قراءة المسودة الأصلية".

انفجر لامبير بالضحك. "ليست بهذا السوء، فهو أيضاً كاتب جيد في كل الأحوال". دنا من بران وقال: "لكنك تعرف... الذائقة تتغير، وتزداد صعوبة في كل مرة. إنهم لا يرون المجهودات الكبيرة التي يقدّمها الكاتب خلال بحثه". ضاقت عيناه، وهو يضيف: "لا يوجد أي عمل متكامل في النهاية".

"أنت محق". قلت بينما كان بران يُطرق بصمت.

التقط لامبير مشروبات أخرى، ووزّعها علينا. "خذا، إننا نحتفل هنا، ولا يوجد سبب لهذه التكشيرة يا بران". رأيث وجه زوجي يحمل خجلاً.

"أنا بخير".

"عليك أن تتعاون مع المحرّر الجديد، أنا واثق من أنكما ستصنعان أسطورة جديدة في الساحة الأدبية. ما زلت أتوقع منك مسودة جديدة، أو جزءاً مبدئياً حتى". ابتلع بران ريقه بصعوبة. "أعرف ما ستقوله، لكنني واثقة من قدرتك".

"كما لو أن الأمر بيدي حقاً".

"بيد من إذا؟" التفت إلي وكشف عن أسنانه البيضاء وهو يضحك. ربّث على كتف بران: "الأمر بيدك، الأمر بيدك". أشاح بصره عنه، فيما ظلّ لامبير يتوقع أي استجابة. كنت أعرف هذا الرجل جيداً، وأفهم آلية العمل معه.. إنه شيطان، يستطيع تحقيق المعجزات، لكنه يتقاضى ثمنها أضعافاً. استنزف طاقة بران لسنوات، وما يزال يطمع بالمزيد.

"ما زلت بحاجة إلى الوقت".

"هذا هو أبسط حقوقك، لكن تذكر أن هناك من يتوق إلى قراءة المزيد من أعمالك". تدريجياً اختفت ابتسامته التي استطاعت أن تستفزني بسهولة.

قلت ممازحة: "لا تضغط عليه، إن بران يخطط لأعماله بشكل

مدرس، ولا يستطيع المجازفة بما يقدمه، طالما أن هناك من ينتظر منه المزيد كما تقول". كانت نورثون لايتس مكتبة متواضعة، وهي تنمو بسرعة مفاجئة الآن، وعصر نهوضها هذا يفتقر إلى وجود عناوين جديدة عليها اسم براندون، وهذا هو أكثر ما يقلق زوجي هذه الأثناء. ما عاد بحاجة إلى وكيل حتى يكون وسيطاً بينه وبين الناشر، لأن علاقته كانت جيدة بلامبير، إلا أن هذا كان يستنزفه بشكل واضح.

حين تضاءلت فوضى الحفل، نهض وينسلو، وأغلق قلمه المونت بلانك، كانت هناك شذرة ماسية تلمع على الغطاء، وظلت تومض حين علّقه على جيب سترته. "أما زلت تعاني من نفس المشكلة يا روزوود؟"

قال: "إنها ليست مشكلة حقيقية، أنا فقط... في إجازة".

"إجازة دامت لعامين". رد وينسلو.

"بالضبط".

"برأيي إنَّ تصرّيحك المتعلق بحبسة الكاتب، لم يكن خطوة مدروسة".

رد بران: "وهل أصبحت تدرس خطواتك؟"

"أنا أفعل هذا دائماً". كوّر بران قبضته، وشدّ أصابعه نحو باطن كفه. راقبث يده، ثم رفعث رأسي لأرى تعابير وجهه. لم يكن راضياً عن أي كلمة يتفوّه بها وينسلو. ظهر ثلاثة أشخاص جدد يحملون كتاب وينسلو الجديد، وعنوانه (حين تهمس الأشجار). كان العنوان

مبتذلاً ووسطحياً.

"أعتقد بأنّ ما فعلناه كافياً حتى الآن، ربما من الأفضل أن نرحل".

ردّ لامبير: "هؤن على نفسك". أظهر زوجي رفضه، وشعرث أن وجودي لم يعد له أي معنى، كنت مجرد متفّرج صامت، لا يستطيع تغيير الأحداث، وأي رد فعل مني، قد يعرضني إلى مشكلة أخرى مع بران، وهذا آخر ما أردته أنا.

"سأطلب إحضار سيارتنا".

"سأتي معك".

"ما كان عليك أن تتجاوب معهما بهذه الطريقة".

سألني: "ماذا كان عليّ أن أفعل إذا؟"

"جاملهما. أراد لامبير مساعدتك، لكنك بالغت في غضبك. كان بإمكانك أن تنسحب ببساطة، من دون أن تظهر له مدى تأثرك".

ردّ بانفعال: "ما كان عليه التدخل في شؤوني".

"إنّه ليس والدك أو والدتك. يحقّ له أن يقول ما يشاء، وعليك أن تتفهّم كل ما يحدث حولك كشخص بالغ. إرضاؤك ليس مهمة العالم أجمع". التفت نحوي. "ماذا؟ أنا أقول الحقيقة. إن كنت أتجاوب معك، فهذا لا يعني أنه واجب عليّ تجاه الجميع".

"لست مرغمة على ذلك يا إيليسيا".

"أنا زوجتك، وهذا واجبنا تجاه بعضنا بعضاً، لكنهم أشخاص لا نعرفهم، وحين يعرض أحدهم مساعدته، فهو يقوم بهذا، من دون أن

يتوقع منك أي مقابل". أضفت: "غضبك هذا لا يفسر أي شيء، سوى استخفافك بقيمتهم".

أشاح بوجهه عني. "ما كان علينا القدوم إلى هنا".

وصلت السيارة أخيراً. جلست في مقعدتي، وما إن دخل بران حتى قلت له: "بل كان عليك القيام بهذا، وهذا أقل ما يمكنك تقديمه لهما، إنه يوم وينسلو، ورغم هذا كنت تحاول تجاهله، خلال هذه الزيارة القصيرة". ظل صامتاً حتى انطلقنا. "عليك أن تفهم جيداً أن الأمور لا تتمحور حولك أنت فقط. هل تفهم هذا؟"

"لا، لن أفهم هذا.. في صف من أنت؟"

لم أكن في صف أحد من الموجودين في المكتبة. "أنا في صف المنطق، والأشياء العقلانية، وأعتقد بأنك يجب أن تكون كذلك، فسئلك لن يسمح لك بالتصرف بصبيانية مرة أخرى".

"توقفي عن هذا الآن". زمجر.

"توقف عما تفعله أنت أيضاً، عليك أن تستيقظ يا بران...".

صاح: "توقفي. أنا أيضاً أكره هذه الحياة، وكل ما يحدث هنا، أكره عجزتي، وأكره البقاء معك، وأكره هذا المنزل، وكل ما حدث لنا خلال السنوات التي مضت.. أكره كل شيء. أنت لا تفهمين ما أشعر به، ولن تفهمي حجم الإخفاق. كل ما حدث كان بسببك أنت.. بسبب غبائك".

"ما حدث لم يكن خطئي أنا". لم أشعر بالدموع وهي تملأ عيني حتى سقطت في حجري. "ما حدث كان خطأنا نحن الاثنين".

استأنف القيادة بسرعة، وتعمد تجاهلي حتى وصلنا إلى المنزل. كنت أحاول الحفاظ على كبريائي وإخفاء دموعي.

حين وصلنا إلى منزلنا كانت كل الحجرات غارقة في الظلمة، ووحدها أضواء المباني المحيطة بنا تتسرب عبر الواجهات الزجاجية الضخمة الأنيقة. تسللت في الظلام إلى الحجرة الأخرى في آخر الرواق، كان بران قد تلاشى، وما عدت أسمع وقع خطواته.

اقتحمت الحجرة ذات الجدران الزرقاء، ورسومات الغيوم البيضاء الكبيرة على الجدار الوحيد المقابل للباب. بقيت وحدي في الظلمة أمام المهد الخشبي الفارغ. أقحمت يدي في الفتحات الضيقة للمهد، ورحت أختبر ملمس الغطاء الناعم.

حرّكت الألعاب الصغيرة فوق السرير، فأصدرت صوت أجراس خافت.

لم أمنع دموعي، بكيت بحسرة، وعرفت أنّ هذه هي النهاية بيننا. كان يجب أن أعرف هذا منذ البداية، لكنني قررت أن أحاول حتى بعد رحيل الطفل. شددت قبضتي على الأعمدة الخشبية المنتصبة على جانب المهد وكتمت صوتي، إلا أن دموعي ظلّت تنهمر.

لمع ضوء النافذة فوق الغطاء الأبيض، ثم فتح بران الباب.

"إليسيا. أنا آسف!". أخفيت وجهي عنه، ورأيت ظلّه ينعكس إلى جوار ظلي. حين أدرك أنني كنت أبكي، أسرع الخطا نحوي. "أنا آسف، لم أقصد أيّاً ممّا قلته!".

"لكنها الحقيقة". أشحت بوجهي بينما كان يحاول النظر إليّ. "كان

يجب أن نعرف هذا قبل عامين، لكننا تجاهلنا حجم الخطر يا بران.
ما حدث حطم كل شيء... حطم عالمنا أنا وأنت". راقبني ببلاهة، ولم
يفهم ما كنت أعنيه. "أعتقد أن بقاءنا معاً، سيزيد الأمور سوءاً".

"لا... لا تقولي هذا". جف دموعي بيديه.

دفعته برفق. "إننا نكابر على هذا الألم. كل يوم تزداد فكرة بقائنا
معاً صعوبة".

"كنت غاضباً، هذا كل شيء".

"وما قلته أثناء غضبك ليس إلا الحقيقة، إنك تتعمد تفادي
الحقيقة، لكنك اعترفت بها. لم تكن هذه مجرد محاولة لاستفزازي".

"لنتجاهل ما حدث اليوم. دعينا نبدأ من جديد". حرّكت رأسي نفياً،
فيما كانت الدموع تتجدّد في عيني. "سنحاول مرة أخرى... في
مكان آخر بعيد عن هنا".

لم تكن قد اتخذنا قرارنا بعد، إلا أنَّ الاتصال غير كل شيء. "لقد درسنا ملف بران بشكل مكثف، وأعتقد أنَّ اللجنة ستوافق على قرار انتقاله، إن كانت الفكرة ما تزال ممكنة بالنسبة لكما". شعرتُ بقلبي ينبض بقوة، بينما كان بران جالساً على الطرف الآخر من الحجرة.

"بالطبع، سأطلع زوجي على النبأ. شكراً لك".

حاولتُ تمالك نفسي وعدم إظهار أي اندفاع، خوفاً من أن يتم استغلالتي. في الواقع ما عاد هناك أي مجال للخداع، لأن وكيلة ذاك العقار قد أطلعتنا على كل الفواتير التي سيتم سدادها، وكذلك على شكل العقد الذي سنوقعه في حال وافقت اللجنة على أن نُقيم هناك. "سيدة روزوود، يجب أن تعرفي أنه لن يكون لديك متسع كبير من الوقت".

"أنا أعرف..."

قاطعتني: "عذراً، ولكن لائحة الانتظار ممتلئة بالفعل، وهذا القرار يعود إلى اللجنة، إن لم تتلقَّ أي استجابة فعلية خلال الأيام القليلة التالية، فإن العقد سيؤول إلى أشخاص سواكما. أنا آسفة لقولي هذا، لكنَّ القرار لا يعود لي أنا في ذلك".

"في الواقع، أردنا فقط هذه المهلة، لنناقش فيها جدية الأمر".

"جدية؟" سألتني بتعجب، فضربتُ جبيني برفق. "ظننتُ أنكما توذان الانتقال إلى هناك بالفعل. ألم تخوضا المواجهة لهذا السبب؟"

"بلى، قمنا بهذا بالفعل". أردفتُ سريعاً: "حسناً، سأنتظر عودة بران وأطلععه على الخبر. شكراً لك". أردتُ التخلص من هذه الورطة بأسرع وقت. كزّرتُ تنبيهها، بأن المهلة لن تكون كبيرة، وما لم أقرّر فإن الشقة الواسعة ستؤول إلى أشخاص آخرين.

"سأنتظر اتصالك". أنهت المكالمة بعد ذلك.

حين التفّث وجدتُ بران يقف ورائي، طرحتُ السماعة برفق، وكزّرتُ: "لقد وافقت اللجنة على انتقالنا إلى هناك". قفزتُ في مكاني قبل أن يُعبّث بران حركتي. كان يبتسم وذراعاياه تحيطانني. "أعتقد بأنك سمعتَ المحادثة بنفسك".

"نعم، لكن. . .". دس أصابعه في خصلات شعره الأسود. "هل سننتقل بالفعل إلى هناك؟"

"كنت ترغب في هذا، أليس كذلك؟"

"لا، ولكن أشعر بأن هذا حدث فجأة".

قلتُ: "الجزء الهامّ الآن، هو أنه حدث... لقد تحقّق ما أردناه. سيناسبنا ذاك المكان أكثر". كنتُ أحمل شكّي الخاص في أعماقي، ولم أعترف به، فالابتعاد ثلاث ساعات عن هذا المكان يبدو كمجازفة. كنا سننتقل إلى حياة أخرى مختلفة، وبداية جديدة في مكان بالكاد نعرفه.

تلاشت ابتسامة بران فجأة، لكنه ظلّ ثابتاً في مكانه.

"-ما الأمر؟".

رفع كتفيه: "لا أعرف، أشعر بأن المسألة أصبحت حقيقية بشكل مفاجئ لم أتوقعه.. لم أتوقع أن أرحل عن هذا المكان وأن أعيش في بقعة لا أعرف أي أحد فيها". ران الصمت لوهلة، كئث أتوقع أن يُعبر عن المزيد من مخاوفه، إلا أنه ظل صامتاً.

"لكن هذه كانت رغبتك".

أطرق مؤكداً "ربما أنا أشعر بالخوف من التغيير فقط". أرغم نفسه على إظهار السعادة، لكنّها كانت مزيفة نوعاً ما. "دعينا نحزم أمتعتنا إذاً".

"سأصل بالسيدة فيشر، وأخبرها بأننا وافقنا على الانتقال".

لعلّ هذه كانت الفرصة الأخيرة بالنسبة لي، كئث أتظاهر بأنني سعيدة، وأتقن هذا بشكل كبير، حتى لا تتداعى الأشياء التي اعتدت عليها. بعد كل شيء أصبح حجم السأم في أعماقي كبيراً، وهو يسيطر على كل مشاعري، لكئني ما زلت أحاول من أجل بران.

- "حسناً، اتصلي بها". قال أخيراً، ثم انسحب من أمامي.

كنا قبل أسبوع واحد، قد أجرينا مقابلة مع محامي مالك ريد ستون، ومع شخص آخر لم يطلعنا على وظيفته أو حتى على دوره الأساسي في ذاك المبنى. بدت تلك المقابلة جادة إلى حد مثير للسخرية. كان وجهاهما جاذين بشكل لا يحتمل المراوغة.

سأل المحامي بران: "ألم تعمل في وظيفة حقيقية، قبل أن تخوض مهنة الكتابة؟"

"الكتابة بالنسبة لي هي الوظيفة الحقيقية؟" لوى الرجل شفتيه

في محاولة منه لاستفزاز بران، إلّا أنّ هذا بدا متوقّعاً. لم يفعل زوجي، رغم أنّه كان مُناصِراً كبيراً لمسألة الكتابة، ويرفض التهاون بها على الإطلاق. "في الواقع أنا أكّرسُ جُلّ وقتي للكتابة، ولا أجد مُثسّعاً للعمل وراء مكتب".

رفع الرجل عينيه نحوه، ثم التفت إليّ. "ماذا عن السيدة روزوود؟".

"تخلّث عن وظيفتي قبل ثلاثة أشهر من الآن".

سألني: "ماذا كنتِ تعملين حينها؟"

"صحفية، كنتُ أعمل في إحدى المجلات الصغيرة لأربع سنوات، ثم قرّرتُ أن أترك هذه المهنة أخيراً. أبيع بعض الصور من حين إلى آخر، وأكتب مقالات متفرّقة في عدة صحف".

قال الرجل الآخر: "هل لي أن أتخيّل الرابط الأساسي بينكما". ضحكنا أنا وبران. "هل لديكما أبناء؟"

"لا". أجاب بران فوراً، فيما كنتُ أواجه صعوبة في الاعتراف.

"هل لديكما أقارب.. أصدقاء؟ هل هناك زيارات متوقعة بشكل مستمر؟"

تدخّلت لأقول: "عدد معارفنا ليس كبيراً إلى الحد الذي قد يثير رفض الجيران، لكننا في كل الأحوال لا نستطيع أن نطرد الزوار من أمام باب منزلنا". أطرق الرجل، بينما كان المحامي يدوّن ملاحظة سريعة. شعرث بأنّ تلك الإشارة كانت ستثير استياء بران تجاهي، فهو أكثر من أراد الانتقال إلى هنا.

"ليس لي أي أقارب في الواقع". أعلن بران.

التفت المحامي نحوي، فقلت: "لدي شقيقة واحدة، لكنها لا تعيش قريباً من هنا".

قال الرجل الآخر، والذي عرفته أن اسمه جيمس: "كل جيرانكما خضعوا إلى مثل هذه المقابلة، فنحن نسعى إلى بلوغ أعلى درجات الكمال في ريد ستون. لا يمكننا أن نفترط براحة الجيران في سبيل إرضاء أشخاص آخرين، وكذلك العكس".

"بالضبط". كثر المحامي: "سنكون حريصين على أن نوّفر سبل الهدوء والراحة لكما وللآخرين بكل تأكيد، ولهذا يجب أن نكون واثقين من الأشخاص الذين ينتقلون إلى هناك".

"في المقابل، أنا لا أعرف من هم جيراني".

قال المحامي: "ليس من المتوقع أن نفشي أية معلومات عنهم. إن أرادوا هم ذلك، فسيكون هذا كنوع من الترحيب". أغلق قلمه ودشه في جيب سترته. "أنا واثق من أن تجربة الإقامة في ريد ستون ستكون مختلفة، فذلك المبنى يحمل نسخة مصغرة عن عالم مثالي وهادئ".

فكرت في حجم المبالغة في كلمات الرجل.

"هل لي أن أعرف في أي مجال تكتب يا سيد روزوود؟" سأله جيمس.

رد بران: "أكتب الروايات".

هزّ الرجل رأسه: "أي نوع من الروايات؟"

"الرعب. . . الغموض بشكل أدق". رفع جيمس حاجبيه. "لقد أصدرت حتى الآن ست روايات خلال سنوات عملي".

تدخل المحامي ليقول: "أدرك الآن، لماذا يبدو اسمك مألوفاً بالنسبة لي". أشار بإصبعه إلى بران، وقال: "أنت من كتب رواية المؤلف أليس كذلك؟" ندت عن بران ضحكة اعتداد قصيرة، وأكد للرجل ذلك. "كانت زوجتي تقرأها، لا أعرف إلى أي مدى سيفاجئها خبر انتقالك حين أطلعها عليه".

"شكراً لك". بدا بران أكثر خجلاً.

"سيكون هناك عدة شروط وقواعد يجب الاطلاع عليها، حتى قبل قرار اللجنة بالموافقة". أعلن جيمس، فتجدد الهدوء الذي بدأنا به المقابلة. "إقامة أي حفلات صاخبة سيكون أمراً مرفوضاً في ريد ستون". كان هذا منطقياً بالنسبة لنا.

أضاف المحامي: "لا يمكنكما تغيير أي شيء من أساس الشقة الداخلي. فكما تعلمان إن المبنى عتيق، وأي مساس في أعمدة الأساس، قد يتسبب بضرر جلل".

"لن نغير أي شيء". قال بران. كانت الشقة تناسبنا كما رأيناها، وهي كبيرة بما يكفي لكي تتسع لأسرة كبيرة في المستقبل. "لكننا سنجدد طلاء الحجرات الداخلية، فجدرانها شبه عارية". قبل أن يطلعوه على الشرط الثالث، سألهما بران: "هل لي أن أعرف كم بقيت الشقة خالية؟"

- "لست واثقاً من معلوماتي، فأخّر شخص استأجرها تركها قبل عام".

سألت: "هل تركت خالية لعام كامل؟"

أكد جيمس: "بل أكثر من ذلك. على الرغم من تكرار طلبات الاستئجار، إلا أننا عادة لا نأخذها على محمل الجد. تدركان بوضوح أننا نختار السكان بعناية بالغة". أومأ من دون أن أكثرث اكتراثاً حقيقياً إلى ما كان يقوله لنا. طوى جيمس أوراقه هو الآخر. "في حال وافقت اللجنة على الانتقال، سنمهلكما أسبوعين للانتقال والتجديد، لكن قبل ذلك سيتم تسديد قيمة ثلاثة أشهر مبدئياً".

أضاف المحامي: "يجب أن تدركا أيضاً أن حدوث المشاكل أمر مستبعد في ريد ستون، لكن في حال حدث أي خلاف أو سوء فهم يجب أن تلجأ إلى حارس العقار، والذي بدوره سيرفع المسألة لنا في حال وجد صعوبة في حلها".

"بالطبع". رد بران.

نهضنا، فصافحنا قبل أن ننسحب أنا وبران عائدين إلى سيارتنا المركونة في الساحة المجاورة للمبنى. في الخارج انفجرتنا في الضحك أنا وهو، ولم نتمكن من كتم ذلك حتى نبتعد عن المبنى، سرنا معاً ورائحة الملح المنبعثة من الشاطئ تتبعنا حتى وصلنا إلى سيارتنا.

اهتزت المركبة بعنف فاستيقظت، رأيث الأشجار تحيط بنا من كلا الجانبين. لا أعرف كم تبقى من الوقت قبل أن نصل. كانت هذه رحلتنا الثانية إلى هناك، لكنها بدت أطول. حين نظرت إلى الساعة أدركت أننا قطعنا أكثر من نصف الطريق، وما تبقى يعادل ما مضى. "يمكنني تولي القيادة". عرضت على بران.

قال: "لا بأس، الطريق ليس طويلاً". لم ينظر إلي. صب كل تركيزه على الشارع الملتوي كأفعى. ظللتنا أشجار الصنوبر بشكل أكبر، وارتفعت فأخفت الشمس، ولم تترك منها سوى خيوط ذهبية على الطريق. عبرت السيارات بعكس اتجاهنا سريعاً.

حاولت أن أثق بقدرة بران على السيطرة على المركبة، لكنني كنت أشعر بالخوف، فالطريق ينحدر أكثر ويضيق بنا مع كل منعطف. "هل بإمكاننا التوقف عند أقرب محطة؟ أشعر بالصداع والجوع كذلك". وافق على هذا، لكنني أشك في أننا سنجد أي محطة هنا.

حين تجاوزنا الغابة، عاد الشكل المألوف للطرق مرة أخرى، ثم استقبلتنا أول لافتة لمحطة وقود. "سأملأ خزان الوقود، ريثما تعودين".

- "ألا تشعر بالجوع؟" نفى بحركة من رأسه.

تركث السيارة، واتجهت من فوري إلى محل البقالة. كنت أراقبه من خلف الواجهة الزجاجية وهو يملأ الخزان، ويقف مراقباً عداد الوقود. من خلفه عبرت دراجات نارية وتسببت بضوضاء أكبر، لم يلتفت بران

إليها وراح يراقب العداد.

لم أرغب في الوصول إلى مرحلة الشيع، فبران سيجوع ما أن نصل إلى بيتنا الجديد، فاكثف بالقهوة. بينما كنت أنتظر أمام آلة القهوة، ظهر إلى جوارى. "سأسرق هذا الكوب منك". التقط كوب القهوة من يدي، فصنعت آخر لي أنا، ثم اتجهنا إلى المحاسب معاً.

ترك بعض العملات المعدنية، ثم خرجنا.

- "هل تريدان حقاً الانتقال إلى هناك؟" وقفنا على الرصيف في مواجهة رياح أغسطس الحارة، شعرث بأن هذا السؤال أتى متأخراً. "صمتك هذا يزيد حيرتي".

- "لأنني لا أعرف أيضاً ما إذا كنت أريد الرحيل أم لا". ظهر الإحباط على وجهه. "لا تُسئ فهمي. لا يوجد شيء يبقيني هناك، ولن أخسر أي شيء إذا ما قررنا الانتقال معاً. عالمي الحقيقي لم يكن في منزلنا القديم. أنا فقط أشعر بالخوف".

- "أنا لا أتحدث عن الخسارة".

"أعلم". هتفت. "أخبرتكَ بأنني أشعر بالخوف فقط".

- "الخوف مم؟"

اعترفث: "من ألا يتغير أي شيء في حياتنا. أنا قلقة حيال هذه الخطوة، فإن لم تنجح، لن يكون خيار العودة سهلاً هذه المرة. علينا أن نحاول نقل حياتنا إلى مستوى آخر".

- "أنا أحاول جعل الأمور تنجح يا إيسيا".

شربت من كوب قهوتي بينما كنت أحاول إيجاد الصيغة الصحيحة للاعتراف بما يشغل ذهني. "افهم يا بران. ليس النجاح هو الغاية الحقيقية، حياتنا هي التي تتداعى".

- "حياتنا! لا شيء يتغير فيها". لعل هذه هي المشكلة الحقيقية.

قلت: "هناك ما يتغير، لكنه لا يتجه نحو النجاح. التغييرات لا تتجه دائماً نحو الصواب والخطأ. أحياناً يقودنا التغيير إلى نقاط مجهولة، وربما مملة أيضاً. لا يقتصر الأمر على فكرة السعادة وتحقيق الأهداف دائماً. فالحياة ليست دائماً كمحاولة للهروب من الفشل".

رمى كوبه نصف الممتلئ، في حاوية القمامة. "أنا لا أفهم ما ترمين إليه حقاً".

- "انس الأمر". رميت كوبي بغضب، فلوّثت القهوة يدي. اقتحمت السيارة، وبينما كنت أبحث عن منديل رمى بران نفسه على المقعد، كان يتذمر لكنني لم أصغ حقاً إلى ما كان يقوله.

- "لا تتجاهليني".

قلت: "أنا لا أتجاهلك".

- "تقولين ما تودين قوله، لكنك تتوقفين عن الإصغاء عندما يحين دوري أنا".

- "لا أفهم لماذا أنت غاضب الآن؟ سألتني عن فكرة الانتقال، وأخبرتني بأنني لا أرفضها". أطلق ضحكة زائفة وساخرة. "أنا أقول الحقيقة. أريد الانتقال إلى هناك، طالما أن الأمر يساعدك في تحقيق ما تريده، لكنني أخشى من أن الفشل قد لا ينبع من المكان فقط".

التفت نحوي والغضب يملأ عينيه. "ماذا تقصدين؟"

- "أقصد أن المحاولة الحقيقية تبدأ من عندك أنت، ولا تتعلق بالمكان".

حاول بران السيطرة على غضبه، ثم قال: "أنتِ كنتِ تريدين العودة، وليس أمامنا متسع لهذا. لا يمكن لأننا سدّنا قيمة ثلاثة أشهر، ولن نستطيع استردادها.. "لا يمكنكِ إلقاء اللوم علي، لأننا سننتقل إلى مدينة جديدة".

"أنا لا ألومك، ولا أشتكي من فكرة الانتقال".

صاح: "ماذا إذا؟"

"أنا فقط، أريدك أن تكون في حال أفضل". لم تُصلح جملي كل الفساد الذي أحدثه نقاشنا. قاد بران السيارة بسرعة أكبر، وكنتم خوفي من تهوره. بقينا صامتين طوال الدقائق العمانين التي فصلتنا عن ريد ستون، وحين وصلنا إلى هناك كان بران قد تناسى غضبه، وكل ما قلته له. معظم نقاشاتنا الأخيرة كانت مطابقة لهذه اللحظة، وعادة ما تبدأ الأمور بشكل طبيعي، ثم تتصاعد بسبب أفكاره الوهمية. أعرف جيداً أنه قلق بشأنني، ويشعر بالذنب تجاه ما يحدث لنا، وتجاه فكرة الانتقال، وكلما حاولت تخليصه من هذا الإحساس كان يعود إلى نقطة البداية، لأنه لا يُصدّقني حين أحاول إظهار الرضا.

حين وصلنا كان الحارس في انتظارنا في مقصورته الصغيرة الفاصلة بين الممرات الداخلية والبهو الخارجي. كانت مقصورة تُطل

مباشرة على المدخل الكبير الأساسي لريد ستون، توقفت السيارة خلف السياج، فنحن حتى الآن لم نزل الصلاحية لدخول المرآب الداخلي للمبنى.

ألقيت نظرة أخرى على المكان الذي أنارت الشمس كل تفاصيله. ريد ستون عبارة عن مبنى حجري يأخذ شكل هيكل منزل لكنه أكبر حجماً، يتكوّن من خمسة طوابق، في الطابق الأخير شقتان، وفي الطوابق السفلية أربع شقق كلها متماثلة الحجم. في الطابق الأرضي بهو واسع، وصالة مخصصة للحفلات في السابق، لكنها الآن مغلقة، أما الجزء الغربي من المبنى، فهو عبارة عن شقة إضافية أكبر من كل الشقق الأخرى.

حين ألقينا نظرة على البهو في السابق، أدركت أن مساحته تعادل نصف مساحة الطابق الأرضي، وهو عكس ما توقعته أنا.

"مرحباً بكما في ريد ستون" هتف الحارس. لم يكن شاباً بمعنى الكلمة، لعله كان أكبر من بران ببضع سنوات، وبدأ الشيب بالفعل يغزو خصلات شعره، لكن ملامحه المرحّة ظلّت محافظة على شبابها، مع وجود تجاعيد قليلة على جانبي عينيه. "أدعى ألكساندر، عملت هنا ما يزيد على ثلاثة أعوام حتى الآن".

"أنا بران روزوود".

كاد أن يُعرّفه علي، إلا أن الحارس قاطعه: "وأنت إيسيا".

"هذا صحيح". ابتسمت.

"أعتقد بأنكما استلمتا المفتاح بالفعل، أخذه جيمس مني قبل عدة

أيام". أوماً بران مؤكداً. "لا يوجد أي نُسخ سواه، فالمفتاح الوحيد معك الآن".

"ألا يوجد مفتاح أساسي".

"معي؟ لا. ربما بحوزة مالك العقار مفتاح لكل الأبواب هنا، لكن أنت تعرف بأن الجيران يغيرون الأقفال، وأحياناً أقفال الأبواب كلها، فيصعب استخدام المفتاح. لا أعتقد بأننا بحاجة إليه".

سألته: "ماذا عن الحوادث؟" سرنا معاً نحو السلم الحجري الذي يسبق المدخل المقوَّس. "ألا يجب أن تكون هنا نسخة احتياطية؟"

"كما قلت لك، ربما يمتلك صاحب العقار نسخة". أضاف: "ما يهم هنا هو خصوصية السكان، إن وجود مفتاح أساسي يمحو الإحساس بالخصوصية". كان محقاً، لكنني لم أفهم هذا الحرص البالغ على الهدوء والقوانين وخصوصية السكان. حتى المباني العادية وإن كانت أقل جودة، فهي غالباً تحافظ على الخصوصية. لا أنكر بأن فكرة وجود القوانين كانت تعير الإحساس بالأمان في داخلي، لكنها هنا أخذت تعير تساؤلاتي أكثر.

سرنا متجاوزين البهو، ووحده ضوء الشمس كان يتسرب من النوافذ العالية، ومن القبة الزجاجية في السقف العلوي، والتي كانت بعيدة، وزجاجها الفُعْشَق يلمع بسبب الشمس، فيتدرج بين الأحمر والأزرق. بدا البهو كجزء من كاتدرائية صغيرة.

على الأرض كانت هناك حلقة ضخمة تتوسطها صورة محفورة على الحجارة ليعسوب يفرد أجنحته، على الجدران كانت هناك أيضاً

نقوش لصور مختلفة مؤطرة بحواجز حجرية متصدعة. تأملتها وأبطأت خطوي. "إنها عتيقة جداً، كما أن تغير الطقس يؤثر فيها".

"لكنها غريبة. . . أقصد جميلة". لم تكن جميلة تماماً، إنما مثيرة للدهشة. "ما الذي تعنيه؟"

"لا أعرف، ربما ترمز إلى معركة ما، أو إلى حدث ديني". التفت إلي فجأة، وكّرر: "لا أعرف بوضوح معناها، إن عمرها يساوي عمر هذا المبنى".

"كم عمر المبنى؟" سأله بران.

أجاب: "سبعون عاماً، ربما أقل قليلاً".

تأملت التفاصيل المحيطة بنا بدهشة. "يبدو صامداً".

"هذه هي مزايا المباني العتيقة، لا تتداعى بسهولة. إنها صامدة، ضمنت لتكون خالدة".

أطلقت ضحكة قصيرة: "لا شيء خالد".

سألني: "يبدو أنك تترددان على القداس باستمرار". كنت أفعل هذا أحياناً، لكنني لم أمنحه إجابة واضحة، ابتسمت وأنا أتفادى النظر إليه، حتى وصلنا إلى المصعد المكوّن من زنزانة مُسيّجة، لها بابان متلاصقان. سعدنا معاً فاهتزت الأرضية. "لا تقلقي، فهو متماسك".

"أرجو هذا حقاً".

توقّف أليكساندر خارج المصعد، وراقبنا ونحن نغلق الباب. "أرجو لكما إقامة سعيدة هنا، وسأكون في مقصورتني في حال احتجتما

إلى أي شيء". قبل أن يُغلق بران الباب الداخلي شكره، ثم ضغط على زر الطابق الخامس.

تناثرت قطع الأثاث في البهو المتواضع، وفي غرفة المعيشة كانت الفوضى أكبر. ما يزال هناك الكثير مما نحتاجه هنا، فأثاثنا القديم لم يكن يتوافق مع المكان بصورة تامة، وقرّرنا أن نتخلص من معظم القطع القديمة التي امتلكنها. تركت حقيبتني، وتأكدت من أن كل متعلقاتنا كانت موجودة في حجرة النوم، فهي أول شيء أتمناه قبل حتى أن ننتقل بصورة رسمية إلى هنا. لم يكن هناك أي شيء مفقود مما نقلناه، لكننا مضطران إلى العمل بجهد أكبر خلال الوقت القادم.

بدأنا أنا وبران بنقل القطع الصغيرة إلى موضعها، ثم تساعدنا على نقل الطاولات الكبيرة، والأرائك إلى غرفة المعيشة. كان لدينا تلفاز لكننا لم نصله بالهوائي بعد. كان هناك مُشغّل فيديو، وصندوق كامل من أشرطة الأفلام المفضلة بالنسبة لنا. لا توجد العديد من التحف لتزيين غرفة المعيشة، وهذا ما اتفقنا على أن نتأخر في إنجازه. تركني بران أتمم العمل في غرفة المعيشة وحدي، واستخدمت سلماً خشبياً قصيراً لتركيب الستائر، بينما توجه هو إلى الغرفة الجانبية الصغيرة المُطلّة على حديقة المبنى، وقرّر أنها ستكون مكتبه.

سمعت صوت الطاولة الخشبية يتحرك، ثم مزّق بران الصناديق ليخرج كل حاجياته منها. كنّا قد كتبنا على الصناديق كل محتوياتها، ولم يُبقِ هو أي شيء من متعلقات المكتب في الخارج. حين نجحت وحدي في تركيب الستائر قررت أن أفرغ محتويات المطبخ وأبقّيها في الخارج.

"سنحتاج إلى الذهاب إلى مركز التسوق". صحت.

فأجاب بنفس النبذة: "أعرف هذا، سنبحث عن مطعم أيضاً، فأنا أشعر بالجوع".

حملت معي الصندوق الذي يحتوي على مساحيق التنظيف، ووزعتها بين حمام الضيوف وحمام حجرة نومنا، ثم عدت لأنقل صناديق الكتب القليلة إلى مكتب بران. "نسبنا أن نسأل ألكساندر عن إمكانية دخول المرآب، لن نترك السيارة في الخارج".

استقام ظهره ورفع رأسه من وراء المكتب: "آه، لقد نسيث هذا بالفعل".

بدأت أفرغ الكتب وأرتبها بالطريقة التي تناسبني. "هل تعتقد بأننا أزعجنا جيراننا في الأسفل".

ضاقت عيناه: "لا تبالغي أنتِ أيضاً".

أخفيت ابتسامتي، لكنه كان قد أشاح ببصره عني، وبحث بين الصناديق عن أوراقه، وتركها إلى جوار آلة الكتابة الخاصة به. "لماذا لا تحاول الكتابة على الحاسوب؟"

- "لا أثق بتلك الآلات".

- "إنها لا تختلف كثيراً عن قطعة الخردة هذه".

رفع رأسه نحوي من جديد: "لا يوجد أي مقارنة، ثم إنّ آلتني ليست قطعة خردة. شاركتني في كل لحظاتي السابقة، ولن أتخلّى عنها الآن". كان بران يرفض كل صور الحداثة وإن كان يحتاج إلى

معظمها، بل ويظهر امتعاضه من كل سبل الرفاهية الحديثة بما في ذلك التلفاز حتى.

عدت إلى غرفة الجلوس وحملت معي ستائر المكتب، ساعدني بران هذه المرة في تركيب الستائر، ثم اتجهنا معاً إلى حجرة الطعام وكانت أوسع من مكتبه وأصغر قليلاً من غرفتنا الأساسية في الشقة. كانت هناك حجرتان خاليتان، قررنا أن نؤثث إحداهما احتياطاً. في الخارج، راح وهج الشمس يخبو شيئاً فشيئاً، تاركاً لطخة برتقالية في السماء.

"لم أجد الكاميرا بعد.. أين تركتها؟"

"كتبث اسمك على الصندوق". تجاوزت الممر الفاصل بين الجزء الأمامي من الشقة وبين جناح النوم، وصلت إلى البهو، وفُتشت بين الصناديق القليلة هناك. وجدت صندوقي أخيراً. حين فتحته وجدت ألبوم صوري وصور زفافنا أنا وبران. تساءلت عما يدفعه إلى الاعتقاد بأن هذا يخضني أنا وحدي. بدت الفكرة متحيزة وليست واقعية، فتخلّيت عنها بسرعة.

وجدت ألبومات أخرى لصور التقطتها، وقمت بتحميضها. بين كل الأشياء كانت الكاميرة هي الأكثر وضوحاً في الصندوق. حملته وأبقيته في المخزن الصغير، الذي قزرت تحويله إلى حجرة تحميض.

قُبيل أن ينال التعب منّا، قررنا أنا وبران الخروج من المبنى والتجول في الساحة المحيطة به. كان المكان منعزلاً إلى حد ما. لم يتبق من شعاع الشمس سوى نور داكن ومبهم في السماء. سرنا

تحت أضواء أعمدة الإنارة القليلة الممتدة على طول الطريق.

لم تكن هذه البلدة حية بالصورة المتوقعة، وكما هو الحال في ريد ستون كانت البقعة بأكملها غارقة في الهدوء، لا سيارات كثيرة ولا مازة على الرصيف بعد غياب الشمس. كانت الطبيعة تمتد فوق الحدود العالية التي غطت المكان. تناثرت من بعيد المباني الحجرية العتيقة، وبعض المنازل الكبيرة في مركز البلدة وأخرى أصغر حجماً على الأطراف.

وجدنا بعض العلامات التجارية والإعلانات المضيئة على جانبي الطريق، هناك بعض المطاعم القليلة، ومقاهٍ مغمورة لن يعرفها أي أحد يعيش خارج حدود المدينة الصغيرة. كان الشاطئ واضحاً ويغطي الجانب الشرقي من البلدة كلها. أبهرني تباين المظاهر واتحادها مع بعضها. كانت هناك لمحة من الحداثة في قلب المباني الحجرية العتيقة وصورة للطبيعة تطوّق البلدة.

وصلنا إلى أحد المطاعم الصغيرة. كان ضوء المصباح الداخلي ينسكب على الطريق الغارق في ظلام الليل. توقفنا أمام المدخل، وترجلنا متجهين إلى قلب المكان الفارغ. "مرحباً". هتف بران، ليثير انتباه الرجل الوحيد الذي كان يحوم بين الطاولات القليلة.

"مرحباً". رد الشاب، ثم نادى: "جيسي، يوجد زبائن".

خرجت شابة من خلف المدخل المؤدي إلى المطبخ، وبينما هي تسير نحونا، كانت تحاول ربط مئزرها. بدت أصغر من الشاب الذي استقبلنا... أصغر من أن تكون عاملة هنا. "مرحباً بكما". سحبت قائمة الطعام، وعرضت علينا اختيار الطاولة المناسبة.

"سنجلس هناك، بالقرب من الواجهة". أومأت وابتسمت في آن.

"هل تودان البدء بشرب شيء ما؟"

قلت: "قنينة ماء ستفي بالغرض". تركت قائمة الطعام، وانسحبت لثضر لي الماء. دفعت القائمة نحو بران وتركته يتصفحها، شعرت بالجوع أكثر من السابق في تلك اللحظة، وأدركت بأن كوب القهوة وحده الذي اقتحم معدتي.

لم تكن القائمة متنوعة، وهذا ما أثار إحباط بران نوعاً ما. عادت الشابة ومعها قنينة ماء، ثم وقفت بيننا مستعدة لتسجيل الطلب. "في الواقع... لا أعرف ماذا أختار".

قالت: "أصابع الدجاج والبطاطا المقلّيين، اختيار مناسب دائماً". ابتسمت، فكشفت عن تقويم أسنان معدني. لم يجادلها بران، وقرر أن يتناول هذا. لم أمعن كثيراً في القائمة، كانت الفتاة تضغط على طرف القلم باستمرار، كما لو أنها عاجزة عن الانتظار.

"هل أنتما زائران؟" سألتنا.

"لا. لماذا؟" سألتها بران بحذر.

"أراكما للمرة الأولى، عادة لا يختار أحد في الطعام هنا، فالأطباق بكل الأحوال ليست كثيرة. أعني لقد مرّ وقت طويل منذ استخدمنا قائمة الطعام حتى". قهقهت بصوت مميز ومزعج. "أنا آسفة، لكننا لسنا معتادين على وجود أشخاص جدد".

نظرنا إلى بعضنا، وحاولنا إخفاء الحرج: "انتقلنا إلى هنا حديثاً".

"أرى هذا".

"ألا يوجد العديد من السواح هنا؟"

أومأت نفيًا، ثم قالت: "أعني. . . ليس هنا بالتحديد". لم نفهم ما قالته. "هل تعيشان في مكان قريب من هنا؟" لم تنظر إلينا وهي تسأل. شعرث بالريبة من فضولها، لكن بران تخلص من إحساسه بالقلق تجاهها.

"ريد ستون". قال باعتداد.

لم تظهر أي تعبير، رفعت حاجبيها، لمحث شفرتها كادت أن تلتوي لظهور امتعاضاً أو رفضاً ربما. "أوه، هذا يعجبكما بكل تأكيد".

"ما نزال جديدين هنا".

طويث القائمة وقلث: "سأخذ أصابع الدجاج أيضاً".

هتفت: "هذا رائع". سحبت القائمة. "سيستغرق الأمر عشر دقائق تقريباً".

"إنها تبالغ في التعبير". همس بران.

"إنها شابة جداً... أعني مراهقة".

سألني: "ما الغريب في هذا؟ عادةً ما نرى شابات يعملن في مقاهٍ أو مطاعم صغيرة". كان محقاً، لكننا عادةً ما نرى أشخاصاً أكبر منها يحاولون نيل الدعم أثناء الدراسة الجامعية، أمّا جيسي فكانت ما تزال مراهقة. "هل تعتقدين بأنها تعرف جيراننا؟"

"لست واثقة".

جلسنا بصمت، وأسعفنا هذا في أن نتأمل الطريق الخارجي الفارغ. كانت هناك أضواء سيارات تعبر من حين إلى آخر، وأصوات محركات بعيدة، لكننا لم نر أي أحد يعبر من أمام الواجهة الزجاجية. كانت ليلة ساكنة مريحة رغم كل ما شعرنا به من تعب.

حين عادت جيسي تحمل أطباقنا، سألتها بران: "هل تعرفين أي أحد عاش في ريد ستون أيضاً؟"

"لا". أجابت بشكل تلقائي. "سمعت ذات مرة بأن هناك أشخاصاً مبدعين قد انتقلوا إلى هناك. أحدهم كان موسيقياً شاباً". تغيرت نبرتها، وهي تقول: "أخبرني أحدهم ذات مرة بأن كاميلاً لوكهارت انتقلت إلى هناك أيضاً، وأن صديقاً لي رآها تدخل المبنى".

"لوكهارت؟ الممثلة؟"

"بعينها، لكن أحداً مثلاً لم يرها هناك، عادة لا نرى سكان ريد ستون في الخارج. إنهم متعالون ومتعجرفون، لا ينتقل إلى هناك إلا النخبة منهم". تجدد الصمت الغريب بيننا، فيما كانت تطرح الأطباق. حين رفعت رأسها كان كلانا يحدق بها. "أوه، أنا... أنا لم أقصد ما قلته. أعني أنا لا أعرف من تكونان. إن فمي يتفوه بأشياء لا أعنيها، ولا أعرف كيف قلتها حتى". تراجعت الفتاة بسرعة، ثم اختفت وراء طاولة المطبخ. رفعت كتفي بينما كان بران يلوي شفته، وهو يحاول كتم ضحكته.

عندما خرجنا كان الهدوء قد تفاقم في الطرقات المحيطة بنا. لم نلاحظ الضغينة التي ولدت بيننا هذا الصباح وهي تزول في الليل.

شعرت بأنني كنت بالفعل أستطيع الاستمرار في هذا، وأن حياتنا تستحق فرصة أخرى. لم يحدث أي شيء يوحي بأن الأفضل آتٍ، لكنني أدركت فجأة كم كانت حياتي إلى جوار بران مريحة. ما تزال فكرة الرحيل تلمع في ذهني، لكنني أعرف بأن الجزء الأكبر مني أراد البقاء في المكان الذي يكون هو فيه. ازداد تعلقي بكل إنجازاتنا وبكل نجاحاتنا.

فكرة البدء من جديد، بدت لي مرهقة حينها.

انطلقنا عائدين إلى ريد ستون معاً، وسمح لنا ألكساندر بأن نُقحم سيارتنا في مرآب المبنى، وكان هناك بالفعل عدد قليل من السيارات. عبرنا معاً من الباب الجانبي إلى قلب البهو فوراً، ومع غياب الشمس اشتغلت مصابيح قليلة أنارت المنحوتات الحجرية، لكنها لا تضيء البهو بأكملها، فأصبح المكان كئيباً بشكل مفاجئ.

"هل تعتقد أن كاميلو لوكهارت، عاشت هنا بالفعل؟"

اقتحمنا المصعد معاً. "ربما. كيف ستبدو الآن، بعد كل هذه السنوات؟" كان هذا يثير فضولي أيضاً، فبالرغم من أن لوكهارت لم تكن من الممجلات المفضلات بالنسبة لنا، إلا أننا شاهدنا العديد من أفلامها. معظم ما قدمته كان سوداوياً، ودائماً ما ذكرت أنها تعمّدت اختيار توجه معين لتقدمه في السينما، حتى ثبت أنها استطاعت خلق نمط جديد خاص بها.

لم تكن لوكهارت ذات أهمية حقيقية في عالم الفن، ولعل هذا ما تسبّب في اختفائها المفاجئ بعد كل شيء. كانت تعمل لعقد كامل ضمن فريق واحد ومُخرج واحد، وضعها في إطار يصعب عليها

الخروج منه، حتى أصبحت في النهاية أيقونة مغمورة شبيهة بمورتيسيا آدمز، ويُقال إنها قدمت عرضاً مسرحياً فاشلاً، قُزِرت من خلاله أن تُرضي فضول الجميع وتؤدي دور مورتيسيا، لكنه حدث لم تلتفت الصحف إليه، لأن كاميلا لم تكن عنصراً هاماً بالنسبة إلى أي أحد، وحتى اختفاؤها حدث من دون ولادة أي تساؤلات حيال أسبابه، أو حتى احتمالية عودتها إلى الفن بعدة.

قادنا المصعد إلى الطابق الأخير، وسرنا في الممر الفاصل بين الشقتين. التفت بران نحو الباب المغلق في آخر الممر. "أتساءل من يعيش هناك؟"

"سنعرف قريباً".

صلصلت المفاتيح حين سحبها. كان مفتاح شقتنا ذهبياً مميزاً، وأكبر حجماً من البقية، وعلى حلقاته كانت هناك نقوش دقيقة لا معنى لها، سوى أنها كانت تزيّن الطرف المعدني للمفتاح. سمعنا صوت حركة بعيدة، تنبعث من وراء الباب الآخر، فالتفت بران مجدداً، وتوقع ظهور أي أحد.

اقترب الصوت من الباب الخشبي، ثم تلاشى.

ظننت أنني رأيت ظلالاً أسفل الباب الخشبي. "هل كانوا يراقبوننا؟"

"ربما ينتابهم الفضول". همس، ثم سبقني إلى قلب الشقة.



"عليك رؤية المكان هنا أولاً". كانت ماريان تطلق أحكامها، قبل أن تعرف كيف يبدو ريد ستون. "لا أعرف متى ستأتي هذه الفرصة، لكنك لن تصدقي مقدار الهدوء الذي نحظى به هنا". قضينا اليوم التالي ونحن نحاول إنهاء كل مهام الترتيب التي تعين علينا القيام بها، وما يزال الهدوء يسيطر على المبنى.

"ألم تقابلي أياً من الجيران حتى؟"

"لا". أردفت: "هذا هو الجزء الأغرب، أحياناً ألقى نظرة على الحديقة الأمامية للمبنى، أو حتى الساحة الخلفية الصغيرة. لا أصوات ولا ضوضاء حقيقية. لا أحد يخرج أو يدخل. حتى المصعد لا أسمع صوته يتحرك". عزوٲ هذا إلى حادثة وجودنا هنا.

"يبدو هذا مريحاً على الأقل".

أيدٲها: "بالطبع هو كذلك".

"كيف هو حال بران الآن؟"

"إنه أفضل. يبدو منفعلاً أحياناً، لكنّه يستطيع تمالك هدوئه معظم الوقت". كتمٲ السماعه وتأكدٲ من أن بران ليس قريباً مني. "إن مشكلته مع الكتابة تشكّل هاجسه الوحيد طوال هذه الأشهر. إنه يواجه صعوبة في التعامل مع الأمر، ويعتقد بأن انتقالنا إلى هنا هو الحل".

"ربما هو محق". حاولت ماريان أن تكون دبلوماسية.

"أنت لا تريدين الانحياز إليّ، هذا كل شيء. أنت تعرفين جيداً أنه يُبالغ في هذه المسألة".

"لا يمكنك أن تُحجّمي الأمر من وجهة نظرك أنت يا إيسيا . إن الكتابة أسلوب حياة بالنسبة إليه.. إنها محور حياته، ويصعب عليه تقبّل فكرة أنه ما عاد قادراً على صناعة أي عمل جديد". كانت أصداء أعماله السابقة ما تزال تتردد، لكنّ فكرة إنشاء عمل جديد كانت وحدها تسيطر على عقله.

"إنه يسابق الوقت، وهذه هي المعضلة الأساسية. أحاول تذكيره بأنه يمتلك كل الوقت، لكنه يعمل كما لو أن شيئاً ما يطارده". لطالما شعر بران بالخوف من الوقت. ظل يعتقد بأنّ سنوات عمره وحدها لن تكفي حتى يصنع الإبداع الذي كان يصبو إلى صناعته، على الرغم من أن معظم الفنانين استطاعوا خلال سنوات حياتهم أن يخلّدوا أسماءهم. هو أيضاً استطاع أن يقطع شوطاً كبيراً من الأدب، وكوّن لنفسه قاعدة كبيرة، لكنه ما يزال يشعر بأنه لن يستطيع أن يستمر، وإنجاز عمل جديد سينفي فكرة فشله أو نضوب أفكاره، وهذا ما كان يدفعه إلى القتال من أجل كتابة رواية جديدة.

"أعتقد بأنّ بران عقلاني، وسيتوصل إلى حل في وقت ما".

ربما كان الحل موجوداً، لكنني خفت من أن أطلعه عليه. "لقد أجريث بحثاً صغيراً عن المنطقة، واكتشفت أن هناك شيئاً ربما يكون قادراً على مساعدته".

"شيء!.. مثل ماذا؟"

"يوجد هنا معالج يدعى مارك فيلاسكو، قرأت العديد من المقالات عنه، وأجريت بحثاً جيداً قبل انتقالنا إلى هنا. وحدث الإعلان بالصدفة، لكنه بدا لي كرسالة من السماء". قلت بتهكم: "إنه مختص في علاج مثل هذه الحالات".

"هل تعتقدين أن بران يحتاج فعلاً إلى رؤية طبيب".

قلت لها: "كلمة طبيب تبدو جادة، أفضل أن أطلق عليه صفة معالج. هو مختص في التعامل مع أمور مثل حبسة الكاتب، وفقدان الإلهام بالنسبة إلى الفنانين. كنت أبحث مطولاً عن علاج لهذه الأمور ووجدت عنوانه، ومن حسن حظنا أنه يعيش بالقرب من هنا".

"ماذا بعد ذلك؟"

"يمكن لبران أن يقابله، ويتحدث معه بشأن مخاوفه بشكل صريح، وسيرى الطبيب كيف سيتعامل معه حينها". أضفت قبل أن تقاطعني ماريان: "أعلم أن مسألة الإلهام ليست بيد المعالج، ولا يمكن لأي شخص آخر أن يصححها، لكن ماذا لو كان لديه آليات عمل مناسبة؟"

أصبح صوتها بعيداً فجأة "لست واثقة من مدى صحة الأمر." ثم أصبح أكثر وضوحاً فجأة. "لكنني لا أرى أي ضرر من التجربة حتى، اعرضي عليه الأمر".

"هذا ما يقلقني".

سألثني: "أن تعرضي عليه الأمر؟"

"لن يتقبل الفكرة، فهو يرى أن المشكلة نابعة منه وقدرته تخونه، وهو يستطيع أن يسيطر عليها. أعلم جيداً أنه سيفضب إذا ما علم

بأنني بحث عن معالج لحالته هذه".

قالت: "لا أفهم دواعي غضبه، إن كان سيفضب بالفعل".

"سيعتقد أن لجوءه إلى معالج سيبدو كاعتراف بعجزه. تعور تأثيرته ما أن نتحدث عن إمكانية عودته إلى الكتابة، أو حتى حين أنصح به بعدم المحاولة. يعتقد بران أن الأمر يمس كبرياءه. لا يمكنني أن أتخيل مدى تأثير فكرة اللجوء إلى معالج هذه المرة".

نصحتني ماريان: "لا يمكنك التخمين، فقط أطلعيه على الفكرة، وإن رفضها فهذا هو قراره".

سمعت صوت صراخ طفل إلى جوارها، فسألتها: "أهذه سارة؟". اقترب صوتها أكثر من سماعة الهاتف. "كيف حالها؟"

"إنها تنمو بسرعة، وتزداد مسؤوليتي بشكل مفاجئ". كانت ماريان تواجه حقيقة تحولها إلى أم بشكل سريع، وأردت بأنها تحاول التماسك فقط لأن هذا ما تتطلبه الحياة منها. حاولت دائماً أن أجزها إلى الاعتراف بالضعف، لكنها كانت تكابر، وتعتبر هذا الصمت كنوع من أنواع التضحية.

"قبلها من أجلي". رأيث بران يظهر عند مدخل الحجرة. "سنتحدث لاحقاً".

"لا تضغطي على بران، وتذكري بأنني موجودة في أي وقت تحتاجيني فيه. اتفقنا؟"

"اتفقنا، وداعاً؟" خفضت السماعة، فيما كان بران ما يزال يقف عند المدخل الممتد من الأرضية الخشبية وصولاً إلى السقف. كانت

الأبواب كلها بنفس الارتفاع تقريباً، وكذلك النوافذ المصممة على الطراز الفرنسي. تقدّم بران نحوي، وبدأ أفضل حالاً بعد أن انتهينا من أعمال التنظيف.

"على ماذا اتفقتما؟" طوّقني بيديه.

"على أن أكون صبورة معك."

ابتسم، فظهر صف أسنانه البيضاء. "وهل أنا سيئ إلى هذا الحد؟"
"أحياناً".

"هذا جيد. لست سيئاً كل الوقت إذاً" تحركنا معاً نحو الستارة الشفافة، حيث كان نور الشمس يتدفّق بقوة، وقفنا نراقب الحديقة معاً: "كيف حالها، وحال الطفلة؟"

"إنهما بخير، لم يتسنّ لي التحدث إليها طويلاً". أضفت: "أنت تعرف ماريان، هي لا تتحدث عن الأمور السيئة أبداً". لم أفهم كيف كانت تتحقّل هذا الصمت حتى.

"لماذا لا تأتيان إلى هنا؟"

"عرضت عليها ذلك، سينتهي الصيف ولن يعود بإمكانها السفر بعد ذلك. يبدو لي أنّ هناك أشياء أخرى تشغلها". استدرت نحوه: "ثم إننا بالكاد تخلصنا من الفوضى، وما يزال هناك الكثير من أعمال التنظيف، ولا أريد أن يعيقنا وجود الطفلة معها". لم يحاول إقناعي بعكس ذلك.

دنوث من الزجاج، وسمح للحرارة بأن تعبر إلى جبیني، راقبت

الحديقة التي ماتت قبل سطوة الخريف عليها. كانت هناك نوافير وتمائيل حجرية باهتة لأطفال بأجنحة، ولرجال ونساء يتأملون بحزن تحيط بكل زوايا الحديقة. أما في قلب النافورة، فكان هناك تمثال وحيد لامرأة منحنية تخفي وجهها بين ذراعيها.

فكرت في مسألة المعالج، ووصلت الكلمات إلى طرف لساني، لكنني لم أجرو على قول أي شيء الآن. ربما كان علي أن أنتظر محاولته هو أولاً. "لا شيء سيمنعك الآن من محاولة الكتابة، إن المكتب مهيأ لهذا الآن."، أوما بصمت. "أما تزال قلقاً؟"

"لا". أجاب باقتضاب.

"ما الأمر إذاً؟"

"لا شيء، أنا فقط... أحاول أن أستجمع طاقتي للبدء من جديد". أخبرته بأن لديه كل الوقت للقيام بهذا، لكن هذه الجملة فقدت تأثيرها عليه الآن، وما عادت تواسيه كما حدث في المرة الأولى.

"يمكنك قراءة كتاب جديد إن شعرت بأنك تحتاج إلى دافع ما. ربما يمكننا أن نشاهد فيلماً جديداً أيضاً". خطر في ذهني تساؤل سخي، فقلت: "ألا يوجد نادٍ للفيديو هنا، أو حتى متجر لتأجير الأشرطة الحديثة؟". لم نحاول اكتشاف هذا! كنا تقريباً قد شاهدنا معظم الأفلام التي نقلناها معنا إلى هنا، وفكرة اقتناء شيء جديد، بدت لي مغيرة للاهتمام، لكن بران ظل متجاهلاً للفكرة.

"ربما... ربما تساعدني القراءة". قال بهدوء، ثم انسحب.

راقبته وهو يخرج من الحجرة، وما إن اختفى حتى تنهدت. لم

يسمع ما قلته لماريان، وهذا هو الجزء الأهم بالنسبة لي. لم يعد هدوءه السريع يفاجئني، فهو عادة ما ينتابه القلق حين يحاول العودة إلى كتابة روايته الجديدة. كنت قد ساعدته في تثبيت أوراقه على الجدار، كانت تلك الأوراق تحتوي على ترتيب لبعض الأحداث وتعريف للشخصيات وبعض الرسومات التوضيحية، حتى يمتلك بران صورة واضحة عما يكتبه.

لم أفكر في التدخل أكثر وفرض مساعدتي عليه، لأن طاقتي للقيام بهذا قد نفذت بعد كل هذا الوقت، وأعرف جيداً أنه لن يُقدّر محاولاتي لإنقاذه بشكل حقيقي. تجاهلت أساه وتركته يحاول تصحيح الأمور وحده هذه المرة.

سمعت صوت حركته في المكتب، ثم ساد الصمت التام بعد ذلك.

سألت لي الفرصة بعد ذلك لتفتيش الأجزاء المتبقية من الشقة، رغم تنظيفنا المسبق لها قبل أن ننتقل إلى هنا، إلا أنني لم أفُتَش المخزن الصغير خلف المطبخ، وكانت خزانات العياب ما تزال في الغرف الاحتياطية مغلقة حتى هذه اللحظة. يوجد حجرة إضافية ضيقة، تعجبت حين وجدت الأثاث العتيق ما يزال موجوداً فيها. كان هناك سرير بأطراف معدنية صدئة وطاولة جانبية خشبية ومكتب صغير وخزانة بسيقان مرتفعة، لم يكن للمكان أي رائحة واضحة سوى رائحة الأغذية القديمة.

فتحت النافذة الصغيرة وسمحت للضوء الخارجي أن يقتحم المكان، وأبقيتها مفتوحة لعل رياح الصيف تجدد هواء الحجرة. تركت المكان ورحت أفُتَش الحجرتين الإضافيتين، كانت الأولى أكبر

حجماً وهي الأقرب إلى غرفتنا أنا وبران، بينما كانت الحجرة الأخرى أنسب للأطفال، فهي أضيق بنافذة جانبية وحيدة.

فتحت الباب الخشبي فاستقبلتني الخزانة الفارغة، خطوات إلى الأمام مستعينة بنور النافذة، دفعت دفعة الباب الداخلي، ولم أجد في الخزانة سوى مكعب صغير على الأرض، كان وزنه خفيفاً ورغم هذا حملته بكلتا ذراعي. لم أميز الرسومات على جانبي العلبة الخفيفة، حتى نقلتها نحو الضوء المندفع من باب الخزانة. كانت هناك علامات طفولية منقوشة على الصندوق، وأطراف ذهبية تلمع بشدة.

من دون سابق إنذار قفز شيء ما نحوي فقذفت العلبة، وتراجعته نحو ظلمة الخزانة. لم أدرك الصرخة التي أفلتت مني، حتى شعرت بخشونة غريبة في حجرتي. ظل المهرج يتأرجح فوق فوهة العلبة، وضحكة مكتومة تفلت منه، ثم تلاشى الصوت الهزيل.

"إليسيا". ناداني بران، قبل أن يظهر أمامي حتى. "هل أنت بخير؟" كانت صرختي قصيرة سريعة وواضحة أيضاً، وقفث أمامه وصندوق المهرج في يدي.

"أرعبني". حرّكت الصندوق، قبل أن أمنحه إياه.

"ما هذا؟" لم أمنحه إجابة، لأن الأمر كان جلياً. راح يُقلّب العلبة، ثم أعاد المهرج إليها قبل أن يسمح له بأن يقفز في وجهه من جديد. كان عتيقاً جداً، حتى إنّ صوته كان مخنوقاً، ولا يكاد يتجاوز علبته المعدنية الصغيرة. "أين عثرت عليه؟"

"هنا، في الخزانة". تركت المكان ونفضت الغبار عن ثيابي. أغلقت دفتي الباب الخشبي. "لا أعرف لماذا كانت هذه العلبة هنا، أو من تركها حتى". سألتُه: "ألم تقل بأنهم نقلوا كل شيء كان هنا؟ أعتقد أنّ حجرة الخادمة ما تزال مؤتمّة".

"رأيث ذلك بالفعل، ولم أرَ أي ضرر من بقاء تلك القطع هناك. سنتخلص منها لاحقاً، إن تطلّب الأمر". قال ذلك، ثم ترك علبة العفريت على إطار النافذة الخشبي. "هل أنت بخير؟" أومأث مؤكدة. "أسأعديك إن تطلّب الأمر".

"لا يحتاج الأمر هذا كله. لم أقصد مقاطعتك حتى".

"لا بأس". حاول أن يواسيني، لكنني تجاوزت مرحلة الخوف بالفعل.

التقطت اللعبة مرة أخرى. "لا تتركها هنا، سأخفيها أو أتخلص منها".
كنث قد كرهت رؤيتها بالفعل. "يمكنك العودة إلى..." قاطعنا صوت
الجرس فجأة. لجمت لساني، ثم همست: "هل تعتقد بأننا تسببنا في
إزعاج أحد؟"

"لا ثبالغي في حذرِك"

اتجه بران نحو الباب، وحين فتحه رأيث طيف أحدهم يقف في
الممر. "أنا أعذر إن كنث أتطفل عليكما، ولكن هل كل شيء على ما
يرام؟" سحب الباب لأتأكد من هوية صاحبة الصوت الأنثوي. "إنني
أسكن في الشقة الواقعة تحت شقتكما مباشرة، وأعتقد بأن صوت
الصراخ قد انبعث من شقتكما، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح". ابتسمت، وصندوق العفريت ما يزال في يدي.
"وجدت هذا، بينما كنث أعبت في الأرجاء". لم أجد شرحاً مناسباً،
فقلث وأنا أقهقه: "الأمر سخييف حقاً".

ابتسمت هي، ثم قالت: "لا عليك... كنث قلقة فقط".

"شكراً لحرصك. أنا براندون روزوود، وهذه زوجتي إيسيا".

مدت يدها لتصافحنا. "أنا مارثا فارنوورث". كانت رشيقة، بعض
التجاعيد تغطي وجهها، وشعرها المجعد القصير يعطيها هيئة أكثر
شبابية. ارتدت قميصاً أزرق وسروالاً أسود فضفاضاً. "أعيش في
الشقة التي تحتكما مباشرة، مع زوجي وابني الوحيد".

"تفضلي، يمكننا تقديم أي شيء لك". ترددت، فقلث بإصرار: "نحن
لم نتعرف على أي من الجيران بعد، وسنكون سعيدين بوجودك".

"ما لم يزعجكما هذا" سرنا معاً إلى غرفة المعيشة، وتركنا الصندوق على الطاولة، فانحنى مارثا بفضول تجاه الصندوق. "هل وجدت هذا هنا، بعد أن انتقلت إلى الشقة؟" أومأت. "هو من متعلقات القاطن السابق حتماً".

"هل كنت تعرفينه؟" سألتها بران.

"لا، لم نلتق قط. لقد خرج منذ وقت طويل، وخلال إقامته لم نكن نراه". انتقلت إلى المطبخ، وتدرجياً راح صوتا بران ومارثا يتلاشيان. أعددت الشاي لنا جميعاً، واستغرق مني ذلك دقائق عديدة، وحين عدت كانا منغمسين في حديث قصير.

"هل تعيشون هنا منذ وقت طويل؟"

"منذ سبع سنوات تقريباً". رفعت حاجبي دهشة. هذا وقت طويل كي تعرف ما يكفي من التفاصيل عن المبنى. "آخر شخص انتقل إلى هنا، قضى عاماً أو اثنين لسث واثقة".

سألته: "ثم ماذا؟ ما الذي حل به؟"

راوغت، رفعت كوب شايها. "قَرّر الرحيل ببساطة". نقلت بصرها نحو الحجرة. "المكان جميل، ثم إن شرفتكما تتيح لكما رؤية المنظر كاملاً حول ريد ستون".

قلت: "هذا أكثر ما يعجبني فيها".

كنت أكذب. كان المكان ساحراً بشكل طبيعي، لكن بالنسبة لي، لم أجد الشيء الوحيد الذي استطاع أن يسرقني، ويُبقي شغفي معلقاً في هذا المكان.

"منذ متى وأنتما هنا؟"

"منذ يومين". أجاب بران. "ظننت أن الضوضاء التي تسببنا بها كفيلة بأن تنذر بوجودنا".

"ضوضاء! لم يكن هناك أي إزعاج بالنسبة لنا. نحن لم ندرك حتى بأن هناك من يعيش فوقنا، حتى سمعنا صوت صراخ إيسيا من خلال النافذة".

غصت في مقعدي قليلاً. "لم أقصد التسبب في هذا".

"أوه، لا عليك. كلهم سيتفهمون ما حدث".

علق بران: "إنها قلقة بشأن القوانين. كانت اللائحة صارمة إلى حد ما".

ابتسمت مارثا. "القوانين.. ومن يكثر لتلك القوانين؟. إنهم يملونها علينا جميعاً، كما لو كنا مجرد آلات تعيش هنا، لكن الواقع يختلف كثيراً عما قالوه لك. عندما تتعرفين على الآخرين ستدركين أن الأمور تسير بشكل مختلف. المكان هنا لا يشبه أي شيء آخر". صحت ما قالتها: "لا أنكر أن بعض الجيران يُفضلون الانعزال، لكنهم لا يشكّلون الأغلبية حتى".

"هل تعيش كاميلاً لو كهارت هنا؟"

أشرفت عيناها. "إلى جوارى مباشرة، إنها من القلة القليلة التي تفضل الانعزال. حتى في المناسبات القليلة التي تُقام هنا لا نراها".

"ماذا عن قاطني الشقة المقابلة لنا؟" سألتها، وبحيث عن التوبيخ

في نظرة بران، لكنه لم ينظر إلي مطلقاً، بل كان يترقب إجابة منها.
"لا أعرف إن كان هناك أحد يقيم في الشقة بالفعل أم لا". أضافت:
"أنا لا أصعد إلى هنا مطلقاً، لكنني أعرف أن هناك امرأة انتقلت إلى
هنا قبل سنوات، تدعى جوليا ماكني، لكنّ أحداً منا لم يقابلها من
قبل". ارتشفت من شايتها مرة أخرى، ثم طرحت الفئجان بحذر.
"جوليا ماكنيل". رددت الاسم هامسة.

"هل تعرفينها؟"

نفيث: "لا، لكن الاسم يبدو مألوفاً".

"لا أعرف إن كانت حقاً ما تزال هنا أم أنها انتقلت. فالسكان عادة
ما يأتون ويختفون فجأة. ما أعرفه أن هناك امرأة... فنانة أو شيئاً
من هذا القبيل قد انتقلت إلى هنا قبل ثلاث سنوات تقريباً، ثم تبدد
هذا الخبر، حتى إن اسم جوليا تبدد معه بشكل نهائي. لا أحد يراها،
لا أحد يتحدث عنها حتى".

"هذا مثير للاهتمام.. أن تتلاشى فجأة بينما هي موجودة هنا".

قالت مارثا: "لا أحد يكثرث لما تقوم به، فالأشخاص هنا
يقصدسون الانعزال، وإن كانوا اجتماعيين إلى حد ما. دائماً الأولوية
للخصوصية، وهذا ما يجعل الانتقال إلى هنا أمراً شبه مستحيل. لا
يمكنك التقاط صور للمكان من الداخل ونشرها، هذا قد يتسبب في
طرد السكان".

"أخبرونا بهذا". أكدث لها.

"هذه الخصوصية تنطبق عليها هي أيضاً، إذا كانت موجودة بالفعل".

"إنها موجودة. أعني. . . نحن لم نقابلها، لكنني أشعر بأن هناك شخصاً خلف الباب المقابل لنا". لم يكن هناك أكاليل أو دواسة أقدام عند الباب، ولا خزانة أحذية. لا شيء يعبت وجود جوليا ماكنيل هناك. ماذا لو كانت مجرد شبح يعيش هنا؟

"فرانك يتوقع عودتي، لذلك سأرحل". نهضت من مكانها. "شكراً على الشاي يا إيليسيا، المرة القادمة ستكون في بيتي أنا".
"بالطبع".

"ولا تترددا في سؤالي متى احتجتما إلى أي شيء. سيكون مريحاً بكما في أي وقت".

رافقناها إلى باب الشقة، وعندما خرجت بقينا نستشعر حركتها حتى اختفى وقع خطواتها على السلم. "تبدو لطيفة". قلث بينما كنث أثجه نحو أكواب الشاي، وأحملها.

أيدني براندون: "هي كذلك، رغم أنها فضولية إلى حد ما".

"فضولية! هي لم تسألنا عن أي شيء حتى". قلث.

أجاب: "ألا ترين لهفتها، وهي تتحدث عن الجيران هنا. لن يطول الأمر حتى تصبح جزءاً من مهامها. ما إن سمعت صراخك حتى هرعث إلينا على الفور".

"سنقوم بالمثل، لو كنّا مكانها".

توارى في المطبخ، بينما كان بران يعود إلى مكتبه بعد كل ما حدث من فوضى. غسلت الأكواب وأنا أفكر في آخر شخص عاش هنا، وفي أسباب رحيله. كانت مارثا تتحدث كما لو أنه كان لغزاً حيرها. تحدثت بنفس الطريقة عن جوليا ماكنيل. انتابني الفضول حيال المرأة التي تعيش على الجانب الآخر من الطابق. لو أن مارثا سردت الأمر بشكل طبيعي لما كنت سأتساءل عنها، إلا أن نبرة صوتها وبريق عينيها يجعلان الأمور أكثر تعقيداً بالنسبة لي.

قضيّ المساء وأنا أشاهد فيلم الأحد الأسود، ورغم أنه لم يكن من أفلامي المفضلة إلا أنني كنت قد نسيّت معظم تفاصيله. أسمع وقع مفاتيح الآلة الكاتبة من حين إلى آخر، ثم يسود الصمت التام لبرهة طويلة جداً، فأشك أن بران قد تخلّى عن محاولاته أخيراً.

بعد أن تجاوزت أربعين دقيقة من الفيلم، ضغطت على زر الإيقاف المؤقت. "بران". ناديت، وكان صوت الآلة الكاتبة ما يزال معدوماً. "بران". ناديت بهجدة أقل. رفع رأسه عن الأوراق ونظر إليّ، ونور المصباح الجانبي ينعكس على جانبي وجهه. كانت الشمس قد اختفت من خلال النافذة الضخمة المكشوفة وراء ظهره.

نظر إليّ مباشرة. "ماذا؟"

"هل كتبت أي شيء؟" نفى وأخفى غضبه. "هل ترغب في الخروج؟"

"إلى أين؟"

رفع كتفيه. "لا أعلم. ربما يمكننا الذهاب إلى مركز التسوق، ما تزال

العلاجة خالية حتى الآن".

"لا، ألا يمكنك القيام بهذا وحدك؟" لم أجادله لأن جزءاً مني أراد قضاء بعض الوقت بعيداً عن هذا المكان، وبعيداً عن كل شيء يشبه بران وصمته المستمر. أخذت المال من محفظته وحملت حقيبتني، ثم خرجت من الشقة قاطعة الممر المعتم وصولاً إلى المصعد.

من بعيد رأيت جزءاً من البهو، كان فارغاً، ولهذا الفراغ صوت مكتوم يتردد، كما لو كنا في فم تنين. انعكست الأضواء الخافتة المائلة إلى الحمرة. حاولت أن أسمع الأصوات المجاورة لي، إلا أن الممرات ظلت ساكنة، ولا ينبعث منها أي صوت واحد حتى.

وحده طنين المصعد كان مسموعاً.

رحت أراقب الباب المقابل لي وأتوقع أي حركة. وصل المصعد فقاطعني، اقتحمته، وفي آخر لحظة ظننت أنني لمحت حركة الباب الآخر، رفعت رأسي بينما كان المصعد يهبط، لكنني لم أتأكد مما إذا كانت هناك أي حركة في الخارج أم لا.

لم تكن الأوقات التي تبعت الغروب مباشرة، بنفس الهدوء الذي كانت عليه المدينة بالأمس. كانت هناك حركة خافتة في الطرقات وفي ساحة المركز التجاري، وجدت عدداً قليلاً من المركبات. غرق المكان في الظلمة، ووحدها مصابيح مركز التسوق شكلت بؤرة مضيئة على جانب الطريق.

حين دخلت وأنا أدفع العربة لمحت شخصاً يحدق في باهتمام، حين استدرت رأيت امرأة في عمر مارثا تقريباً، وفي رفقتها فتاة

مراهقة. ابتسمت المرأة بينما كنت أراقبها بتساؤل. عقدت حاجبي وابتسمت ببلاهة. "أنتِ هي القاطنة الجديدة في ريد ستون، أليس كذلك؟"

"أنا هي بالفعل".

قالت الأم: "رأيتكِ اليوم في بهو المبنى، لكنكِ لم تنتهبي إلى وجودي".

"حقاً، الأعمال في الشقة أنهكتني".

"أنا إيميليا كاسيدي، وهذه ابنتي إيزابيل".

وجهت يدي نحوها، لكنّها التقطتها بحذر لتصافحني. "أنا إليسيا روزوود".

اسمكِ جميل". همست الفتاة.

"شكراً لك".

"أنتِ زوجة براندون روزوود الروائي، أليس كذلك؟" ما يزال الأمر يفاجئني، حين يتجه الحديث فجأة إلى الزوج المشهور والناجح. لم أكن أشعر بالغيرة قط، بل كان الأمر يُسعدني أحياناً، لكنني شعرت بأنني شيء هامشي فجأة. "هو أيضاً جارنا".

أفلتت مني ضحكة قصيرة: "بالطبع، هو هناك في ريد ستون".

"أنتِ هنا وحدكِ إذناً؟"

التفت حولي لأرى المكان وقد ساد الهدوء تدريجياً: "أعمال النساء لا تستهويه عادة، لذلك أفضل أن أكون هنا وحدي. انتقلنا إلى

هنا بالأمس، وما يزال المكان شبه فارغ.

"أنتِ تعيشين في الشقة 22؟"

"هذا صحيح، ربما تستطيعان زيارتي في أي وقت". رأيت تعابير وجه الأم تختفي، بينما ظلت الفتاة تحذق إلي ببلاهة. علقت ابتسامتي على وجهي بشكل غبي، وأنا أنقل بصري بين وجهيهما: "سأكون سعيدة بالتعرف إليكما بشكل أكبر".

"بالطبع". هتفت الأم من دون حماس: "سنلتقي كثيراً في المبنى أيضاً".

"بكل تأكيد". دفعْتُ عربتي بعد أن ودَّعت المرأة، التفثُ بغتة لأرى صورتها الأنيقة، كانت هي وابنتها تحذقان فيّ، وما إن التفثُ حتى أزاحتا عينيَّهما عني بسرعة، ثم تحركتا.

بعد أقل من عشر دقائق سمعتُ صوت جدال المرأة وابنتها، ثم أتى صوت إيزابيل واضحاً من وراء الرفِّ العالي: "ماذا لو أنَّ الرجل كان ميتاً بالفعل؟ نحن لا نعرف الحقيقة حتى!".

اعترضت إيميليا: "هذا الأمر لا يعني".

ردَّت الفتاة بصوت أقل وضوحاً: "هل تعتقدين أنها كانت تعرف؟ هل أخبروها قبل أن تنتقل إلى تلك الشقة؟ لقد كانت خالية لوقت طويل". وقفت مصغية، لكنَّ عربتهما تحرَّكت، وحين حاولتُ أن أتبع صوتها، كان الهدوء قد ساد بشكل تام.

اندفعْتُ نحو الممر، ولم أجد أي أثر للفتاة أو لوالدتها.

شخص ميت. كانت تلك مفاجأة جديدة!.

"إنه مجرد حدس، الفتاة لا تعرف إن كان الرجل الذي تقصده ميتاً أم لا". كُنْثُ أَعَدَّ أول وجبة غداء لنا في منزلنا الجديد، فيما كان بران يحاول أن يقنعني بعكس الأفكار التي ملأت ذهني: "ماذا لو أنها لا تقصد سكننا هذا حتى؟" كان النقاش واضحاً، ولن يكون المقصود به شخصاً سواي أنا.

"مارثا أيضاً تحدثت بشكل مريب عن القاطن السابق.. حدث هذا أمامك".

"لكنها قالت إنه ترك الشقة بشكل مفاجئ، ولم يفت هنا".

وضعت المعكرونة في الماء المغلي، ثم التفث لأقول له: "لماذا أجرونا هذا المكان بسعر غير متوقع؟ كلانا كان يتوقع أن نسدد أجرة أكبر لقاء الانتقال إلى هنا. الفرصة بدت سهلة، وكل القوانين الصعبة للمبنى اسثنينا منها أنا وأنت فجأة".

"ما الذي تحاولين قوله؟ هل تعين أنهم خدعونا؟"

"لا. لم يخدعونا". أردفت قائلة: "إنهم فقط لم يُطْلِعُونَا على مسألة المالك الأصلي بوضوح، لم يتحدثوا عنه إطلاقاً، وحين سألت السيدة فيشر لم تمنحني أي معلومات واضحة حيال ما حدث. ألا يغير هذا الأمر استغرابك؟"

"لا، المسألة لا تتطلب كل هذا القلق".

وقف كل منا على جانب من الطاولة: "ماذا لو أننا نعيش فعلاً في

منزل رجل ميت؟ تركنا منزلنا لنعيش في مكان لا نعرف حتى مَنْ يقطنه، وما الذي حلّ به؟".

"هذا ما سيؤول إليه الحديث في النهاية؛ منزلنا القديم".

رفعت إصبعي في الهواء: "لا تستدرجني إلى هذه النقطة، لثقي اللوم علي. أنت فقط تبحث عن ذريعة لتشعر من خلالها بالراحة". كاد أن يقول شيئاً ما، لكنني قاطعته: "لا تحاول أن تجعل مني شماعة لمسوغاتك يا براندون".

"أنا لا أحاول القيام بأي شيء، أنت فقط ترفضين الاعتراف برفضك لهذا المكان".

قلت: "أنا أرفض البقاء في مكان أجهل ماضيه، ورغم هذا... أنا أحاول التغاضي عن الفكرة منذ البارحة، حتى لا أعكر صفوك. كتمت الأمر قدر المستطاع، لكنني لا أتحمّل هذا القلق". أرخيت يدي على الطاولة، وتنهدت لأفرغ كل غضبي. "أصغي إلي، أنا لست واثقة مما حدث هنا".

"هذا ما حاولت قوله..."

قلت بانفعال: "وسأتصرّف كما لو أنني أجهل بالفعل حقيقة هذه الشقة، سأفعل هذا لأنني لا أريدك أن تعتقد بأنني السبب في كل عائق تجده أمامك". تراجع بران وترك المطبخ غاضباً. بعد عدة ثوانٍ سمعت صوت باب الشقة يُغلق.

سئمت من محاولته خلق حدود لكل شيء، في كل نقاش يرميني في حقل الألغام، ولا يترك لي سوى بضع كلمات قليلة لا تنفع في

نقاشنا، لأنني ما لم أختَر كلماتي بعناية سأثير استياءه من واقعه.
حاولت ألا أشعر بالذنب لأنني أذكره بفشله،

فعليه أن يواجه الحقيقة في النهاية.

ما يزال الطعام على الموقد، وكنت على وشك أن ألغي كل شيء،
لكن إعداد الطعام كان سبيلي الوحيد لأفرغ كل ما شعرت به من
غضب. تركت الطعام على الموقد، وخرجت إلى الشرفة المفتوحة.
كان الهواء عبقاً برائحة الملح المنبعثة من الشاطئ، ومع كل موجة
من الرياح الثقيلة الحارة، كانت هناك نغمات تعبر مسامعي.. نغمات
مبهمة، ربما كان مصدرها جهازاً تشغيل أسطوانات أو مذياعاً قديماً.

سرتُ إلى جانب الشرفة وحاولتُ أن أصغي بإمعان. كان مصدر
الصوت يأتي من الشرفة المجاورة، لكنني لم أكن واثقة من ذلك،
فالصوت ما يزال بعيداً عني.

بحثت في المساحة الخارجية عن أي أثر لبران، لكنه لم يكن في
الساحة الخلفية، وددت لو أنني منعه من الخروج أو حتى تبعثه إلى
الخارج.

تلاشت فجأة الأصوات حولي، وعدت إلى الداخل متوارية عن
رياح أول الخريف. أغلقت الشرفة خلفي، وبقيت في غرفة الجلوس
أطلع على المجلات القليلة التي اشتريتها من مركز التسوق. امتلأ
المكان بالرائحة بعد ذلك، وحين عدت إلى المطبخ لأسكب الطعام
أدركت أنني ما عدت أشعر بالجوع.

سيطر علي الملل معظم الوقت خلال هذه الأيام القليلة، وكان

الهدوء قاتلاً. لم يتغير شيء بعد رحيلنا عن منزلنا القديم، إلا أن الهدوء في ذلك المكان كان مألوفاً، أما هنا، فالصمت كان لا يطاق، لا أصوات خارجية ولا حركة توحى بأن العالم في الخارج مستمر في نمطه الاعتيادي.

توقّعت عودة بران في أي لحظة، إلا أن غيابه طال أكثر ممّا توقّعت، لم يستغرق الأمر وقتاً قصيراً كما توقّعت. وهج النهار في الخارج كان يخبو تدريجياً رغم ارتفاع الشمس، أعادني رنين الهاتف إلى الواقع، فأجفّلت بعد أن تحطّم الهدوء.

قفزت من مكاني متجهة إلى الهاتف الأسود العتيق في الممر الفاصل بين البهو الصغير وغرفة المعيشة، حملت السماعة التي لم ألاحظ وجودها هناك حتى. "بران". ناديته، توقّعت أن مكروهاً أصابه، أو لعله أراد أن يُعلمني بسبب تأخيرته.

ساد الصمت لغوان قليلة.

"بران! أهذا أنت؟" لم يتغير السكون، أضحث السماعة عن أذني، ثم أعدّتها لأتأكد من أن هناك أي أصوات تنبعث منها، ولم يختلط هذا الصمت بالسكون المحيط بي في الشقة. "من هذا؟" سألت في النهاية.

"هل عاد ليتل جون؟" سألتني صوت رجولي كسول ومثقل بالغرابة. حاولت أن أميز الصوت، لكن هذا هو الجزء الأصعب من المسألة. أنا لا أعرفه، ولا أعرف أي شخص يمكنه الاتصال بي هنا، حتى بران لا أعتقد بأنه يعرف رقم الهاتف الأرضي. "هم؟"

"من أنت؟"

"من أنت؟" سألني بنفس الهدوء، وهذا يختلف عن دهشتي أنا.

قلت له: "أنت من يتصل بمنزلي. لا أعرف من يكون ليتل جون، أو من تكون أنت حتى". توقعث منه أي رد أو مسوغ، لكنه التزم الصمت. "هل تسمعي؟ من أنت؟"

"لماذا أنت هنا؟ ربما كان عليك الرحيل". حين قال هذه العبارة، كان في صوته جدية أكبر. لم أفهم ما عناه هذا، وربطت الأمر فوراً بالشقة التي أعيش فيها. تلعنمت وأنا أحاول اختيار الرد المناسب، لكن التساؤلات تزاхمت في ذهني. "من الأفضل أن ترحلا؟"

أنهى المكالمة من دون أن أسمع صوت ارتطام سماعته بالهاتف.

علقث في دهشتي، ووقفث أمام الجدار المغطى بورق مؤرّد بورود ذهبية. كنت بحاجة إلى وجود بران، حتى يكون شاهداً على هذا، ويتأكد من أنّ هناك خطباً ما يتعلق بهذا المكان، وأن مسألة اختفاء القاطن السابق قد تُشكل علامة استفهام كبيرة.

بقيث أتحرك في مكاني من دون أن أشعر بأي تعب.

توقعث أن يعاود هذا العابث الاتصال بي، لكنه لم يفعل. خبا توهج الشمس، ودنت من الأرض كخيراً وبدأت أضواء العالم الخارجي تنحسر ببطء. بعد ذلك سمعث وقع خطوات أمام الباب، وبينما كنت أراقب المدخل سمعث صوت المفتاح، وعرفت أنّ براندون قد عاد.

فتح الباب، فأنكشف وجهه أمامي، كان أكثر هدوءاً وراحة.

"أين كنت؟" سأله بغضب، وأنا أندفع نحوه.

"في الأسفل".

"في الأسفل! ما معنى هذا؟"

"قابلت أحد جيراننا قبيل خروجي من هنا، إنه رجل عازب يعيش في الطابق الأول، يدعى مارك فيلاسكو. أصر الرجل على أن يدعوني إلى شرب شيء ما في شقته". كنت أعرف من هو مارك فيلاسكو بالطبع، لكنني لم أتخيل أن يكون موجوداً هنا.

"هل قابلت فيلاسكو حقاً؟"

"اصطدمت به عندما كنت أهم بالخروج، بينما كان هو في طريقه إلى البهو، وحين عرضت عليه مساعدتي في جمع كل الأوراق، أدرك هو أنني جديد هنا أيضاً، وعرض علي أن أرافقه". بدت هذه الصدفة غريبة. "هل تعرفين من هو؟" أدرك بران هذا من صيغة سؤال.

"إنه معالج".

أوماً: "هذا ما أخبرني به بالفعل".

"أجريت... أجريت بحثاً قبل انتقالنا إلى هنا، واكتشفت أن فيلاسكو مهتم بالحالات التي تعاني من قصر الإلهام أو قلة الإبداع". ضاقت عيناه، كما لو أنه كان يحاول أن يفهم ما يعنيه هذا. "ظننت بأنه من الممكن أن نتحدث إليه، لا سيما أنه قادر على التعامل مع حبة الكاتب، وقد فعل هذا من قبل".

"أجريت بحثاً بالفعل". رفع حاجبيه دهشة.

"حسناً، لن نتشاجر على هذا الآن".

رفع بران كلا يديه: "أنا فقط أتساءل عما كنت تفعلينه من تلقاء نفسك".

"إن فيلاسكو معالج جيد، وما لم يساعدك في تجاوز حالتك هذه، فأنت لن تخسر سوى وقتك في المحاولة معه". أضفت: "التجربة وحدها لن تضرك". رأيث الشك في عينيه، والذي يُشبه تعجبي من المصادفة التي قادتنا إلى جوار هذا الرجل.

"ماذا لو أن الأمر لا يتطلب كل هذه الجدية؟"

هزئت كتفي: "لديك ما يكفي من الوقت لكي تهدره على محاولات ذاك الرجل".

"هل سأطلب منه علاجي فقط لأنه دعاني إلى شرب القهوة في شقته؟"

"قضيت كل هذا الوقت معه من دون أن تتوصل إلى أي شيء حيال شخصيته، لابد أنك امتلكت انطباعاً ما عنه، وإن كنت تشعر بأنه لن يساعدك، فعليك أن تتجاهل هذه المسألة وتفعل ما تراه أنت صحيحاً". بطريقة طفولية أراد بران أن يتهزّب، رغم أنه أيضاً كان يميل إلى هذه الفكرة.

"لست واثقاً..."

"انس الأمر". تراجع نحو المطبخ أخيراً، وقلت بينما كان يقف خلفي: "ما عدت أملك أي حلول أخرى بعد الآن". كنت جادة فيما قلته، بران لا يحاول تغيير أي شيء أو حتى مساعدة نفسه، وما

عدت قادرة على تحقيق أي شيء ينتشله من هذا العجز.

أشعلت نار الموقد لتسخين الطعام الذي برد بالفعل.

تبعني، ثم هتف: "لقد أعددت الطعام بالفعل".

"علي تسخينه، لن يستغرق هذا وقتاً طويلاً". أصبح قريباً مني،
و حين التفث رأيته يبتسم كما لو أن شيئاً لم يحدث. "اغسل يديك
ريتما أنتهي".

"ألا يمكنني البقاء هنا. . . معك؟"

"لا". قلت بحزم.

"لماذا؟"

"لأنني أشعر بالجوع، وعلي إعداد المائدة".

لا أعرف ما الذي فعله فيلاسكو خلال هذا الوقت، لكن تأثير هذا
اللقاء كان واضحاً على بران، وأعرف جيداً أن فكرة اللجوء إليه
كمعالج ستساعد بران على استعادة قدرته على الكتابة، أو على الأقل
استعادة ثقته بنفسه، حتى وإن كان لن يكتب أي شيء آخر.

تذكرت فجأة الاتصال الغريب، والتفت لأرى مدخل المطبخ فارغاً.

شعرت بالرعب وأردت أن أطلع بران على الأمر، لكن هذا سيقودنا
إلى نقاش آخر حول الشقة ورغبتني في البقاء هنا، وسيتجدد خلافنا
مرة أخرى قبل أن يُصدق حتى ما قلته له. لم يتبدد قلقي حيال ما
حدث، لكنني أردت أن أتخلّى عن الفكرة في النهاية.

حين أعددت المائدة كانت الشمس قد غابت، وعلى الأغلب ستكون

هذه هي وجبتنا الوحيدة لهذا اليوم. تناول بران الطعام بشراهة، وأثنى على الوجبة، ثم سألني: "هل انتهيت من غرفة التحميص؟"
"لا، نسيث هذا كلياً".

"يمكنني أن أساعدك في إعداد المكان".

"لن يستغرق هذا وقتاً طويلاً، لكنني لن أعترض على مساعدتك".
غالباً ما كان يحبطه الإحساس بالتهميش، ورغم أن تدخله لن يساعدني كثيراً، إلا أنني وافقت على ذلك. "نقلت كل شيء إلى هناك بالفعل". فكرت فجأة: "يمكننا الخروج معاً، والتقاط بعض الصور هنا وهناك. المدينة هنا جميلة".

أشرفت عيناها: "لنفعل هذا إذن".

بعد العشاء، كنا قد نسينا فكرة إعداد الحجرة، وجلسنا نشاهد أحد الأفلام الذي وجدناه في صندوق أشرطة الفيديو الذي لم نفرغه بعد. ضحكنا معاً بشكل هستيري على أتفه المشاهد، ومرة أخرى شعرت أن كل خلافاتنا ليست حقيقية، وأن كل الغضب الذي امتلأ به كان جزءاً مزيفاً من شكل الحياة التي نعيشها أنا وبران. فكرة التخلي عنه كانت تتردد في أعماقي، لكن لحظة سعيدة كهذه تجعلها تبدو كدعابة سخيفة.

بعد أن انتهينا من مشاهدة الفيلم، بدأت في تنظيف المكان، بينما سبقني بران إلى غرفتنا. تعمدت إفراغ الصندوق من الأشرطة المتبقية، وأنا أسمع وقع خطوات بران وهو ينتقل في الأرجاء، ثم اختلط هذا الصوت مع النغمات التي ترددت، ولا أعرف من أين كانت

تنبعث.

"هل تسمع هذا؟" صحت وأنا أناديه.

ظهر بران مرتدياً منامته. "ماذا؟"

"صه". أشرت إليه بأن يسمع. كان الصوت قد تلاشى. "سمعت هذه النغمة في النهار والآن مرة أخرى. كما لو أنها تنبعث من قلب الشقة". تنهد بران، لكنه سايرني بعد ذلك، وحاول أن يصيخ السمع. "هل سمعت هذا؟". هتفت بعد أن تجددت نغمات البيانو.

"لا، لا شيء". استدار متجهاً نحو حجرتنا. "ربما يكون أحد الجيران". نهضت من مكاني أخيراً، وتبعته من دون أن أجادله في هذه الفكرة. أدركت أخيراً أن هذه النغمات لا تشكل أي غرابة أو خطورة، حتى مع ظنوني بأنها كانت تنبعث من قلب شقتنا.

قبل أن أفتح عيني حاولت أن ألمس بران، إلا أن يدي هبطت على مكانه الفارغ والبارد. فتحت عيني جزعةً، رأيت الساعة كانت تقترب من التاسعة صباحاً. فتشّثت حولي، ثم ناديت بران. كان باب الحمام مفتوحاً، وضوء الشمس ينبعث منه، وهذا يؤكد لي أنه لم يكن هنا.

نهضت من مكاني، وخرجت أبحث عنه في كل مكان، ثم رأيت القصاصة الصفراء معلقة على المرأة الطويلة عند نهاية الرواق الرئيسي، بين المدخل وحجرة المعيشة. صورتني في المرأة كانت تعير الشفقة، شعري أشعث، وملامحي ترسم صورة حقيقية للخوف. (خرجت للجري، سأعود قريباً).

قرأت الكلمات، ولم أبلغ الهدوء الذي توقعته أن أناله. سرّث فوق الأرضية الخشبية الباردة وصولاً إلى المطبخ، وتجزّعت الماء، ثم سمحت لنفسي بالجلوس على طاولة المطبخ. ما من شيء يدعو إلى كل هذا القلق، إلا أنني كرهت البقاء وحيدة.

إنني أبالغ، حاولت أن أواسي نفسي، ونجح الأمر ببطء.

عدت سريعاً إلى الحمام الكامن في غرفة نومنا، غسلت وجهي وأسناني، عقصت شعري، وتأكدت من ترتيب مظهري. لا أعرف كم مضى على رحيل بران، ولم أكن مستعدة للقيام بأي شيء. كنت أجلس في ركن القراءة الصغير، والذي كان فيما سبق عبارة عن زاوية فارغة في الشقة. قرأت مستعينة بنور النافذة الكبيرة. كنت منغمسة في قراءة الحرب والسلام للمرة الثانية، ورغم أن هذه

التجربة استنزفت وقتاً طويلاً مني، إلا أنني كنت أعرف أن هذه الرواية ستكون ملاذي الوحيد.

لمحت روايات بران مصفوفة على الرف العلوي، ولا يحيط بها أي شيء. كانت رواية (المألوف) هي الأكبر حجماً من بين الكتب، وهي أول تجربة تثير تعجبي حيال القدرة على خلق حبكة عميقة ومرعبة. عرفت حينها أنه سيكون كاتباً ماهراً، وبعد صدور الرواية بشكل رسمي، حققت نجاحاً سحيقاً خلال الأسابيع الأولى من انطلاقتها، وهذا ما لم يتوقعه أحد منا.

عدت إلى القراءة من جديد، وكانت آثار الإنهاك واضحة على عمود الكتاب الجانبي. وبينما كنت أتجاوز الفصل الأول من الكتاب، قاطعني رنين الهاتف فجأة. ما إن أجبت حتى انبعث صوت مألوف آخر من السماعة. "سيدة روزود".

"سيد لامبير". هتفت.

"أعتذر إن كنت قد اتصلت في هذا الوقت الباكر".

"إنها العاشرة صباحاً". قلت ساخرة.

"هي كذلك". أجاب من دون أن يفهم السخرية في صوتي. "اتصلت لأرى ما إذا كان بإمكانني أن أدعو نفسي إلى شرب كوب قهوة في شقتكما الجديدة، ثم إن الفضول يعتريني حيال المنزل الجديد".

"ستقطع كل هذه المسافة من أجل كوب قهوة، يمكنك على الأقل أن تتناول الغداء معنا".

"في الواقع أنا قريب، أحتاج فقط إلى ساعة أخرى أو أقل من

هذا حتى". سمعت صوت مركبة تتحرك بالقرب منه، كانت سريعة، فحقت أنه يحدثني ربما من مقصورة هاتف عمومية. "أنا قريب منكما بالفعل، وعندما أنهي مهمتي سأتي إليكما".

"سأطلع بران على هذا. لقد خرج للجري منذ الصباح، وأتوقع عودته قريباً".

"جري!" سمعت ضحكة صاخبة. "لقد اكتسب عادات صحية أخيراً". ضحك بدوري، فالأمر غريب بالنسبة لي أنا أيضاً. زودته برقم شقتنا، وأكدّث على العنوان الجديد حتى لا يتوه، لكن بدا لي أنه يعرف المبنى بالفعل. "إلى اللقاء إذاً يا إيسيا".

"إلى اللقاء". طرح السماعه، وأصبح أترقب عودة براندون أكثر، لكنني سمعت صوت قفل الباب يُفتح فجأة من وراء الفرجة المكشوفة، رأيت بران يتقدم والعرق يغطي ثيابه. "لماذا لم توقظني من النوم؟ أثرت قلقي".

"تركث لك ملاحظة".

"قرأتها بالفعل". مسح العرق عن جبينه، لكن وجهه ظل غارقاً به. "هل الجو جيد في الخارج؟" أوماً إلي، ثم تراجع نحو حمام الضيوف. "لا، فوراً إلى الحجرة". توقّف في اللحظة الأخيرة، وترك منشفته على طاولة المطبخ.

"سأستحم".

"اتصل لامبير".

ظهر أمامي من جديد. "حقاً؟"

"نعم، وقد دعا نفسه إلى شرب القهوة هنا. يقول إن الفضول يعتريه حيال المنزل الجديد، ونحن لم ندع أحداً إلى هنا حتى".

سألني: "وماذا قلت له؟"

"ماذا تعتقد؟ بالطبع دعوته إلى هنا".

بعد أقل من ساعة، اتصل بنا ألكساندر، ليتأكد من أننا نعرف السيد لامبير بالفعل، وحين تحدثنا معه من هاتف المقصورة، سمح له بالصعود أخيراً. تركنا باب الشقة مفتوحاً، بينما كان بران يترقب وصول الناشر إلى هنا. عندما وصل بدا أنيقاً كعادته، ولعل حرارة الشمس تركت أثراً طفيفاً على وجنتيه.

"ما هذا الهروب المفاجئ؟" سأل بران، قبل أن يُحييه حتى.

أجاب بران: "لا يُعد هروباً، لكننا وجدنا مكاناً أكبر. إنها صفقة حقيقية. نحن هنا ندفع أقل من قيمة منزلنا السابق حتى".

"هذا مثير للاهتمام، أعني المبنى ككل". صافح بران، ثم تقدم ليصافحني أخيراً.

سمحنا له بالدخول، وتبعث الرجلين وصولاً إلى حجرة الاستقبال الصغيرة، كانت هناك مدخنة صغيرة نظيفة وصور صغيرة لبران ولي، وصورة لزفافنا. فتحت الستائر بشكل كامل، لثضاء الحجرة بأشعة الظهيرة التي كانت ساطعة في الخارج.

"أما كان بإمكانكما الانتقال إلى مكان أقرب حتى؟"

اعترف بران: "لا، أردنا الابتعاد بقدر الإمكان. أنت تعرف أيضاً أنه

من غير الممكن أن نجد مكاناً قريباً من العاصمة بنفس المبلغ الذي ندفعه هنا".

أضفت: "ثم إنَّ المكان هنا جيد". جلسا بينما بقيت أنا واقفة.

سأله زوجي: "كيف تسير أحوال المكتبة؟"

"إنَّها جيدة. نحن نصارع، بينما تكتسح الأفلام الخيالية والمسلسلات السطحية شاشات التلفاز. أصبحنا ننافس حتى متاجر أشرطة الفيديو".

قلت: "لا توجد أي مقارنة".

اتسعت عيناه وهو يحاول التأكيد: "بالطبع هناك منافسة. الزبائن يبحثون عن التسلية، وهم يتسابقون نحو من يقدمها. هذا ما مكن الرواية من الصعود في العقود الأخيرة أيضاً". ربما كان النقاش في هذا الأمر سيثير اهتمامي، لأنني أجريث أبحاثي حيال هذه الإحصائيات في السابق، وأعرف كيف تدنّت أهمية الصحف بشكل طفيف، مع تصاعد نشرات الأخبار المستمرة على شاشة التلفاز.

اتجهت إلى المطبخ، وتركت الماء يغلي. كان صوت السيد لامبير واضحاً، إلا أن إجابات بران كانت تتلاشى، ولا تجد طريقها إلي. خرجت من المطبخ، وأردت أن أتأكد من أن براندون، سيبقى متماسكاً أمام ضيفه، لاسيما أنه أيضاً يُذكره بغريزة الكتابة، ويحثه على العودة بشكل مزعج.

سأل لامبير: "هل أنت واثق من أنك تريد البقاء هنا؟"

"ما الذي سيمنعنا من البقاء هنا؟"

"أعني، هل بحثت جيداً قبل أن تقرّر توقيع العقد؟ سمعتُ أشياء سخيّة، وبعض الشائعات عن هذا المكان. حدثت بعض الأشياء المؤسفة هنا.. حوادث غريبة، وبعض قصص الأشباح، وما شابه". أطلق بران ضحكة قصيرة، ثم كتمها عمداً.

"لا تدع إيسيا تسمع هذا".

"لن أتفوّه بذلك أمامها، أنا أعرف مبالغة النساء".

أضاف براندون: "ثم إنها بالفعل تشعر بالنفور من الشقة الجديدة".

"هذا يؤكد ما أقوله لك، للمكان ماضٍ سيئ. حين علمتُ بشأن انتقالك إلى هنا، تعجبتُ، كنتُ قد سمعتُ بعض الأقاويل عن المكان. أجريث بعض الأبحاث الطفيفة حوله. إنّ عمر المبنى يتجاوز القرن.. مائة وعشرون عاماً تقريباً". لم يكن هذا ما أخبرنا به الحارس، لكنني توقعتُ أنه لن يعرف الأمور بدقّة كبيرة. "سلسلة الحوادث المتعلّقة بهذا المكان ممتدة على طول مدة إنشائه. بداية من انتحار المالك الأول للمبنى وصولاً إلى انتقال بعض الكهنة بعد فترة الحرب الأهلية، ثم احتراق المبنى مرتين على مدار العقود الأربعة الأولى".

"لست بحاجة إلى تقرير شامل عن تاريخ المكان، أمور كهذه تحدث في كل مكان، بما في ذلك نورثون لايتس. ألم يُقَدِّم مالكها السابق على الانتحار أيضاً؟"

"الأمر يختلف حين تزداد الحوادث، لقد قتل المالك السابق نفسه بسبب الديون، بينما مالك ريد ستون الأول كان رجلاً ثرياً". أضاف: "آخر هذه الحوادث كانت مسألة اختفاء جون لازاروس... الساحر

الشهير. حدث الأمر قبل سنوات".

جون ليتل جون. تذكرت الاتصال الغريب.

أعادني صوت صفير الإبريق إلى الواقع بسرعة، فانسحبت من دون أن أسمع بقية الحوار. عرفت أنه لن يكون بإمكانني الإصغاء إلى ما تبقى من حديث لامبير، لأنني سأعود إلى غرفة الاستقبال، وسينتهي هذا النقاش سريعاً. كان هذا ما حدث بالفعل حين عدت متظاهرة بأنني طبيعية.

ورّعت القهوة بيننا، وعرضت على لامبير: "يمكنك البقاء حتى وقت الغداء".

"سأحتفظ بهذا العرض حتى وقت لاحق. شكراً لك يا إيسيا". أطلّ من النافذة، ثم قال فجأة: "بالمناسبة، لقد رأيت العديد من المناظر التي تستحق التصوير، وكنت أفكر في أنك حتماً ستجدين ثراءً طبيعياً هنا يستهلك موهبتك".

اصطنعت ضحكة قصيرة، ثم قلت له: "هذا ما كنت أفكر فيه بالفعل".

في الخارج امتد المنظر الطبيعي، إلّا أنّ المبنى لم يكن شاهقاً، وهذا لم يمنحني صورة واسعة للطبيعة المحيطة بنا. تساءلت ما إذا كان بالفعل يجدر بنا البقاء هنا، أم أن فكرة انتقالنا كانت خاطئة؟. ما عدت أصغي إلى نقاش الرجلين في الحجرة، وسرحت في مخيلتي بعيداً عن الواقع.

قادتني الذكرى إلى بيتر فجأة، كل ما لديّ منه الآن هو بعض الصور

والغياب التي رفضت التخلص منها. ما عاد المهد الخشبي معنا، لأن بران قرّر التخلص منه قبل الانتقال إلى هنا. شعرت بقلبي ينبض بعنف، واعترتني رغبة في البكاء.

"شاركينا الرأي يا إيسيا".

التفت بران نحوي، فقلت: "لم... لم أسمع ما قلتما".

"عرض عليّ بران أن يحزّر بعض الأعمال الجديدة، أو أن يعمل كجزء من لجنة مراجعة الأعمال الجديدة، لأرى ما إذا كانت تستحق النشر أم لا".

"لست واثقة من قدرته على ذلك، الأمر يعود إليه".

قال لامبير: "أنا أعرض عليكما دخلاً ثابتاً".

سأله بران: "وهل مبيعات الكتب الخمسة تضاءلت؟" حلّ الصمت فجأة. أصرّ بران: "ماذا؟ هل قلت مبيعات كتبي؟".

"لم تتضاءل بشكل مخيف، لكنها ما عادت كالسابق". ساد السكون.

تدخلت لأقول: "وتحرير الأعمال أو مراجعتها لن يغير أي شيء، إنه بحاجة إلى أن يستجمع طاقته من أجل البدء بعمل جديد".

"كم سيستغرق العمل.. عاماً.. اثنين؟ لن تعود المبيعات حينها كما هي الآن".

علّق براندون: "لامبير، لقد أتينا إلى هنا هرباً من هذه النقاشات".

"لكن هذا لن يغير حقيقة الوضع المالي بعد عام أو اثنين، ستواجه عائقاً مالياً بعد هذه المدة، من دون أن يتذكّر أي أحد بأن الأوضاع

تراجع". هزّ بران ركبته بعنف.

قلت: "كلانا يُقدّر مساعدتك، لكن علينا مراجعة العرض أولاً". رماني زوجي بنظرة غريبة. "يعود الأمر إلى بران في النهاية، وهو من يُقرّر". لم يغيّر صمت بران من ثقة لامبير. لأول مرة أشعر بأنه ما عاد يحاول استغلال قدرة زوجي على الكتابة.

تجرّع ما تبقى من القهوة في كوبه، ثم نهض ليعدل من وضع سترته. "سأرحل، لكن لنا لقاء آخر قريباً. تذكر عرضي جيداً، وفكر ملياً قبل أن يقودك كبرياؤك نحو الرفض.. أنا أحاول المساعدة فقط". نهض بران وقاده نحو مدخل الشقة.

حين عاد كانت الدهشة قد جمّدت كل تعابير وجهه. حاولت ألا أتدخل، لأنني أرى العاصفة تدنو منّا. توارى هو سريعاً وعاد إلى مكتبه، ثم سمعت ارتطام الباب فجأة. أردت أن أقدم أي موااساة لأهون عليه، لكنني قرّرت التخلي عنه في تلك اللحظة. جمعت أكواب القهوة، واتجهت نحو مغسلة المطبخ.

فكرت في عرض لامبير، وكم سيحطم هذا كبرياء بران. بعد أن كان يتولى الريادة في تلك المكتبة، لن يتقبل أن يكون خلف الكواليس الآن. أعلم جيداً أنه يرفض شفقة لامبير، ويرفض فكرة أنه تجاوز العظمة التي صنعها لنفسه.

أخبرنا فيلاسكو، بأنه عادة لا يقابل أحداً في منزله، إلا أننا حين رأينا الحجرة الأخرى المقابلة للحديقة، بدت لنا كقاعة علاجية مصغرة. كانت الألوان نارية تتراوح ما بين درجات الأحمر القاني والبرتقالي، مع بعض القطع الصفراء. هناك لوحات صغيرة على الجدار المقابل للنافذة، وخلف الأريكة الطويلة كانت هناك لوحة سريالية ضخمة تستهلك أكثر من نصف الحائط. تدلّى مصباح كروي من السقف، وكان هو الوحيد المعلق، بينما كانت المصابيح الأخرى كلها جانبية.

"هل الأمر يتعلق بالعجز؟" سأل

مرّ أسبوعان على انتقالنا، وما تزال أحوال بران كما هي تقريباً. خلال الأيام التي مضت، لم نقابل أياً من الجيران بصورة حقيقية. نصادف بعضهم في البهو، ونقتحم السلم مع البعض الآخر، لكننا لم نتحدث حديثاً مطولاً مع أحد سوى فيلاسكو، الذي رغب بفكرة استقبالنا كحالة من حالاته.

أجاب بران: "لا يتعلق الأمر بالعجز. لا أشعر بأني عاجز".

"لا يرتبط هذا بما تعتقده حيال نفسك يا عزيزي". ابتعد فيلاسكو عن طاولة تحضير القهوة، وقدم الكوب الأسطواني الأنيق لبران. عاد مرة أخرى، ثم التفت إلي، وسأل: "هل تفضلينه مع حليب؟" وافقنا من دون أي تفكير على أن يضيف الحليب إلى قهوتي.

"شكراً". قلث وأنا ألتقط منه الكوب.

"لا يعرف أحد ممّا يشكو عادة. قد تعتقد أنّ عضلتك الحقيقية تكمن في التشوّث، إلّا أنّ موضع الأذى الحقيقي ينبع من مكان آخر".
جلس الرجل أخيراً. "تدفعك الضغوط أحياناً إلى الاعتقاد بأنك مصاب بالاكْتئاب، ولا يوجد أي رابط فعلي بين الاثنين. هل تفهم ما أعنيه؟"

"بالطبع".

"متى بدأ الأمر؟"

"منذ عامين؟"

"ما الذي حدث حينها؟ هل كان هناك ما تسبب بهذه الحبسة؟"

"ليس تماماً". أعرف كيف تتغيّر طريقة أنفاسه حين يبدأ بالمراوغة، أدرك جيداً متى بدأ الأمر، وكيف حدث هذا حتى.

"مات ابننا الرضيع. كانت تلك هي البداية".

اتسعت عيناه، ثم أحكم السيطرة على نفسه. كان بران ما يزال ساكناً، إلّا أن فيلاسكو أبدى تعاطفه بوضوح: "أنا آسف..." التفت نحو بران: "ألا يبدو هذا سبباً كافياً لأن تعترف بوجوده يا سيد روزوود؟ لديك مسوغ واضح".

"ليس هو السبب الفعلي". أضاف: "عجزي لا ينبع من حزني".

"لماذا أنت مضر على قياس المسألة بطريقتك؟، كيف يمكنك أن تحدّد أبعادك من دون اللجوء إلى سبيل واضح. بمعنى آخر، ما هو معيارك الحقيقي؟"

"لا أعرف".

"بالضبط أنت لا تعرف، ولن تعرف. دعني أحاول المساعدة بنفسني".

راحت عيناى تمسحان المكان، كل التفاصيل بدت مختلفة عن شقتنا. لا يرتبط المكان بالعصرية، لكنه كان أنيقاً. جلس فيلاسكو باستقامة على المقعد المنفرد، رفع حاجبيه مشيراً إلى بران بأن يشرب من قهوته قبل أن تبرد. كنت أرى الحيرة في عيني زوجي، والضعف كذلك.

"لا يجب أن تعتقد بأن هذه المسألة صعبة، وهي ليست نهاية العالم".

"أحاول القيام بهذا". صعوبة الأمر على بران كانت أمراً جلياً. هناك كتاب أنهموا حياتهم بسبب الحبسة، وأعرف كيف كانت تقوده نحو الجنون ببطء. أردت ألا أتخيل النهاية، وأتفادى بناء سيناريوهات خيالية حيال الأمر.

أردت أن أؤمن بقوة بران، وقوتي أنا أيضاً.

"سنبداً معاً، خطوة بخطوة، وستجد أن الأمور أصبحت أكثر وضوحاً".

سأله: "كم سيستغرق هذا؟"

"لا تسأل عن المدة، لدينا كل الوقت، الأهم هو أن نجد الطريقة الملائمة للتخلص من كل القيود التي تحيط بك بدون أن تستطيع رؤيتها. هذا هو تأثير العوامل النفسية ببساطة، إنها تقيدك، لكنك لا

تشعر بها، ولا تراها حتى". أضاف فيلاسكو: "هناك أمر آخر... عليك أن تبوح بكل ما تشعر به بشكل صريح، سواء أكان أمراً سيئاً أم جيداً. عليك الاعتراف بكل الأشياء التي تثير ضعفك، من دون أن تحاول المزايدة عليها. "هل اتفقنا؟" رماني بنظرة خاطفة، ولمحث ابتسامة ترتسم على محياه.

"اتفقنا". ردد بران، بينما بقيت صامتة.

"اسمح لي أن أسألك أولاً: إلى أي مدى تشعر بالرضا حيال حياتك الحالية". ران الصمت لبرهة، ثم استدار بران نحوي بشكل سريع. نهضت من مكاني. "أعتقد بأنني سأعود إلى شقتنا".

"يمكنك البقاء". عرض علي ذلك بينما كان فيلاسكو يراقبني بصمت، كما لو أنه يؤيد رحيلي. كنت مُصرة على الانسحاب، من دون إظهار امتعاضي.

خرجت من الحجرة واتجهت فوراً نحو مدخل شقته، كان المكان واسعاً ومليئاً بالألوان التي دسّت فيه روحاً مختلفة عن كل الأرجاء التي رأيته هنا. وددت لو أنني أعود وأصغي إلى إجابات بران الصريحة، إلا أنني على يقين من أن وجودي سيقوده إلى المراوغة.

في الخارج، كان الممر مضاءً بمزيج من ضوء البهو المتدفق من فراغ السلم، ونور القبة الزجاجية في قمة المبنى البعيدة. قابلني الدرايزين الأسود، وسمعت وقع خطوات ينبعث من البهو. تقدمت لأرى كاميلا لوكهارت تتقدم، وظلّها يمتد أمام المدخل الواسع المفتوح. سارت على الأرضية التي تشبه رقعة الشطرنج، متجاوزة

نقش اليعسوب الذي يشكل مركز القاعة.

تردد صدى وقع الحذاء في الأرجاء، ثم رفعت رأسها الصغير لتراني فجأة.

بدت أكثر شحوباً ومعالم الشيخوخة جلية عليها، وقد حفرت في وجنتيها صورة واضحة ومخيفة. كان شعرها مموجاً فوق قمة رأسها وينسدل فوق كتفيها، تشوبه القليل من الخصلات البيضاء. ابتسمت، رفعت يدي محاولة التلويح لها، لكنها أشاحت بوجهها عني، واختفت خلف المصعد.

صوت قهقهة حطم الفراغ، فبحث عن مصدر هذه الضحكة القصيرة في العدم.

أدركت أنها ليست قريبة، ولا تحيط بي. رفعت رأسي فجأة، فرأيث ظلاً تكوّم على هيئة بشرية إلى حدّ ما. لمعت الشمس حوله، لكنها لم تكشف عنه. كان ثمة شيء ما يحدق بي، لا أستطيع أن أجزم ما إن كان رجلاً أو امرأة. رحت أحدق محاولة دراسة تفاصيله

ضحك ضحكة قصيرة ناعمة، ثم تراجع.

بدا قريباً من باب شقتنا، وارتعبت من فكرة أن يكون قد حاول اقتحام منزلنا. لا أثر لأحد في الشقة المقابلة لنا، ولا يوجد أي قاطن في الطابق الرابع سوانا. هرعث نحو المصعد، وحين وصلت أدركت أن لوكهارت كانت في قلب الزنزانة الصغيرة.

توقعث أن تكون المرأة قد رحلت بالفعل.

وقفث إلى جوارها، ولم تحاول التحديق في. استجمعت صوتي

بصعوبة، وقلث لها: "مرحباً".

أدارت وجهها نحوي، وحذقت في ابتداء من رأسي وصولاً إلى قدمي. "مرحباً". ردت أخيراً.

"أعتقد بأنني أعرفك، أعني. . . رأيتك من قبل في بعض الأفلام، أليس كذلك؟" هزت رأسها للحظات قصيرة، ولم ترد على ما قلته. توقفت المصعد عند الطابق الثالث، فخرجت من دون أن تعلق بأي كلمة أخرى. تردد وقع حذائها، ثم سمعت صوت مفتاحها.

انغلق الباب، وواصلت الصعود.

حين خرجت لم أجد أي أحد في الممرات العلوية، تأكدت من أن المكان فارغ، ثم عدت إلى الشقة. كان المفتاح ما يزال في جيبتي. أخرجته، ثم ألقيت نظرة أخيرة من فوق كتفي لتأكد من أن أحداً لم يتبعني. حين فتحت الباب وجدت ورقة مطوية أسفل الباب.

وقفت مشدوهاً، ما رأيته لم يكن مجرد خيال.

حين فتحت الورقة، رأيت صورة مرسومة على الأغلب بالطباشير لرجل قصير، يرتدي قبعة مهرج مقلّمة بخطوط حمراء وبيضاء، يبتسم وهو جالس أمام نافذة صفراء شكّلت نصف الورقة، وله وجنتان شديداً الحمرة. كانت ثيابه أيضاً حمراء كلون القبعة والحذاء، إلى جواره كان هناك أكليل فيه زهرة وحيدة ذابلة.

قلبت الورقة، ثم راقبت الممر المكشوف من خلال الباب المفتوح، لم أر سوى العتمة، ولا أحد هناك. حاولت أن أسمع أي صوت في الخارج، ولم يكن هناك أي شيء. خطو خارج الشقة، والورقة في

يدي كدليل على أن ما كنت أشعر به من خطر قد يكون حقيقياً.
تحظمت الصمت على صوت سعال.

تكرر السعال بشدة أكبر، إنه آتٍ من الباب المقابل لشقتنا.

تأملت الباب المغلق، إلى أن تحوّل الصوت الفلخ إلى حشرة تنم عن اختناق. سمح لي الهدوء بأن أسمع صوت الاختناق بوضوح أكبر، رغم أنه كان بعيداً. رأيت ظلاً يتحرك بصعوبة وراء الباب المغلق. تقدّمت بصعوبة، وأنا أستشعر وجود خطي ما.

طرقت على الباب. "هل أنتم بخير؟" سألت. تكرر السعال، وكان مكتوماً.

طويت الورقة مرتين، حتى أصبح جيبي يتسع لها. طرقت الباب بإصرار أكبر، وناديت، فازداد صوت الحشرة صعوبة، ومحاولات الشخص لكي يسعل باءت بالفشل. كان قريباً، فصحت به: "حاول أن تفتح الباب". سمعت صوت دوي مكتوم، ثم تحرك معه رتاج الباب.

حرّكت المقبض، ودفعته الباب بقوة، فأعاقني شيء ثقيل وراء الباب.

"مرحباً". قلت، ثم دفعت الباب، فأدركت أن أحدهم كان مستلقياً خلف الباب. دسست جسدي بصعوبة، واقتحمت الشقة لأرى امرأة في سني، أو أكبر ببضع سنوات، كانت تحاول التنفس بصعوبة. لمحت كرسيّاً متحركاً إلى جوارها. أزحّث المقعد عنها، وحاولت أن أحملها على النهوض، لكنها كانت هزيلة، تكاد تفقد وعيها.

احتضنت المرأة بقوة، وضغطت على بطنها بعنف.

تدفق الطعام من فمها، سحبث نفساً عميقاً، وتركث نفسها تتهاوى على الأرضية المكشوفة. راحت تراقب السقف بعينين دامعتين. تحرك صدرها بقوة، ويداها منسدلتان إلى جوارها. "أأنت بخير؟ هل أستدعي الطبيب؟" حركث رأسها نفياً.

"س.. ساعديني على النهوض".

حملتها، وسحبث جسدها، وصولاً إلى المقعد ذي العجلات. أردث أن أرميها على المقعد، فتحرك الكرسي، وسقطنا معاً على الأرض. غطى شعرها الأحمر وجهها، واهتز جسدها. نهضث من مكاني بسرعة. "أنا آسفة، سأحاول من جديد".

اختفى وجهها، كانت تضحك. أعنثها على الجلوس بسرعة، راقبث المكان حولي، فأدركث أن شقتها شبه خالية، وغرفة المعيشة القريبة منّا، كانت مغطاة بورق جدران أصفر عليه أزهار بيضاء قليلة، رُسمت بدقة بالغة، لكنها ليست متطابقة.

تحول الضحك، إلى بكاء فجأة.

"لم أقصد ما حدث، كنت أحاول المساعدة فقط".

احتضنت يدي، وقالت: "ساعديني". ثبت المقعد، ونجحت في إعادتها إلى مقعدها. "شكراً لك". خرج صوتها يشبه الهمس. تفادت النظر إلي، ودفعت كرسيها إلى الخلف.

"هل تحتاجين إلى المساعدة؟" أومأث نفياً. "هل أئصل بأحدهم؟"

"لا". قالت بحزم.

وقفت أمامها، لا أعرف ما إذا كان علي الرحيل، أم لا. أردت أن أقول أي شيء، أو حتى أن أفهم رغبتها. لمحت طاولة خشبية متهالكة أمام الجدار الأصفر، وعليها مُشغّل أسطوانات أسود. لا يوجد أي تحف أخرى، ولا صور معلقة على الجدار، ولا قطع أثاث كثيرة.

"شكراً لك. لقد أنقذت حياتي".

موقع غرفة الطعام كان على عكس شقتنا، في الجهة الداخلية من الشقة، وكانت غرفة بيضاء مكشوفة، فيها طاولة تتسع إلى ستة أشخاص، لكنّ هناك فقط مقعدين خشبيين، وبعض الطعام. "أنا... جارتك الجديدة". أشرت نحو المدخل. "هناك".

تجاهلت ما قلته، ولم تُبدِ أي تعبير.

"إليسيا روزوود".

نظرت إليّ بطرف عينيها، كنتُ أتوقع منها أن تطلعني على أي شيء يتعلق بها. "لم أعرف أن أحدهم يعيش هناك، كانت الشقة خالية لوقت طويل".

"انتقلنا منذ مدة قصيرة".

"أنتم هادئون جداً". ابتعدت عني، ثم كرّرت: "هادئون".

"أنت كذلك. ظننتُ أن الشقة خالية.. حتى الجيران، لا أظن بأنهم يعلمون بوجودك". ارتجف جسدها، ونظرت إليّ بتوجس. أدركتُ بأنّ هناك خلافاً ما. راقبتُ بقايا الطعام على ذقنها، فاستوعبت ذلك بسرعة، ومسحتُ فمها بيدها. كانت ترتدي فستاناً طويلاً من

الساتان، بلا أكمام.

"هل أنت سعيدة؟" أزاحت شعرها عن وجهها. "هنا؟ سعيدة هنا؟"
"المكان جميل بالفعل؟" ابتسمت من دون أي داع. "شقتنا جميلة،
والمبنى أنيق أيضاً. المدينة هنا جميلة كذلك". سألتها: "منذ متى
وأنت هنا؟"

"مضى وقت طويل على ذلك".

تساءلت ما إذا كانت هي من ترك تلك الرسمة أسفل باب منزلي،
لكنها امرأة مقعدة، ولا يمكنها أن تفعل هذا وحدها من دون أن أصل
إليها، أو أشعر بحركتها حولي. كان السكون الذي يملأ الشقة يُعبت
أنها وحيدة. عاد لون الحياة إلى وجهها الشاحب، لكن هذا لم يُغيّر
من صورتها الغريبة. كانت شديدة النحول، إلا أنَّ لها عينيْن جميلتين.
ظلت ترمقني، ثم تُزيح بصرها، وتعود فترمقني بارتياب.

"حسناً، ما دمت بحال أفضل سأعود إلى منزلي". خطوط نحو
الباب، ثم أردفت: "يمكنك أن تطلبي مساعدتي إن احتجت إلى أي
شيء. أنا هنا معظم الوقت". ظلت صامتة وهي تدفع كرسيها خلفي،
وما إن خرجت حتى أغلقت الباب بعنف.

سمعت صوت القفل يتحرك بسرعة.

لم يظهر أي تأثير كبير على بران، بعد حديثه الطويل مع فيلاسكو. كان يشعر بالراحة، ورغبته بالتزام الصمت امتدت إلى وقت طويل. في صباح اليوم التالي، قرّرت أن أنقل كومة ثيابنا إلى القبو لأغسلها، تركتها في حوض الغسل، قبل أن أتأكد من أن آلة الغسيل موصولة بالكهرباء.

ترددت الأصوات المكتومة حولي، ثم تحولت الأصوات إلى أجراس. كرهت المكان الخانق، ثم بدأت ألف أصوات الأنابيب الصدئة حولي. رميت ثيابنا الملونة في الماء، ثم أضفت مسحوق الغسيل. فكّرت في أحداث البارحة كلها، ثم تذكرت الورقة المطوية فجأة.

التقطت سروالي الجينز، وحاولت إخراج الورقة التي بقيت في جيبه، وقد علقت رائحة المسحوق بذراعي كلها. بحثت في جيب السروال، وحين حاولت سحب الورقة، لم ألتقط سوى قطع باهتة مبللة منها. تحولت بأكملها إلى نتف صغيرة عديمة اللون، ثم تداعت في الماء.

حاولت أن أزيلها حتى لا تلتف العياب، لكن جزءاً منها تلاشى تماماً. لم يبقَ منها أي أثر، كما لو أنها لم تكن موجودة حتى. لمث نفسي لأنني نسيث مسألة تلك الورقة، وكان بإمكانني أن أريها لبران ما أن يتحسن مزاجه أكثر.

سمعت ضوضاء صغيرة، تنبعث من باب السلم، ثم أتى صوت

ألكساندر وهو يجادل أحدهم. صعدت إلى الأعلى من جديد، ووجدت الحارس مع مارثا فارنوورث. كانت ترتدي سروالاً يكشف كاحلها بأكملها، وقميصاً أبيض واسعاً، وبيدها بعض الرسائل التي التقطتها من صندوق البريد.

"آه الجارة الجديدة، ها قد التقينا من جديد."

قلت: "ما عدت جديدة، مضى وقت كافٍ على انتقالي". كنت معتادة على لقاء ألكساندر، ولكن جيرانى وإن كنت ألتحق بهم فهم لا يروننى عادة، أو لا يسعنا أن نقف لتحدث. "من الجيد أن ألتقي بك من جديد يا سيدة فارنوورث".

"هبطت لأرى صندوق البريد، عادة ما نترك الرسائل تتكوى هناك". أشارت إلى ألكساندر: "وهو ينسى أن يطلعني على ذلك".

دارت عينا الحارس بملل، ثم ابتعد وهو يتمتم بكلمات الاعتذار. "لا عليك، هذا يحدث". كان صندوقنا فارغاً بشكل مستمر، فلا أحد يعرف أننا هنا حتى الآن.

"هل تعملين؟ لا أراك تخرجين في الصباح؟"

"لا. ليس بعد".

سألته: "هل تبحثين عن عمل هنا؟" قبل أن أجيب أضافت: "لا أعتقد أن فرص العمل هنا وافرة في كل الأحوال. أعتقد بأنك تمتلكين خبرة كافية، ولعل هذا سيساعدك". ضاقت عيناها وهي تقول ذلك. لم أعرف على ماذا يجب أن أجيب أولاً

اعترفت لأختم هذا النقاش: "لا أبحث عن عمل حتى الآن".

ابتسمت بمكر. "هل يرغب السيد روزوود في إنجاب الأبناء أولاً؟"
"لم نخطط بعد لهذا". قلت. "آه، بالمناسبة لا أرى أي أطفال في
المبنى. قلت لي أن لك ابناً، أليس كذلك؟"

ضحكت، وهي تربث على ذراعي: "إنه ليس طفلاً. أكبر من ذلك".
ضيقث شفتي، وأخفيث كلتا يدي بخجل وراء ظهري. "أنت محقة،
معظم الأبناء يرحلون عن هنا ما إن تتاح لهم الفرصة، ويعيش
الآخرون حياة أكثر هدوءاً. يمكنك أنت أن تحظمي هذه القاعدة".
تكررت ضحكتها من جديد.

لا أطفال هنا، وهذا يجعل تخميني أصعب، حيال الرسة التي
وجدتها أسفل الباب.

"هل كنت في حجرة الغسيل؟" أومأث. "طالما أن ثيابك ما تزال
هناك، يمكنك أن ترافقيني. سنشرب الشاي معاً، ما لم تكن لديك
مخططات أخرى".

"هذا كرم بالغ منك".

صعدنا معاً إلى شقتها، وبينما كنت أتوقع منها أن ثبيني في غرفة
الجلوس، قادتني إلى مطبخها، وعرضت علي الجلوس أمام الطاولة
الرخامية الكبيرة. كان هناك طعام على الموقد، لكن لا توجد أي
رائحة. تركت الماء يغلي على النار، وفتحت غطاء الموقد.

"علي أن أحضر الغداء قبل عودة فرانك، وتوم". اتكأث على الرف
الرخامي، ثم قالت: "إن توم في المدرسة. إنه يكبر بسرعة. لا أتصور
أن رحيله قد يكون ممكناً". انقبضت معدتي وأنا أفكر في بيتر.

"سيكبر، ويدرك فجأة أن العالم الخارجي واسع جداً، وسيقرر أن ابتعاده هو الأنسب".

"إنه ما يزال في المدرسة". قلت لأواسيها.

"بالأمس فقط، كان في المهد. كما لو أن هذه السنوات مضت بلمح البصر". ازدادت قبضة الحزن علي. سيكون عمر بيتر أكثر من عامين الآن. "أتفهم الآن حزن أُمي، وأشعر بالذنب لأنني ربما أكون قد تسببت لها بهذا الفراغ، من دون أن أدرك الأمر باكراً".

"أنا أيضاً أفقد والدتي أحياناً".

"هل كنتِ طفلة وحيدة؟"

قلت: "لا، لدي أخت تكبرني بثلاثة أعوام".

"لا بد من أنك لم تشعري بالوحدة في طفولتك". ابتسمت وأنا أتخيل صورة ماريان. أومأْتُ بالنفي، فأنا لم أشعر بالوحدة معها، أو مع والدي أبداً. "كم كنتُ محظوظة! عشتُ حياتي كلها وحدي، كان هذا قاسياً علي، ولم أفهم محاولات أُمي أبداً".

"هل يشعر توم بالوحدة؟"

"لا". أجابت بدون أي تردد، ثم استدارت لتحمل إبريق الماء. سكبت لي القهوة، ثم فُتشت البراد بحثاً عن شيء ما. أخرجت قطعة كعك كبيرة، واقتطعت منها قطعتين لي ولها. جلسنا أنا وهي حول الطاولة الرخامية، ثم شرعنا نلتهم الحلوى.

سمعتُ صوت حركة مفاجئة خارج المطبخ. "ألسِتِ وحدكِ هنا؟"

ضحكت بعد أن دسّت الشوكة في فمها. "كم أنت متوجسة؟ إنه قِظنا حتماً؟"

"لطالما رغبت في تربية قط في منزلي، لكن هذا يُعرّض بران للحساسية. إنه لا يتحمل وجود حيوانات أليفة في المنزل".
"كم هذا مؤسف!". نهضت من مكانها. "سأعود حالاً".

غابت مارثا لدقائق، وتركتني وحدي في المطبخ. توقفت عن تناول الحلوى التي قدمتها، رغم أنها كانت لذيذة. شربت كل الشاي الذي كان في فنجاني، وانتظرت عودتها. سمعت خطواتها تقترب وتبتعد فجأة، ثم عادت أخيراً، وهي تحمل قطعاً رمادياً.
"هذا هو سنوبول".

داعبت بطن القط، ثم أفلثته ليتجول في المطبخ. "كم هو رائع!".
أومات، وهي تستأنف الأكل. "هو كذلك، يحبه توم جداً. كان هدية عيد مولده". أشارت إلى الكعك. "ألم تعجبك؟"
"إنها لذيذة". أشرت إلى كوبي الفارغ: "الشاي كذلك".

"سأسكب لك المزيد". لم يسعني الوقت لكي أرفض، كانت قد ملأت كوبي، تصاعد الدخان أمام وجهي، بينما عدت إلى تناول ما تبقى من قطعة الكعك. "أليك أية هوايات؟"
"التصوير هوايتي، وهو عملي سابقاً".

رفعت حاجبيها: "هذا عظيم!". أضافت: "حين انتقلنا إلى هنا أصبحت مولعة بالنباتات، ورغم ضيق المكان إلا أن الحديقة

الخارجية ألهمتني بأن أستخدم الشرفة هنا للزراعة". أشارت إلي حتى أتبعها. "سأريك شيئاً". سرنا معاً متجاوزتين غرفة المعيشة، وصولاً إلى الشرفة الواسعة.

ذهلت حين رأيث النبات ينمو على الجدران، وصولاً إلى السقف الحجري. كانت قد وضعت سياجاً يسمح للأغصان الناعمة بالتسلق. شكّل تلاحم الأغصان شبكة رائعة من الأوراق الخضراء. "أي نبات هذا؟ إنه يشبه اللبلاب".

"هو كذلك بالفعل". لمست أوراق النبات الخضراء. "إنه أحد فصائل اللبلاب". سقطت إحدى الأوراق في يدها. "يقتلها الخريف". حذقت في الأوراق مطولاً.

"مظهر الأغصان يظل رائعاً". امتلأت الأرضية الحجرية بالأوراق اليابسة. "ألا يجلب هذا الحشرات في الصيف؟"

"لا. إنني أقوم بتنظيف المكان".

جلسنا حول الطاولة الخشبية الصغيرة، وبدأ هواء الخريف يحمل نفحات باردة، رغم أن شمس الصباح ما تزال تتأجج. "هل تحبين الحياة هنا؟"

"بالطبع أفعل، لكنني أستطيع استشعار رفضك للمكان".

"أنا لا...".

قاطعتني: "أنتِ لا ترفضين المكان، ولا المدينة". ابتسمت بطريقة أمومية. "أنتِ ترفضين التجديد، والانتقال المفاجئ، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح".

"شعرت بهذا حين انتقلنا إلى هنا أول مرة. بعد مدة قصيرة، شعرت كما لو أنني أنتمي إلى هذا المكان، ولم أكن أدرك هذا طوال سنوات حياتي التي مضت". التفث نحوي، فلمع لون عينيها تحت شعاع الشمس. "كما لو أن جذوري نمت في هذه المدينة... في هذا المكان".

"أريد هذا حقاً".

قالت: "إن كنت تريدني، فلن يمنعك أي شيء".

"هل حدثت أي أشياء تثير استغرابك هنا؟، أعني... طالما أن شقتنا تقع فوقك شقتكم مباشرة، ألم تشعروا بأي شيء غريب، قبل انتقالنا إليها".

زمت شفرتها، وهي تهز رأسها نفياً. "لا، لا شيء واضح سوى الأقاويل التي تدور حول شقتكما بالتحديد. أخبرت زوجك بهذا الأمر حين رأيته أول مرة، وخشيت أن ينفر مني بسبب اعترافي. يؤمن الجميع بأن شقتكما ليست كسائر الشقق الموجودة هنا".

زفرت بقوة أكبر. لقد أخفى عني هذا. "هذا ما أشعر به أيضاً".

"قل إن روح ذاك الساحر ما تزال عالقة فيها. لا أحد يعرف ما الذي حدث له تحديداً، هو لم يموت، ولا وجود لأي جمّة، ولم يظهر في أي مكان آخر". قرأت المرأة خوفاً، فقالت: "لكن الإيمان بهذه الأشياء هو ما يجعلها حقيقية. هذه القصص أقولها لك كما نقلت إلي، لكنني لم أصدقها أبداً، ولم أر أي شيء يوحي بأن ما حدث هناك كان أمراً

حقيقياً".

"لكنني أشعر بالخوف".

هتفت: "هذا هو الخطأ الأكبر". سألتني: "هل جربت أن تناقشي السيد روزوود بالأمر؟"

"لا، بران لن يصدق هذا".

قالت مؤيدة: "لأن هذه مجرد كذبة". أردت أن أمتلك ثقتها هذه، لكنني عاجزة عن إزاحة هذا الهاجس من أعماقي. "عليك فقط أن تري الجانب الجيد من الانتقال إلى هنا. ابحتي عن العوامل التي يجدر بها أن تجعلك سعيدة". أطرقت بصمت، لكنّها استأنفت نصيحتها: "اعذريني على قول هذا، لكن أنت وحيدة أيضاً. أما بالنسبة إليّ، فأنا تشغلني عائلتي باستمرار، لكن أنت...". فهمت ما كانت تعنيه، ورحت أراقبها بصمت، لكنها قالت: "أنا آسفة!".

"لا، أنت محقة. ربما الإحساس بالملل والوحدة...".

"هذا ما أعنيه. ربما لو وجدت ما يلهيك عن مراقبة كل التفاصيل الموجودة حولك، فإن هذا سيجعل الأمور أكثر منطقية. سيصبح كل شيء طبيعياً حينها". لم تمنحني المرأة خيارات أو حتى توضيحات أخرى، لكنني امتلكت أفكارى الخاصة حينها.

عدنا إلى الداخل معاً، وعرضت عليها أن أغسل طبقي وكوبي، ورغم أنها اعترضت إلا أنني فعلت ذلك. "شكراً لك سيدة فارنوورث".

صححت لي: "مارثا".

"شكراً لك يا مارثا".

جففت يدها، ثم رافقتني وصولاً إلى باب شقتها. "إن احتجتِ إلى التحدث مع أحد، فأنا هنا.. سأكون هنا دائماً، ويمكنك أن تطرقي بابي في أي وقت". كنت ممتنة لذلك، وهذا ما جعلني أعجز عن إيجاد الرد المناسب قبل أن أرحل عنها.

ما إن أغلقت هي الباب حتى هرولت على السلم العريض، وصولاً إلى الطابق العلوي.

قضيث الأيام الثلاثة التالية أجمع الصحف وأبحث عن إعلانات للتوظيف، كنتُ أفعل الأمر من دون أن يلاحظ بران ذلك، لكنه داهمني في غرفة الطعام الصغيرة، ورأى الصحف أمامي، والقلم الأسود في يدي. "ماذا تفعلين بكل هذه الصحف؟". حين ألقى نظرة على الإعلانات التي قمْتُ بتحديدِها، سألتني: "أتبحثين عن وظيفة؟".

"أنا فقط... أشعر بالفضول".

وقف إلى جوار كرسيي، وأمعن النظر أكثر في الإعلانات المكتوبة. "فضول، يبدو الأمر أكثر من مجرد فضول". رماني بنظرة سريعة: "أنتِ جادة في هذا، ولم تطلعين على الأمر حتى".

قلتُ: "ما كنتُ لأقدمَ على أي شيء، ما لم أعلمك به مسبقاً. أردتُ فقط أن أتأكد من أن هناك بعض الفرص الشاغرة، ومن ثم كنتُ سأستشيرك في هذا. كنتُ متحمسة إلى هذا، وهو ما جعلني أبدأ بالبحث فوراً". زَمَ شفتيه، ولم يفهم ما الذي كنتُ أحاول القيام به بالفعل.

"ما معنى هذا كله؟"

قلتُ له: "ليس عليك أن تغضب الآن، إنها مجرد فكرة".

"لستُ غاضباً، لكنك تتجاهلين وجودي". سحب الكرسي المجاور لي وجلس. "هل صدقتِ حديث لامبير عن المال، هل تعتقدين أننا بحاجة إلى أي وظيفة، حتى لا نموت جوعاً؟". في البداية لم أفهم ما يقصده، ثم تذكرت حديث الناشر عن إيرادات الكتب.

"لا. بالطبع لا. الأمر لا يتعلق بعائدات الكتب".

"وضعنا المالي جيد".

"أنا أشعر بالملل، وجودي هنا لا يغير أي شيء، كما لو أنني لست موجودة إطلاقاً. أردت فعل أي شيء ذي معنى، حتى وإن كانت وظيفة عادية". أخبرته أن الأمر لا يتعلق بوضعنا المالي، لأنني كنت أعرف جيداً أنّ في حوزتنا ما يكفي مدة أطول مما نتصور.

"ثقي بي، الأمور لن تكون بهذه السهولة، يمكنني وحدي تدبّر كل شيء".

إنّه يتعمّد التغاضي عن المعنى الحقيقي لما أحاول الاعتراف به. "هذا لا يرتبط بمسؤوليتك تجاهي، بقدر ما يتعلق بمسألة وجودي، وإحساسي بالأهمية تجاه نفسي. أنا بلا أهمية".

"لا تقولي هذا".

أجبت بإصرار: "بلى، إنها الحقيقة". تنهّد بران، وقبض على كلتا يديّ ليواسيني، وهذا ما أردته بالفعل. "أنا بحاجة إلى هذا، وأعلم أن بقائي أو غيابي لن يغير شيئاً. بقاؤنا هنا طوال الوقت، هو ما تسبّب في معظم خلافاتنا".

"إن كان هذا ما تريدينه، فهو لك". أضاف فجأة: "لكن لا تعتقدي بأنني أؤيد ما تقولينه. وجودك هام، وأنا لا أتجاهل أهمية بقائك معي. أما إن أردت ملء وقتك بشيء آخر، فأنت حرة في هذا". كشفت عن أسناني مبتسمة أمام وجهه الجاد.

"شكراً لك". ابتسم بدوره، واحتضن رأسي.

رحت بعد ذلك أقتطع الإعلانات من الصحف، وأرى أي شيء يمكن أن يخدمني. لم تكن فكرة الوظيفة دارجة حين قررنا الانتقال، لكن بعد حديثي مع مارتا، شعرت بأنني أحتاج إلى أن أنشغل بشيء آخر، لا يتعلق بقدرة بران ومصيره كروائي.

اختفى بران، وبينما كنت منشغلة بالصحف، سمعت صرير الأرضية الخشبية يتبع وقع خطواته البعيدة. قمث بتوزيع الإعلانات الهامة أمامي، ورحت أقارن المتطلبات بما يمكنني تقديمه، وما لا أستطيع تقبله في عملي. كنت أعرف أنني لا أتعامل مع الأمر بجدية، ولا أريد أن أتورط بأي شيء، ثم أراجع.

عثر على عناوين قريبة مني، أرقام هواتف يمكنني الاتصال بها. بعد أقل من ساعة، كنت قد نظفت الطاولة من كل القصاصات، وأعدت ترتيب الأطباق استعداداً لوجبة العشاء. تحسّن مزاج بران بشكل مفاجئ، ولم يتطرق إلى الحديث عن الوظيفة ورغبتي المفاجئة، كان هادئاً معظم الوقت.

"هل كان حديثك مع فيلاسكو مفيداً؟"

"كان كذلك، إن الرجل جيد في عمله". ضاقت عيناه وهو ينظر إليّ: "أخبريني مجدداً، كيف عثرت عليه؟ أعني هل كنت تعرفين من هو قبل أن أصادفه؟".

"أخبرتكَ بأنني أجريث بحثاً عن بعض المعالجين".

اتسعت عيناه وهو يتأمل طعامه ببرود. "لم أشعر بأنه معالج

حقيقي، بقدر ما كان يتحدث كصديق. إنه ماهر، ويعرف كيف يختار نصائحه وأسئلته بعناية أيضاً".

هتفت: "أنا سعيدة، لأنك راضٍ عن هذه التجربة". أضفت سؤالاً آخر: "هل هناك فرصة لجلسات أخرى؟".

"اتفقنا على أن نلتقي بعد غد".

"بهذه السرعة؟"

"طالما أنه يسكن في نفس المبنى، فلا شيء سيمنعه من لقائي أو التحدث معي. لا أعرف إن كان يتخذني كحالة جدية، أم أنه فقط يرغب في التخفيف عني. إنه حتى يرفض أن يتقاضى أتعابه". بدا لي أن هذا غريب، فنوع الكرم هذا جديد عليّ أيضاً.

بعد العشاء، قضى بران معظم المساء يشاهد حلقات متتالية لأحد المسلسلات الجديدة، وأسمعه من حين إلى آخر يقهقه بصوت مسموع. انسحب نحو حمام غرفة نومنا، وقررت ملء حوض الاستحمام. كان بران بعيداً عني، وضوضاء التلفاز أيضاً كانت قد تلاشت.

سمعت صوت أجراس بعيدة وأبواق ضعيفة حولي.

حاولت أن أفتح الصنبور، فأصبح صوت الأنابيب أكثر وضوحاً، ثم اختلط صوته بصوت أنين مستمر، كما لو أن هناك قطاراً بعيداً يأتي من آخر النفق، إنه استنجاذ طويل لا معنى له..

بكاء وصرير في آن واحد.

أرعبني هذا الصوت، فهو ليس بشرياً بكل تأكيد.
تدفق الماء بشكل مربع، وارتطم بقاع الحوض.

تراجعت قلقة، لكنني رحّث أراقب السائل الشفاف ينتشر في
الحوض الأبيض الناصع، ثم راح يغطي الأرضية بأكملها. تدريجياً ملأ
الماء الحوض، وأنا أراقب الدخان المتصاعد منه، وأستشعر الرطوبة
التي بذلت الهواء في المكان.

خلعت ثيابي، وغمست جسدي في الماء الساخن.

أبقيت رأسي تحت الماء وشعرت بالاختناق، بينما كان الماء يلسع
جسدي. تلاشى صوت العواء الخافت لوهلة، ثم أوقفت تدفق الماء،
فتجدد مرة أخرى. فتحت عيني وراقبت المكان حولي. حاولت أن
أسمع صوت التلفاز، لكنه كان بعيداً جداً.

أغمضت عيني، واستعدت هدوئي.

ظلت الأصوات تتجدد وتهمس في أذني، وتنتشر من وراء كل
الجدران والمرآة المغطاة بالضباب. كنت مرتعبة، لكنني تعمّدت
التجاهل، أبعدت تفكيري عن كل الأفكار التي يمكنها أن ترعبني،
ورحّث أفكر في ماريان وسارة، أدركت بأنني لم أتصل بهما منذ وقت
طويل.

أرخيّت جسدي تدريجياً في الماء، واستسلمت إلى أفكارِي. رحّث
أفكر في طفولتنا أنا وهي. كنت أفتقد وجودها بشدة، رغم أنّ حنيني
لم يعد يشدّ إلى هذا الحد بعد زواجي من براندون، لكنني الآن أشعر
بأنني غريبة، حتى في منزلنا أنا وهو.

أشعر بأنه هو أيضاً غريب عني.

طفأ جسدي فوق الماء، أصبح الدفء مريحاً، فاستسلمت إلى هذا الإحساس. شعرت فجأة بأن يد أحدهم تجزني ببطء، والهواء حولي كان ينعدم. التفت خصلات شعري السوداء حول رأسي، وأصبح من الصعب إزاحتها وهي رطبة وثقيلة.

أردت الصراخ، حاولت أن أنادي بران.

تجدد صوت الأنين الذي ظننته ينبث من الأنابيب العتيقة.

أحدهم كان ينتحب في هذا العمق الأسود.

صراخ، وبكاء في آن واحد.

"إليسيا". سحبني بران، وتجدد الهواء فجأة. تنفست بصعوبة، وتدفق الماء بعنف فوق الأرضية. تلاشت الحرارة المحيطة بي، وأصبح الهواء بارداً. "إليسيا". صفعني برفق على وجنتي، سعلت فتناثر الماء من فمي. "ماذا فعلت؟"

"لم أفعل... لم أفعل شيئاً". تنفست ببطء، واستعدت طبيعتي.

"لو أنني..." ارتجف صوته. "لو أنني تأخرت فقط". غرقت عيناه بالدموع، ثم مَدَّ يده وحاول أن يجرنني من الحوض أخيراً. "كنت تحت الماء".

حاولت أن أعثر على مسوِّغ لهذا، لكنني لا أتذكر كيف حدث ما حدث. "لقد غفوت".

"في حوض الاستحمام؟"

"لم أشعر بنفسي. حدث هذا فجأة". ظل الشك واضحاً في عينيه، لكنني أردت تكذيب هذه النظرة. هل كان يعتقد بأنني قد أحاول الانتحار من دون أي دافع واضح لذلك حتى؟ التقطت المنشفة، فتراجع بران وظل يراقبني وهو في غرفة نومنا. "أنا بخير".

"حسناً". قال ذلك، ولم يتحرك من مكانه.

خرجت لأرتدي ثياباً أخرى. جلس هو على طرف السرير وبدأ منهكاً، أو لعل الخوف هو ما استنزف كل طاقته. جلست إلى جواره، وقلت: "أنا آسفة، مما حدث".

"كدت أموت رعباً". أطلق زفيراً قصيراً. "ظننت لوهلة، أنني فقدتك".

"لكنني هنا، لا شيء يستدعي هذه الجدية الآن. ما حدث كان خطأ، وأنا أعترف بهذا". أوماً بصمت، كما لو أنه أراد إسكاتي فقط. نهض ليرتدي منامته، وبنفس الهدوء دس نفسه تحت الغطاء. ترك المصباح الجانبي مضاءً، وأغمض عينيه متظاهراً بالنوم.

جففت شعري، وعدت لأطفئ المصباح الجانبي. كانت أنفاسه ساكنة، لكنني لا أعرف ما إذا كان ما يزال مستيقظاً أم لا.

استلقيت إلى جواره، ثم همست: "بران".

"ماذا؟"

"هل تفكر في بيتر؟"

"أحياناً". خففت أنه كان يكذب.

"فيمَ تفكر حين تتذكره؟"

"لا شيء محدد. أتذكر هيئته الصغيرة.. صوت بكائه". استلقى على ظهره، ودس يده تحت الغطاء ليمسك بيدي. "هل تفكرين فيه أنت أيضاً؟".

قلت: "دائماً".

"فيمَ تفكرين تحديداً؟"

"في كل شيء يتعلق به.. ثيابه، صوته، أول مرة حملته فيها". أفكر أحياناً بشكل جوفته حين عمرث عليه ميتاً في سريره. أفكر أيضاً في موته الغريب، والذي لم يترك أية علامات. أفكر في نحيبي تلك الليلة وبصوت صراخي المفاجئ.

"ربما يمكننا إنجاب طفل آخر". تحرك رأسه نحوي، لكنني لم أر وجهه بسبب الظلام الدامس. "لماذا لم نفكر بهذا جدياً؟".

"أن نعوض غيابه بطريقة أخرى؟"

"ما الخطأ في هذا؟"

بدت الفكرة منطقية. ما الخطأ في إنجاب طفل آخر يصبح بديلاً لبيتر، الذي لم يقض معنا سوى ثلاثة أشهر فقط؟ كانت هذه أنانية مغفورة، لن يلومني عليها أحد حتى طفلنا الجديد، لن يعرف بأنه سيكون بديلاً لبيتر الذي فقدته فجأة.

وعود، ولا شيء حقيقي. كل طلبات التوظيف كانت مرفقة باشتراطات مبهمة، لم يحدث أي شيء منها. ثم أتى رد صحيفة ساوث باي بعد الأسابيع الثلاثة، أو لكي أكون أكثر شفافية، بعد تسعة عشر يوماً من البحث المستمر. خلال هذه الأيام، تحسنت حالة بران، وما عدنا نناقش أمر الوظيفة، ولم يجادلني في خيباتي. كان يختفي لساعات متواصلة في مكتبه محاولاً الكتابة، ويظهر خلال وجبات الطعام، أو أوقات راحته. خلال المساء يكون بإمكاننا أن نشاهد فيلماً جديداً، أو مسلسلاً عشوائياً يُعرض على التلفاز. في بعض الليالي الأخرى، يصبح المذيع العتيق هو وسيلتنا للمتعة.

في يوم الثلاثاء بارد نسبياً من أيام سبتمبر الأخيرة، خرجت من ريد ستون. قطع طريقي وجود طيف شخص جديد. كانت امرأة ترتدي فستاناً أسود طويلاً، بأكمام طويلة. "مرحباً". ابتسمت بوداعة. شعرت بالمفاجأة لأنني ما زلت أرى وجوهاً جديدة، رغم أنني بقيت بما فيه الكفاية هنا.

"مرحباً". توقفت أمامها.

اهتزت الأساور العديدة في كلتا يديها، كلها كانت فضية نظيفة تلمع تحت الضوء الساقط من القبة العالية. ارتفعت ياقة فستانها، رغم أن البرد الحقيقي لم يحل بعد. طوّقت عنقها بسلاسل رقيقة وفضية يتجاوز عددها العشر، ومن أذنيها تتدلى أقراط ضخمة، تتأرجع باستمرار تحت خصلات شعرها الرمادي الملتوي.

"رأيثك من قبل، لكن لم يتسنَ لنا التحدث بشكل حقيقي".

اعترفت: "أنا آسفة، لم أنتبه...".

لَوحت بيدها: "لا عليك، لم تَريني. أنا فقط مَن أنتبه إلى وجودك هنا". ابتسمت كاشفة عن أسنانها السليمة. "لأنك جديدة، هذا ما ساعدني على إدراك وجودك. لا يأتي سكان جدد إلى هنا إلا نادراً". كدث أخبرها بأنني ما عدتُ جديدة. "تبدين... مشرقة".

"هذا لطف بالغ منك". أضحكني التعبير، ثم سيطر عليّ الخجل. "أنتِ كذلك، تبدين أنيقة".

"هناك اختلاف بالغ بين الأناقة، وبين أن نكون مشرقين".

سألته: "ما الفرق؟"

"الأناقة أمر اختياري، لكن هذه الإشراقة أمر ينبع من أعماقنا... شيء يصعب السيطرة عليه". استعانت بكلماتي يديها وهي تشرح، لأن صوتهما الناعم وحده ما كان يكفي لكي ينقل كل التعابير الغامضة. "يدفع الأشخاص كل ما يملكون، فقط ليكونوا بكامل إشراقتهم، لكنك رغم هذا تحملين فتيلك الخاص، وهذا ما يجعلك شخصاً حقيقياً".

ضحكت مجدداً: "أنا لا أفهم".

"أوه، هذا أمر بالغ التعقيد، ويصعب شرحه".

"دعيني أخمن، أنتِ من مواليد برج... الحمل، أليس كذلك".

قلت: "هذا صحيح، لكنني لا أؤمن ب...".

لَوَحَتْ بِيَدِهَا لَشُكَّتَنِي. "هذا هو أول ما يقودنا نحو الانطفاء، عدم الإيمان بالأشياء الحقيقية لمجرد كونها بعيدة وخفية". أضافت بجدية: "ثم نبدأ بعد ذلك، بفقدان الإيمان بأنفسنا، ونتلاشى". مثلت حركة التلاشي بكلمات يديها كما لو أنَّ هناك انفجاراً صغيراً سيحدث. "لا يبقى منا سوى صورة حية".

"لدي موعد هام".

"وظيفة جديدة؟"

هتفت: "هذا صحيح".

"ستنالينها، لكن عليك فقط إبداء الرضا تجاه كل الأشياء التي قد لا تشبهك". غمزت وهي تقول: "اتفقنا؟"

أومأت ببلاهة، ورددت: "اتفقنا".

"بالمناسبة أنا هيلينا ستون، دعينا نلتقي في منزلي. الشقة ١٠١. سيكون مريحاً بك في أي وقت". استدارت برشاقة، وخطت خطوة نحو المصعد، ثم رمتني بنظرة سريعة من فوق كتفها: "سأقرأ لك الطالع... مجاناً". لم أمنحها موافقة حقيقية، إلا أن الفكرة أغرتني بقدر ما أغراني حديثها.

خرجت متجهة إلى عنوان ساوث باي، وكان بإمكانني أن أستقل الحافلة إلى محطة واحدة، ثم أستأنف طريقي سيراً تحت واجهات المحال في المباني القصيرة القريبة من الخليج.

عرض عليّ بران أن أقود سيارتي إلى هناك، لكنني رفضت هذا، وكنت بحاجة إلى هذه الانطلاقة الطويلة من دون أن يكون فيها أي

جزء مرتبط بريد ستون أو ببران.. دقائق طويلة تتعلق بي وحدي. حين وصلت إلى المبنى المعني رأيت لوحة بيضاء باهتة، تُعلن عن وجود ساوث باي. كانت تقع في الطابق الثالث من المبنى الذي يعادل حجمه ثلث ريد ستون.

لم أبحث عن المصعد، لأن السلم هو أول ما واجهني عند المدخل. صعدت بخطى سريعة وحذرة، بسبب كعب حذائي القصير. حين وصلت إلى طاولة الاستقبال، وجدت شابة شقراء تجلس خلف الطاولة. "لدي موعد..."

"إليسا روزووز". هتفت فوراً. "سيكون السيد كريس كاربنتر مستعداً للقائك بعد عشر دقائق". نظرت إلى ساعة يدي، فأدركت أنني وصلت باكراً بالفعل. "يمكنك الجلوس ريثما يُنهي اجتماعه". تراجعته نحو صف الكراسي الثلاثة الجلدية. "هل تشربين أي شيء؟"

"الماء وحده سيكون كافياً".

ضغطت على زر في هاتف المكتب. "جوي، قنينة ماء".

بدأت تمضغ ما كان في فمها بشكل مبالغ به، وهي تحاول أن تطل برأسها لتتفحصني. حين اكتشفت أنها تراقبني ابتسمت واستدارت. بدت مراهة أكثر من كونها شابة. جلست بثقة من دون أن أخفي يدي، أو أحاول إبداء قلقي حيال وجودي هنا.

تأملت المكان حولي، ثم تسربت رائحة التبغ تدريجياً.

هناك مروحة قريباً من الفتاة، معلقة في الزاوية العليا من

المقصورة التي جلسَتْ فيها، وهناك أيضاً مروحة أخرى بعيدة في نهاية الممر، عند ساحة المكاتب المكشوفة. لم يكن المكان حاراً، إلا أن الرائحة الغريبة كانت عالقة هنا، وهذا يدل على أن النوافذ الغابرة الضخمة لم تُفَتَّح إطلاقاً.

بدأ هاتف المكتب بالرنين، ثم سمعت الفتاة تقول: "نعم، إنها هنا". ثم هتفت: "لا.. لا، حسناً". طرحَت السماعَة، وحاولت النهوض من مكانها الضيق. "آنسة روزوود، اتبعيني. السيد كاربنتر ينتظرك في مكتبه". أردت أن أصح لها معلومتها، لكنني لم أفعل.

تجاوزنا الممر القصير، وصولاً إلى ساحة المكاتب المكشوفة الصغيرة، ومنه انعطفنا إلى آخر ممر في الرواق الجانبي. لم يكن هناك الكثير من الموظفين، لكنني رأيت بعض الأعين تتبعني. حين وصلنا إلى المكتب، طرقت الفتاة الباب مرتين، ثم فتحته.

نهض السيد كاربنتر من مكانه، كان يشبه لامبير إلى حد ما. يبتسم بمكر، وجانباً شعره غزاهما الشيب، إلا أن القمة ظلت سوداء نسبياً. كانت يده أضخم من يدي، وحين صافحني شعرث بنعومة باطن يده. "مرحباً بك في ساوث باي".

أشار إلى الكرسي أمام المكتب، فجلسْتُ. "شكراً لك".

"ميني، اطلبي من جوي أن يُحضر لنا القهوة". أومأت الشابة، وخرَّجت سريعاً. عاد كريس كاربنتر إلى الجلوس في مقعده الجلدي الوثير. كانت نافذة مكتبه الجانبية ضخمة، تستهلك كل الجدار، وتطل بوضوح على الشارع المقابل للشاطئ، وتكشف أيضاً عن القليل من الواجهات الجانبية للمباني القريبة. "هل عملت في مجال

الصحافة من قبل يا سيدة روزوود؟"

"بالطبع، ذكرث هذا في السيرة الذاتية".

ضرب بسبابته على سطح المكتب. "آه، صحيح... صحيح". سألني:
"لكنك توقفت عن العمل لسنوات، أليس كذلك؟"

"نعم. أنا متزوجة، ومعظم وقتي كان للمنزل".

"هل لديك أولاد؟"

فكرث في الإجابة... في بيتر أيضاً. "لا". لم يفهم الرجل إجابتي
الأولى، طالما أنه ليس لدي أبناء، فأني وقت سيتطلبه منزلي؟.

"هل تعيشين هنا؟"

قلت: "انتقلنا حديثاً إلى هنا".

"وكيف ترين المكان؟"

"رائع". لم أكن واثقة من مقدار الجمال الذي أراه، فالمدينة بالفعل
رائعة، وتبدو نابضة في الصباح، لكنها أيضاً تعيش في خط زمني
مختلف عن المدن الكبرى. "الحياة تتطور هنا بشكل ملحوظ، لكنها لا
تشبه المكان الذي أتينا منه".

فتح أوراق سيرتي الذاتية، وقال: "تعاملت مع صحف كبيرة، أنت
تستحقين فرصاً أكبر من العمل هنا".

"هذا يعتمد على نمط حياتي، في السابق كان بإمكانني التواصل مع
تلك الصحف بسهولة، لأنها قريبة مني، لكنني الآن بعيدة".

"لديك إمكانيات، ورصيد جيد. لا يجب إهداره هنا".

"في الواقع، إن حياتي الزوجية تشغل معظم وقتي، وهي أولوية بالنسبة لي". زَمَّ شفتيه، لأن ما قلَّته لم يكن ملائماً. لم أشعر بالندم، لأنني إن خسرت هذه الوظيفة، فسأكف عن محاولاتي، وأكون مقتنعة بفكرة البقاء في المنزل. تذكرت تلك المرأة التي صادفتها.

"ما الذي تغيّر الآن؟"

"إن زوجي كاتب، وهو يقضي معظم وقته في البيت. أما أنا فقد أدركت بعد كل هذا الوقت، بأنني لا أستطيع البقاء هكذا من دون القيام بأي شيء حقيقي". لم تكن هذه الوظيفة تمثل أي شيء حقيقي، لكنني أردت الخروج من الإطار الذي حبست نفسي فيه.

سألني: "وهل هذه الوظيفة هي حقاً ما تريدينه؟"

لويث رأسي، ولم تكن هذه إجابة صريحة. "لست واثقة". اعترفت أخيراً.

ضحك الرجل: "أنت جريئة جداً، ولا أجد أي دافع يجعلني أتأمل أن يحدث وجودك هنا تغييراً. لا تبدين جادة إلى حد كافٍ، وإجاباتك توحي بأن هذه الوظيفة مسألة تغيير ليس إلا". استسلمت إلى الخيبة. "كل ما لديك هو تاريخ جيد في العمل، وهذا يشفع لك".

"شكراً لك".

"سنرى ما يمكننا تحقيقه معاً، وسأمنحك فترة تدريب... أو تجريب مقابل نصف الراتب الأساسي. سنفعل هذا في الشهر الأول فقط، ومن ثم ستصبح الأمور جدية أكثر في الشهر التالي. أعتقد أن هذا

سيرضينا معاً. أنا لا أستطيع المجازفة، ولا أشعر بأنك واثقة من رغبتك في العمل هنا".

"سيد كاربنتر، هذا ليس صحيحاً. أنا أريد هذا العمل".

قال: "عليك إثبات هذا. لديك أربعة أسابيع".

أطلعني على كل الأشياء التي تتعلق بوظيفتي، بعض المهام الأساسية، والعمل الإضافي الذي يمكنني القيام به إن رغبت، وراتبي، ونظام ساعات العمل حتى. لم أجد ما يثنييني عن البقاء سوى أن الراتب كان أقل من المتوقع بقليل. ساعات العمل مرنة إلى حد ما، وهذا يعوّض كل شيء.

"يمكنني أن آخذك في جولة حول المكان، إن كنت تملكين متسعاً أكبر من الوقت". أردف بسرعة: "لتتعرفي على منطقة العمل الجديدة، في حال وافقت على هذه الفرصة".

قلت: "بكل سرور".

نهضنا معاً، وخرجنا من المكتب. تجاهل السيد كاربنتر المكاتب القريبة من مكتبه، وقال لي: "هناك مطبعة صغيرة في الطابق الثاني، يسمح لنا صاحب المبنى بأن نستعمل القبو كأرشيف أيضاً". قادني إلى الطرف الآخر من الطابق الذي كنا فيه. "المحررون موجودون في الجانب الشرقي من المبنى، ولسوء الحظ فإن مكاتبهم تطل على الزقاق مباشرة".

انعطفنا معاً في الممر الخلفي، نحو ثلاثة مكاتب بنوافذ زجاجية واسعة.

"هنا يوجد مكتب إضافي". رأيث طاولتين خشبيتين، وخلفهما كومة من صناديق الأوراق التي أخفت الحائط تماماً. "سيتم إزالة كل هذه الفوضى قريباً". ظهر ظل آخر من ورائنا، تراجعث ورأيث شاباً يحاول تجاوزنا لدخول المكتب.

"إليسيا هذا بنجمن مايرز. ستقتسمان الحجرة معاً".

"بن، هذه إليسيا روزوود".

التفت الرجل، ورأيث شيئاً من الاستخفاف يرتسم على محياه. "أعرفين براندون روزوود؟"

"إنه زوجي". أوما بعدم اكتراث، ثم جلس وبدأ يفتش في جرارات مكتبه.

طلب مني كاربنتر أن أتبعه، وحين لاحظ أن هدوئي تفاقم، قال: "ستعتادين على بيئة العمل هنا. نمط الحياة هنا أكثر انطوائية من المدن المفتوحة، وعادة لا تجدین ترحيباً كبيراً بالغرباء، حتى تظهر بواذر الثقة بين الطرفين. لا يشبه هذا الحياة في المدن الكبرى".

"حتى هنا؟". كانت صورة الحياة من خلال النوافذ تحمل لمحة من مدينتنا. مبانٍ إسمنتية قصيرة، وخليج ممتد، وأرصعة خشبية. هناك أيضاً واجهات زجاجية، ومصابيح نيون مضيئة في الليل، وأكشاك خشبية ممتدة أمام الشاطئ.

"هذا المكان ليس استثناءً. ستفهمين الأمور تدريجياً، وستكتشفين أن الروابط حين تولد هنا، فهي أمتن من العلاقات الهشة والسريعة التي تخلقها المدن المزدهمة".

"كيف؟"

"إنَّ الأشخاص هنا يبنون علاقاتهم على مبدأ الثقة، فهم لن يتعاملوا معك بجدية، ما لم تكوني محلَّ ترحيب وثقة. لا أحد يتوقع أن تُنجزي عنه عمله على

سبيل المثال، لأنَّ الوظيفة أمرٌ مقدَّس في هذه الأماكن المنسية والقاسية. الفرص ليست واسعة بقدر ما هي في العاصمة، هل تفهمين؟"

"أعتقد أنني فهمت."

أردف: "حين تصبحين صديقة لأحد، فهو يتوقع منك أن تكوني صديقة حقيقية في هذا المكان". لعلَّه محق، ولعلِّي أيضاً لم ألاحظ هذه الأمور، لأنني لم أمتلك أصدقاء فعليين في المدينة. أملت في أن تُغيّر إقامتي هنا هذه الفكرة، وأن يكون مجتمعي أكثر اتساعاً.

في نهاية الجولة القصيرة، قرّر كاربنتر أن يمنحني يوماً إضافياً للتفكير بقراري. كان عازماً على أن أبدأ بأسرع وقت، وهذا ما كنت أريده، لكنني ما كنت سأتجاهل ساعات التفكير التي منحني إياها، رغم أن اللقاء سار بشكل جيد. خرجت من المبنى وقد ملأني الإحساس بالرضا، رغم أن المكان لا يشبه أي مكان عملت فيه من قبل.

توقف المصعد أخيراً، خرجت أدفع نفسي بسرعة نحو باب شقتنا. كان هناك الكثير لأبوح به لبران، والعديد من الأفكار التي أردت استرجاعها في خيالي.

"مرحباً". سمعت الصوت من ورائي.

توقفت عن التفتيش عن مفتاح الشقة، والتفت بينما يدي ما تزال مُقحمة في الحقيبة. "مرحباً". تعجبت حين رأيت جارتني، على كرسيها ذي العجلات. كنت قد نسيث أنها موجودة، ولولا النغمات التي كانت تنبعث من شقتها من حين إلى آخر ما كنت لأتذكر وجودها إطلاقاً.

"ضغطت على الجرس، ولم يرد أحد".

أشرت إلى الباب. "أعتقد أن زوجي...".

"أعتقد أنني سمعت صوت الباب يُغلق قبل ذلك". تأملتها لوهلة، ثم قالت: "في ذاك اليوم، لم تسنح لي الفرصة أن أشكرك". مضى وقت طويل بالفعل. "أردت أن أعبر عن امتناني فقط لا أكثر". أردت أن أقول شيئاً ما، أي شيء أجيب به. "هل لي أن أدعوك لبعض الوقت".

"في الواقع... لقد عدت للتو".

"دقائق قليلة فقط".

لم أتردد: "حسناً". تبعثها، فحزكت كرسيها بصعوبة إلى الوراء. كانت شقتها ما تزال على حالها، كما رأيثها آخر مرة، إلا أنها بدت

أنظف قليلاً، ورائحة البرتقال عبقة بقوة في البهو، وحتى في غرفة المعيشة. كان هناك إطار بيضاوي صغير معلق، وإلى جواره فرشاة وألوان.

"سأجلب لك الليمونادة". أضافت: "إنني أعدها بنفسي هنا". تبعثها إلى المطبخ، وأخذت منها العصير، وسكبث لكينا. "شكراً لك. أكره عجزي وبطئي".

"لا.. لا تقولي مثل هذه الأشياء".

أصرت: "إنها الحقيقة يا إيسيا". نطقث اسمي كما لو كانت تعرفني. "هل تعرفتِ على الجيران هنا؟" أومأث مؤكدة. "إنهم لطيفون، أليس كذلك؟" تجرعت الجرعة اللاذعة التي ملأت فمي دفعة واحدة. "فقط في البداية، هكذا تبدو كل البدايات".

سألثها: "لماذا تقولين هذا؟"

"لأنها الحقيقة أيضاً، لا تسأليني، لماذا أبوح بالحقيقة؟، لأنها وُجدت لتكون معلنة". رمتني بنظرة حادة. "من السهل البوح بالكذب وتصديقه حتى، إلا أن الحقائق هي وحدها التي يجب أن تدركيها". انتظرت مني أن أقول شيئاً ما... أن أرد. ارتشفت رشفة أخرى من العصير.

"هل ترسمين شيئاً جديداً؟، رأيث لوحة ليست مكتملة هناك".

هزت رأسها بملل: "أعمل على شيء جديد... دائماً. لا أعرف ما الهدف من هذا؟، ولماذا علي أن أترك تلك الأشياء هنا؟".

"تبدين محبطة".

"ألسِتِ كذلك؟ كلنا محبطون، لكننا نتمسك بما هو عكس الحزن. لهذا السبب يطول الحزن، إلا أن السعادة تزول بسرعة... لأنها مزيفة". دارت عيناها، ولم تَرَنِي وأنا أعبر عن مللي. "سأريك بعض الأشياء التي كنت أقوم بها بالفعل.

خرجنا معاً إلى غرفة المعيشة، وسحبنا إطاراً أكبر من وراء الطاولة الخشبية. كانت لوحة غريبة لظل مخروطي وفي قمته رأس بأسنان مدببة تحيط بقمته. كان تاجاً أو شيئاً من هذا القبيل. أحاطت الصورة دوامات حمراء بحدود سوداء داخلية، شكّلت الطبقة الخلفية للرسم كاملة، ومن ثم امتد الظل الطويل والغريب في العائنين السفليين للصورة.

"إنها..."

"غريبة؟ مرعبة؟"

كذب: "جميلة". لم تكن هذه كذبة تامة، فاللوحة جميلة في غرابتها، والإحساس الغريب الذي تبعته. رفعت أصابعي لألمس الطلاء، لكنها أزاحتها عني.

"لا تفعلي هذا". أمرتني بهدوء، فاعتذرت منها. "إنها تُدعى المرأة في الرداء القرمزي".

"هل أطلقت عليها هذا الاسم؟"

حرّكت رأسها نفياً: "هذا هو اسمها، لا أطلق عليها أي شيء". أي نوع من الجنون كان يسيطر على هذه المرأة ويلوث كلماتها وحركات يديها وأفكارها، ولم يترك لها سوى هذه الموهبة المرعبة. "أردت أن

أصنع شيئاً آخر.. شيئاً حقيقياً وأكثر جمالاً. إنها ما تنفك تظهر في كل خيالاتي". فركت جبينها بعنف: "يا إلهي، كم يبدو هذا مؤلماً، إنه يحطمني، يحرق حتى أعماقي".

أردت أن أعرض عليها المساعدة. ربما كان هناك من ينقذها من هذه العزلة، لكنني تراجعته بسرعة. "لماذا لا تخرجين من هنا؟"

"هذا بيتي، إلى أين أذهب؟" لمعت عيناها ببريق غريب، كما لو أنها أرادت الخلاص، وتوقعت أن تجده في حوزتي أنا.

"لا أعني أن تتركي بيتك، ربما يمكنك الخروج للتنزه".

ارتجف جسدها، وراحت تفكر للحظات. "أنا برفقة هذا الشيء القذر، لا يمكنني الخروج وأنا في هذه الحالة.. ألا ترين ذلك؟" "سيدة ماكنيل، أستطيع..."

قاطعتني بخوف مفاجئ: "كيف تعرفين اسمي".

"يعرفه الجميع هنا، أخبروني بأنك أنتِ جارتِي، وفي الواقع أن اسمكِ يبدو مألوفاً لي، لكنني لا أعرف أين سمعته من قبل".

"ماذا قالوا عني؟ أعني الجيران".

"لا شيء".

"لماذا أخبروك باسمي؟"

"لأنك ستكونين جارتِي".

سألتني: "فقط؟"

"وعن أي شيء آخر سنتحدث؟"

رفعت كتفيها: "لا أعلم. لا أثق بهم". رفعت سبابتها في وجهي: "ولا تفعل هذا أيضاً".

"لن أثق بأحد، لكنني أردت فقط أن أقول لك بأنني أستطيع أن أرافقك في نزهة متى أردت الخروج من هنا. سنتصرف بشأن الكرسي، وسأرافقك طوال الوقت. لن تحتاجي إلى أي شيء". تأملت وجهي من جديد، وقد اختفت حدة ملامحها.

"أأنت جادة؟"

"بالطبع".

تركث شقتها بعد ذلك، واتجهت إلى شقتي من جديد، متناسية سبب دعوتها لي، فحتى الشكر الذي أهدتني إياه لم يكن حقيقياً إلى حد كبير.

حين فتحت باب الشقة قابلتني الكلمات القليلة على المرأة

أقربها. سأعود قريباً.

رأيت القصاصة الصفراء ما أن فتحت باب المنزل. كانت هناك مجموعة أوراق قليلة أمام المرأة عند البهو الصغير، حملت الأوراق معي وقرأت العنوان المكتوب على المسودة (متاهات الفردوس). حملت الأوراق حتى وصلت إلى غرفة المعيشة، ومن دون أن أخلع حذائي حتى، رحت أقلبها ببطء، وأقرأ كل كلمة بامعان.

راح قلبي ينبض بعنف وأنا أتجاوز الصفحات الأولى، كل شيء فيها

بدا مثالياً، رغم أن الأوراق لم تكشف عن تفاصيل القصة الحقيقية، ولا عن طريقة توجهها. كانت شيئاً سوداوياً بكل ما فيه: السرد، شظايا الأحداث غير المفهومة، وأفكار بطلة الحكاية، لغة شعرية قاتمة وجميلة.

ما استطعت أن أفهمه من خلال الفصول العالقة التي تركها لي بران، أن هذه القصة تتحدث عن فتاة تحاول الهرب من ماضٍ يطاردها، وتبدأ بخوض تجربة غريبة بالانضمام إلى طائفة سرية في سكنها الجامعي، إذ تظهر تلك الطائفة وتحاول تحسين حياتها، لكنها تتورط بأشياء أخرى أكثر سوداوية وقاتمة حين تحاول أن تفهم ما يحيط بها.

لم أستوعب الوقت الذي قضيته وأنا منكبة على الأوراق، لقد سرقثني، وتركتني أمام الرغبة بالمزيد. لا أعرف ما تعادله هذه الكمية من الكتابة، لكنني توقعث أن يكون بران قد أخفى عني هذا الجزء الجيد، خلال فترات بقائه في المكتب.

حاولث أن أستوعب جمال الأحداث، وفوراً خفث بأن هذا أجمل ما كتبه على الإطلاق.

حملث المسودة، لأعيدها إلى مكتبه، وعدث إلى غرفتنا حتى أغير ثياب العمل. حين عاد كئث ما أزال مستلقية في حجرتنا أفكر في عرض العمل مع ساوٲ باي. حين سمعث صوت الباب، خرجث لأجد بران وبحوزته أكياس البقالة.

"كان بإمكانني أن أخرج لشرائها".

هتف: "شكراً هي الكلمة المناسبة".

تقدمت نحوه وقلت: "سأقول لك شكراً حين تُتِم ما كتبته، لأنني ما زلت أتطلع إلى معرفة ما سيحدث في تلك القصة". طرح الأكياس ليطوقني بيديه. "لذلك عليك الآن أن تعود إلى مكتبك وتكتب فصلاً آخر، لتطلعني عليه".

"هل قرأت الأوراق؟"

"ما أن وصلت. إنها... رائعة!، بل هي أكثر من ذلك. ستكون أهم عمل تكتبه، أنا واثقة من ذلك. ما زلت أحاول تخمين ما سيحدث".

عرض علي: "إن كنت مهتمة، فيمكنني أن أشرح الحبكة، أو ما ورد في ذهني حتى هذه اللحظة. ما زلت أتوقع أن تظهر تنمة الأحداث بشكل تلقائي، لكنني رسمت بالفعل أحداث الربع الأول من الرواية".

"لا. بل أتوقع منك فصلاً آخر قريباً".

"أعدك، سيحدث هذا قريباً". أفلتني، فحملنا أكياس البقالة معاً. "ماذا حدث بشأن اللقاء اليوم؟ هل قُبلت في تلك الوظيفة؟"

"من جهتهم، إنهم موافقون".

"ماذا عنك؟"

"عرضوا علي أن أراجع الأمر اليوم وأن أتصل بهم ما أن أتوصل إلى القرار النهائي صباح الغد. اصطحبني رئيس التحرير في جولة قصيرة، وأراني مكتبي بالفعل".

قال بران: "تبدو هذه أكثر من موافقة. إنهم يتطلعون إلى بقائك. ما

كانوا ليمنحوك فرصة اتخاذ القرار، ما لم يجدوا بالفعل شيئاً يستحق هذه المماطلة". أيدته، لكنني كنت بالفعل أحتاج إلى أن أتأكد من أن وجود بران وحده لن يغير شيئاً.

"أميل إلى الموافقة".

سألني: "أردت الوظيفة، ما الذي تغير الآن؟"

"لا شيء. سأوافق على الأغلب".

"نأ كهذا يستحق الاحتفال، إن الأمور تتغير بشكل تلقائي، كل شيء يسير حسب ما أردناه". عقدت حاجبي، فهذه مبالغة. "أعتقد أنها البداية على الأقل، ألا تتفقين معي؟"

"إنها البداية"، أضفت: "وهي تستحق الاحتفال".

قررنا في المساء أن نتناول العشاء معاً في مطعم ذا فيو، وهو مكان راقٍ يقع في نهاية الرصيف الخشبي عند الخليج. كان بران يرتدي أحد أفخر الأطقم لديه، بينما ارتديت أنا فستاناً أزرق، ولأن المساء سيكون بارداً، حملت معي معطفاً أسود.

وبينما نحن جالسان إلى جوار البحر مباشرة، أشرت إلى صف المباني المقابلة للشاطئ البعيد. "يقع مقر الصحيفة هناك، إنها مصادفة غريبة، أنا أمر من أمام المكان مرتين اليوم". استدار ليرى صف المصاييح الممتدة على الشاطئ، وكنت واثقة من أنه لن يعرف المكان تحديداً.

بدا المنظر ساحراً، والمدينة تلمع تحت المصاييح القليلة الممتدة على الواجهة البحرية.

"بدأت أحب المكان هنا". أعلن بران.

شعرت بالخيانة لأنني ما زلت أجد صعوبة في البقاء هنا. "هذا مؤشر جيد، ها قد بدأت بالتأقلم والكتابة أيضاً. هل هذا بفعل تأثير جلساتك مع فيلاسكو؟"

"ربما، أو لعلي تخلصت ببساطة من العوائق التي كانت تكتم مخيلتي". جزء مني كان يشعر بالرضا، والجزء الآخر يشعر بالرفض، لأنني وقعت في المعاناة وحدي الآن. ماذا سيحدث إذا تقبل بران البقاء بشكل تام؟ سأكون ملزمة بتقبل حياتي الجديدة بشكل كلي. هذا ما أفعله الآن في كل الأحوال.

"ماذا عنك؟ هل تجد صعوبة في تقبل المكان؟"

قلت: "بعد كل هذا الوقت؟ بدأت أتأقلم بالفعل". كنت أكذب وأنا واثقة من أنه يدرك هذا، ويشعر بالخداع في صوتي، لكنني ما كنت سأقول الحقيقة... ليس الآن، بعد أن تحسن مزاجه واستعاد قدرته أخيراً. "ألم تفكر في إرسال الفصول الثلاثة إلى لامبير؟"

"ليس بعد، يجب أن أكون واثقاً من استمراريتي، لا يجب أن أجازف وأبث الأمل في قلبه. إنه يتطلع إلى وجود صفحة واحدة، وإن أرسلت ثلاثة فصول دفعة واحدة، سيعتقد أنني عدت إلى الكتابة بشكل جدي".

"لكنك عدت فعلياً".

قال: "أريد التأكد من أنني أستطيع إتمام عملي، على الأقل سأكتب

فصلين آخرين".

ظهر النادل بعد ذلك ليأخذ طلباتنا، وبينما كان براندون يُملي عليه ما نرغب في تناوله، لمحث وجهاً مألوفاً في زاوية المطعم، تحت ضوء المصباح الهزيل. كانت كاميللا لوكهارت تجلس مع شاب، وحين رأني أراقبها حدقت في، وأطالت النظر كما لو أنها قبضت علي متلبسة.

فكرت في التلويح لها، لكنني تراجعته.

أشحت ببصري عنها جزعة، هاربة من نظرتها الحادة.

"ماذا بك؟"

همست: "لوكهارت". استدار بران، فنهزته: "لا، إنها..." كانت ما تزال تحقق فينا. ما إن التفت بران حتى ابتسمت المرأة، ولوّحت بيدها لنا. لم يكن هذا تعبيرها منذ البداية، وأدهشني التغيير المفاجئ. شعرت بالراحة، لكنني لم أكف عن التساؤل.

لوح بران، فنهضت المرأة من مكانها وتقدّمت نحونا.

"إنها مصادفة جميلة سيد وسيدة روزوود". تحدثت بطريقة آلية. كان قلبي ينبض بقوة. "من الجيد أن أراك مرة أخرى يا بران". شعرت بالدهشة لأنها كانت تعرفه. "هل بإمكانني أن أدعو نفسي، وصديقي إلى الجلوس معكما على الطاولة".

"في الواقع، لقد طلبنا الطعام بالفعل". صححت ما قلته: "بالطبع يمكنكما ذلك". نقلت بصري بينها وبين بران سريعاً، ولم يُعِنْها عن عزمها ما قلته. التفتت وأشارت إلى الرجل الجالس معها.

"لقد طلبنا طعامنا بالفعل نحن أيضاً، سأطلب من النادل أن يأتي به إلى هنا". أتحنا مكاناً إضافياً لها وللرجل الذي رافقها. حين جلست قالت لنا: "هذا جيسون أوزويل، إنه جارنا أيضاً. عائلته هي الأقدم في ريد ستون أيضاً".

"هذا مثير للاهتمام".

علق أوزويل: "لكنني قضيت شبابي كله بعيداً عن هذه المدينة، لقد انتقلت إلى هنا قبل خمسة أعوام، بعد أن مات والداي وورثت أنا الشقة".

"لا بد من أنك صديق لفيلاسكو أيضاً، التقينا عنده بالصدفة أنا والسيدة لوكهارت قبل يومين". قال بران هذا ليوضح المسألة لي. كنت أشعر بالفضول، ولعله استشعر هذا.

"لا، إن علاقتي به جيدة، لكننا لسنا صديقين بشكل كبير". أشار إلى لوكهارت. "ليس بقدرها هي، إنه كاتم أسرارها الأول". أضاف سؤالاً: "ماذا عنكما؟ منذ متى وأنتما هنا؟" شرح له بران مسألة انتقالنا من دون التطرق إلى الأسباب الفعلية. لم يُبدِ كلاهما أية دهشة تجاه هذه القصة، ولو اعترف بران بمسألة موت بيتر، لجزّهما هذا نحو التعاطف معنا بشكل أكبر، لكنني كنت ممتنة لتكثمه.

"التقينا أنا وزوجتك في المصعد في السابق، لكننا لم نتحدث".

"هذا صحيح". علقْتُ: "كنت حينها بمزاج سيئ على الأغلب".

"أنا؟" ارتفع صوتها وازداد حدة، ثم أطلقت ضحكة عالية. "أسأت فهمي. أعني... لا أنكر بأنني مزاجية معظم الوقت، لكنني أنطوي على

نفسى، وأختبئ في قوقعتي عندما أواجه الغرباء. قوانين ريد ستون
تبقيني خلف حواجز معظم الوقت".

أردت تصديق هذا.

"هل تعلم يا بران أن أوزويل يُخرج أفلام الرعب، لا بد من أنك
سمعت عنه من قبل". ميزنا الاسم فجأة، رغم أنه لم يكن مألوفاً
في البداية. "لا بد أنك سمعت عن بعض أفلامه.. (ليلة لا تنتهي)،
و(المنزل الأسود). قد يبدو هذا الرجل شاباً، لكن رصيده مليء
بالإنجازات".

"شاهد (المنزل الأسود)، بالفعل إنه رائع!". لم نحب هذا الفيلم قط
في الواقع، وهو يتحدث عن عائلة ثرية تستغل نفوذها لاقتراف
المجازر الصغيرة من أجل التسلية، ولتنفيذ نوع من أنواع الطقوس
الغريبة والمضحكة. كان فيلماً طفولياً وسطحياً، من دون حبكة
مدروسة.

"أنتِ تبالغين يا كام".

"لا أبالغ، كان والده أيضاً مخرجاً ناجحاً".

"أبرهام أوزويل؟"

"هو بعينه". هتفت لوكهارت. "كان والده ظاهرة حقيقية خلال
انطلاق عصر السينما الجديد، قام بإخراج فيلم السماء الثانية في
الستينات، وترك ذاك الفيلم بصمة في إنتاج أفلام الرعب". على
عكس أعمال الابن المغمورة، ترك أبرهام سلسلة قصيرة من الأفلام
الغريبة الناجحة، وأشهرها فيلم سماء ثانية، الذي نقل الصورة

الملونة في السينما إلى منطقة أخرى، ولقد كلف إنتاج الفيلم ثروة ضخمة، أكبر من أن يستهلكها فيلم لا يتضمن أي مشاهد خيال علمي أو فانتازيا حتى.

"أعرف هذا الفيلم أيضاً". علّقث. "أعتقد أنني شاهدت معظم الأفلام التي قَدّمها والدك".

"كان ذائع الصيت حينها". بدت لوكهارت ساخرة، وهذا ما جعل تعابير وجه الشاب تتغيّر فجأة، لكنه استعاد طبيعته بسرعة.

وصل طعامنا، وبينما كان النادل يوزّع الأطباق سألتها: "منذ متى تقيمين في ريد ستون يا سيدة لوكهارت؟". لم أكن واثقة من أنها سيدة، لأنها لم تكن تضع خاتماً في إصبعها.

"سبع سنوات، أو أقل بقليل".

علّق بران: "أنتِ تعرفين الجميع هناك إذا".

"هناك من ما يزال يحاول الحفاظ على خصوصيته... طوال السنوات السبع التي قضيتها هناك، لذلك أنا لا أفرض نفسي على كل الجيران". قهقهت بطريقة مزيفة، تذكرت ما قالتها مارثا عنها، إلا أن ما أراه الآن هو عكس ما توقعته. تعمّدت لوكهارت أن تتجاهلني، وهي الآن تجلس معنا كما لو أنها صديقتنا.

شعرت بالغضب، لأنها أفسدت شكل احتفالنا.

"متى تزوجتما؟"

"قبل خمس سنوات".

"ما تزالان شابين". ردّت على بران. "يمكنني أن أرى الطموح في عينيكما، ولمحة الشباب التي ما تزال تلمع. أعتقد بأنكما ستحققان الكثير إن أردتما العمل بشكل فعليّ على ذلك". عبثت بطعامي وأكلت ببطء، محاولة أن أتجاهل الدرس الذي تقدمه لنا.

"نحن نعمل بجهد".

"جيسون، أنت تعرف السيد روزوود حتماً، إنه هو من كتب رواية (المألوف)".

ابتلع بران طعامه بسرعة: "هل تعرفين الرواية؟ أعني هل قرأتها؟" من لم يقرأها بعد؟ إنها تحفة أدبية متواضعة". شعر بران بالخجل، وأخفى ابتسامته البريئة عنها. "أتساءل ما إذا كانت هذه الرواية ستظهر يوماً على الشاشات الكبيرة، ستصنع من خلالها فيلماً كلاسيكياً آخر للعصر القادم".

"أنت تبالغين يا سيدة لوكهارت".

"لا"، التفتت نحو أوزويل، وقالت: "سأمنحك نسختي الخاصة لتقرأها. إنها مفاجأة غير متوقعة".

حزك الشاب الغريب شوكته فوق الطعام، ولم يأكل منه بعد. "أتطلع إلى هذا بالفعل. اسمك لا يبدو غريباً بالنسبة إليّ، لكنني لا أعتقد بأنني قرأت أياً من أعمالك. أكتب الروايات فقط؟"

"هذا صحيح، كتبت خمس روايات". رفع أوزويل حاجبيه ليظهر بعض الاهتمام.

رآن الصمت، فاستقامت لوكهارت في مقعدها، ورسمت ابتسامة مصطنعة، من دون أن تُهديها لأي مئا. قبضت على شوكتها، وراحت تتناول طعامها بحرص بالغ. انهمك الجميع في طعامهم، بمن فيهم أنا. كان وجود المرأة إلى جوارِي يُشعرنِي بالتوتر، وددت لو أنها لم تنضم إلينا.

"أنتما تنعمان بهدوء تام في الطابق الخامس، أليس كذلك؟ أعتقد أنه الطابق الوحيد الذي ما يزال شبه فارغ حتى الآن".
صححت لها: "هناك جارة واحدة قابلناها حتى الآن".
"حقاً؟ من هي؟ إن سمحت لي بالسؤال".

"أعتقد أنها جوليا ماكنيل، لم تُعرّفني باسمها، إنها امرأة مقعدة".
نظر إلي بران باهتمام، فأنا لم أتحدث عنها أمامه مطلقاً. "قابلتها مرة، أو اثنتين".

"أوه، أنا لا أصدق هذا!". التفتت باتجاه أوزويل. "ماكنيل، لقد تركت المبنى".

"هي لم تفعل.. ما تزال هناك في شقتها". تبادلنا النظرات، كما لو أنهما يُكذبان ما قلّته. لم أفهم سبب هذه الدهشة الكبيرة. "هل تعرفانها؟"

"لا نعرفها. اعتقدنا بأنها تركت شقتها". أضاف أوزويل: "لا أحد يراها حتى".

"هذا غريب!". علّقت.

"أتبدو... كما يقولون عنها؟" سألتني كاميلا.

"لا، بالنسبة لي هي طبيعية إلى حد ما. قد تبدو صعبة بعض الشيء، لكنها ليست غريبة أو مجنونة كما قيل عنها". لم أشأ إقحام مارثا في هذا الحديث، لأنها هي من أوحى لي بأن جوليا مجنونة تماماً.

حين انتهينا من تناول الطعام، أصرّ بران على أن يسدّد الفاتورة، إلا أن أوزويل سبقنا في ذلك، وحين عرضنا عليه أن نسدد قيمة طعامنا قال: "سأتوقع أن يكون بيننا لقاء آخر قريباً". رافق الرجل كاميلا لوكهارت التي بدت كوالدته، وانعطفنا نحو الجانب الآخر من الرصيف، حيث تركنا سيارتنا.

ليتل جون



طوّقت رقبتي بوشاح رقيق ملوّن، وحين وصلت إلى مقر ساوث باي، هتفت ميني: "إنه وشاح رائع، تبدين أنيقة". شكرتها، ثم اتجهت نحو مكتبي، الذي كنت أتذكر مكانه بالتحديد. لم أجد مايرز هناك، وهذا ما منحني بعض الراحة، كان وجوده يُعيقني، وآخر ما أردته هو أن أشعر بهذا الشعور، خلال انطلاقتي في عملي الجديد. كان المكان متواضعاً، والمكتب قديماً، والرائحة غريبة، إلا أنني شعرت برضا بالغ فيما نلتُه هنا.

رغم أن باب المكتب كان مفتوحاً، إلا أنني سمعت طرقات خفيفة على الباب، ثم رأيت شابة بشعر قصير وسترة جلدية تقف أمامي. "صباح الخير، أنا كريستين، أوصاني السيد كاربنتر أن أساعدك في يومك الأول هنا". تقدّمت نحوي لتحيني، ثم جلست تلقائياً أمام مكتبي: "أعلم بأن خبرتك واسعة في هذا العمل، لكن عليّ تقديم المهام الأساسية، حتى تعرفي ما الذي يجب أن تقومي به خلال العمل هنا".

"سأكون ممتنة لك".

ابتسمت، ولم تتضاءل الجراءة في نبرة صوتها. "حسناً، المقالات التي تقدمها الصحيفة أكبر من طاقة المحررين، لذلك عادة ما يؤول إلينا مقال أو اثنان لتحريره، إلا أن هذا ليس هو واجبنا الأساسي ما دمنا نبحث عن الأخبار الخارجية، ونكتب بدورنا المقالات".

"فهمتُ ما تعنيه".

"ونظراً لأن الأحداث التي تجري هنا، ليست ذات أهمية بالغة، فنحن عادة لا نجد ما نطارده طوال الموسم. الشتاء قادم وستكون هناك فعاليات عديدة، يمكنك استغلالها للكتابة عنها، فالأحداث الصغيرة والاحتفالات هي أنسب ما نملأ به أعمدة الأخبار هنا".

"لكن هل يشتري أحد الصحف للقراءة عن الاحتفالات؟"

هزت كتفيها: "لا أعلم، لكننا لا نستطيع تأليف القصص لكي نُغري القراء بشراء الصحف، إن أعظم الأحداث هنا قد يكون معرضاً صغيراً للفنانين الناشئين، أو ترويجاً لكتاب في مكتبة متواضعة". قالت ساخرة: "مرحباً بك في ساوث باي". أضافت: "يوجد بعض الحوادث، مثل: الأعطال، الزحام، والحوادث المرورية... هناك أيضاً شجارات العصابات الصغيرة في الجزء الخلفي والأخطر من المدينة. هذه الأحداث أيضاً موسمية، لأننا لا نستطيع أن نخلق مشكلة بين أولئك الأشخاص، ثم ننطلق لنكتب عنها". دنت مني، وهمست: "ثم إن التورط معهم لا يأتي إلا بالمشاكل، لذلك حاولي تجنبهم".

عرفت أيضاً أن هناك بعض المهام الميدانية، إلا أن كريستين لم توضحها بشكل تام.

"سأكون هنا معظم الوقت، مكتبي في نهاية الرواق. لا تتردى في سؤالني عن أي شيء تحتاجين إليه، فأحياناً تعيق الفوضى كل المهام التي يتطلبها العمل هنا".

حين رحلت بقيت وحدي في المكتب، لم تكن لدي أي مهمة حقيقية، لكن كان بإمكانني أن أراجع الأعداد الأخيرة للصحيفة، والتي لم تذهب إلى الأرشيف بعد. أردت أن أعرف مخطط الصفحات

وطريقة التوزيع، وشكل المقالات التي يجب أن أقدمها لاحقاً.

ظهر مايرز في الظهيرة وحاول أن يتجاهل وجودي في البداية، ثم سألني: "لقد وافقت على العمل بالفعل. هل اقتنعت بالمكان أخيراً؟" "هذا ما حدث". أجبت ببرود.

"لصالح أي صحيفة كنت تكتبين المقالات في السابق؟" "اليوم، كانت هذه آخر صحيفة تعاملت معها".

تعجب حين سمع هذا: "أتركت العمل هناك لتعملي هنا؟"

"ليس هذا ما حدث بالضبط. هناك أمور أخرى، قادتني إلى هنا". شعرت بالمرارة، وأنا أحاول أن أخفي الحقيقة، وأتغاضى عن الفوارق. كان لدي مكتب في الطابق العلويين، يُطل على المدينة بأكملها، وحين أتأخر في عملي، كان هذا يمنحني صورة خلابة للمدينة في الليل. كان هناك عدد كبير من الموظفين متأهبين لمساعدتي، وحياة أسهل بكثير، وإن كانت مزيفة في نظر كاربنتر، فهي مألوفة جداً بالنسبة لي.

"أرى هذا". علق، ثم غرق في صمت طويل.

انكب على أوراق كثيرة انتشرت على سطح مكتبه، وراح يراجعها مستخدماً قلماً أسود. راقبته بحذر، وحين التفّت إلي، عدت إلى قراءة الأعداد السابقة. كان مايرز جاداً، ومتحفظاً رغم فضوله، إلا أنه قرّر تجاهلي في النهاية.

بعد مرور وقت قصير، اختفى مايرز من جديد، وبقيت طوال النهار

وحدى في المكتب. قضيت ساعات عملي، أؤدي مهاماً مملة، وهذا ما جعلني أشعر بالإحباط من البداية العادية التي حظيت بها. خرجت مرة أخرى ولحسن الحظ أنني استخدمت السيارة للتنقل، لأنني ما كنت لأتحمل عناء الانتقال عبر المواصلات. تركت سيارتنا في المرآب، ودلفت إلى البهو من الباب الجانبي الصغير.

صعدت إلى شقتنا، وهتفت ما أن فتحت الباب: "لقد وصلت". لم أسمع أي رد، فخطوت نحو مكتب بران مباشرة، ووجدته هناك منكباً على الآلة الذهبية. "لقد عدت". قلت، فأوماً بانفعال. تواريت ببطء، وتوقعت منه أي استجابة.

"كيف كان يومك؟" سألتني أخيراً.

توقفت بينما نصف جسدي كان خلف الباب. "لا بأس به".

"لا تبدين راضية".

"إنه يوم عادي، لا شيء مثير للاهتمام".

هز رأسه من جديد، وهو يقول: "ستحسن الأمور في المستقبل".

"ماذا عنك؟ كيف تجري الأمور معك؟" رفع إبهامه، وعاد إلى الكتابة بسرعة. لم أره منهمكاً إلى هذا الحد، كما لو أنه يخاطر بإفلات الشخصيات خلال هذه اللحظات القليلة التي رد علي فيها.

جزء جيد من يومي كان قد انقضى بالفعل، وهذا هو الشيء الوحيد الذي جعلني أكون ممتنة ليومي الأول في عملي الجديد. لو أنني قضيت الصباح كله هنا، لمر الوقت ببطء أكبر.

لم أطفُ الطعام، وفضلتُ أن آتي بوجبات مُجهّزة من المطاعم القريبة. لم يُعلّق بران على ذلك، وبدأ سعيداً لأننا نتناول طعاماً مختلفاً. لم يسألني بشكل حقيقي عن تفاصيل يومي، إلا أنه كان يتحدث بحماس عن تفاصيل الكتابة، وعن قدرته على معالجة الفتور الذي أصابه. لا أعرف كيف توصل فيلاسكو إلى حل سريع معه، لكنني كنتُ سعيدة بهذا التطور.

"أعتقد بأنني سأنهي العمل خلال أسابيع قليلة".

"بهذه السرعة؟"

"أكتب بغزارة. لن تستغرق الكتابة وقتاً أطول، إلا أن المراجعة والتحرير هما ما يثيران قلقي حتى هذه اللحظة". أضاف بسرعة: "في نهاية الأسبوع، سأرسل نسخة من الكمية التي كتبتها للامبير، وأرى ردّ فعله حيال المكتوب".

"هذا رائع!". خرج الرد من فمي تلقائياً، لكنّ بران لم يلاحظ ذبول الكلمات وهي تخرج من فمي. "يجب أن تُطلعني أيضاً على الفصول الجديدة". أوماً بينما كان يمضغ الطعام.

مرت الساعات التالية بشكل طبيعي، تخلّى بران عن الكتابة في وقت ما من المساء، وتمكنا من الجلوس معاً، والتحدّث عن أشياء حقيقية بعد ذلك.

حين خلدنا إلى النوم، كان كلانا منهكاً بسبب اليوم الطويل، رغم هذا كنتُ أفتح عيني في الظلام من حين إلى آخر، وأتقلّب في مكاني. أتأكد من أن بران ما يزال نائماً بهدوء من دون أن تكون

أنفاسه مسموعة حتى. شيء ما كان يمنعني من النوم بعمق، ولعلّه شعوري بالمسؤولية الجديدة تجاه عملي الجديد، وإن كان هذا العمل مُحبطاً.

خُيل إلي أنني سمعتُ وقع أقدام، كان هذا الإحساس ينبعث من الأرضية، ثم تمتص وصادتي هذا الضربات البعيدة، فتصبح مكتومة أكثر. هناك ضوضاء ضعيفة في مكان ما. شعرت بالقلق، فرفعت رأسي عن الوسادة.

"بران". همست، ثم كررت النداء.

تنهّد، ثم تقلّب في مكانه من دون أن يوقظه ندائي. لم يكن بران ينام بهذا العمق من قبل، لكنني الآن عاجزة عن إيقاظه. وكزت كتفه برفق، فأخفى وجهه بعيداً عني، ولم يستيقظ. نهضت من مكاني، وفتحت باب الحجرة بحذر. خرجت إلى الممر الطويل، وسرت على أطراف أصابعي.

حين تجاوزت الممر، رأيت أرجاء الشقة المفتوحة، وظلّ أحدهم ينسحب نحو غرفة الطعام في الجانب الآخر من الشقة. صرخت، فانسحب الظل بسرعة أكبر. رأيت بران يهرع إلي بوجه ناعس. أشرت إلى غرفة الطعام، لكنه لم يفهم مباشرة ما أعنيه.

"أحدهم هنا". مّد ذراعه ليبقيني خلفه. "لا تذهب، لتتصل بالشرطة".

"صه". أمرني، ثم تقدّم نحو غرفة الطعام. سمعنا وقع خطوات سريعة، ثم ساد الهدوء. كان هو أيضاً واثقاً من أنّ هذه الخطوات

تنبعث من قلب شقتنا. تراجع، وحمل شمعداناً عن الطاولة الخشبية في الممر، وتقدم نحو حجرة الطعام.

وقف يراقب الغرفة الفارغة. "أحدهم كان هنا، أنا واثقة".
"لا أحد هنا". خرج، واتجه إلى الطاولة حتى يعيد الشمعدان إلى مكانه.

"لقد سمعتُ بنفسك صوت خطواته".

"لو كان هنا، لرأيناه يا إيسيا".

"وذاك الصوت؟"

"إن المكان كبير وقديم". أعرف أن هذا لن يكون مقنعاً بالنسبة إليه، ولن يقنعني أنا أيضاً. "حاولي أن تعودي إلى النوم، أنا واثق من أن ما حدث مجرد وهم". كان بالفعل قد عاد، ودس نفسه تحت اللحاف، وقفث في الظلام أمام سريرنا، أحاول إقناعه بحقيقة ما رأيته.

"رأيث ظل أحدهم، وسمعنا وقع خطواته معاً".

كشف وجهه بغضب: "لو كان هناك، لرأيته. أين هو هذا الدخيل؟"
"أنا لا أتوهم".

هبت واقفاً بغضب، وقال: "حسناً، سأفتش كل أرجاء الشقة".
سبقني إلى الخارج، بينما بقيت واقفة وحدي، لا أصدق مدى تهاونه مع هذه المسألة. خرجت بعد ذلك، ورأيته يعبر بين الحجرات، ليتأكد من أن جميعها فارغة. حين عاد، قال بإصرار أكبر: "أنتِ فقط... تتخيلين هذه الأشياء".

"لماذا أنا؟"

"لأنك لا تستطيعين التكيف مع المكان."

"هذا تفسيرك أنت؟"

"دعينا لا نتجادل بشأن هذا. حاولي النوم، حتى يتسنى لك الاستيقاظ باكراً."

ظلّ قلبي ينبض بعنف لوقت طويل. ماذا لو أنني أتوهم بالفعل؟ أخفيث نفسي تحت اللحاف كطفل صغير، ولم تساعدني العتمة المحيطة بي في استعادة هدوئي. أغمضت عيني، وحاولت أن أقنع نفسي عنوة بأن ما حدث لم يكن حقيقياً، إلا أن عيني ما كانتا لتخدعاني.

إن كان هناك دخيل حقاً، فأين هو الآن؟"

تحرك بران وأصبح قريباً مني. "لا تخافي. إنك في مأمن". كان هذا سيساعدني في السابق، إلا أن بران في حد ذاته لم يعد مصدر أمان حقيقي بالنسبة لي. منذ وفاة بيتر، وأنا لا أشعر بأنه هو الشخص الذي يستطيع حمايتي. ما يزال يحاول محاربة مشاعره، بالإضافة إلى رفضه لكل ما حدث قبل عامين، لكنني أعلم بأن جزءاً حياً في داخله قد مات وأحرق معه الإحساس بالمسؤولية تجاهي أنا.

رأيت الظل يقف أمامي مباشرة. اختفت ساقاه في العتمة. كان رجلاً طويلاً، ويقف بثقة، وهو لا يتوقع مني أن أفلت من قبضته هذه المرة. شعرت بالخوف، أردت أن أصرخ، لكنني كنت عاجزة. تحركت بصعوبة، وحاولت أن أنبه بران إلى وجوده، لكن بران لم يكن موجوداً.

فتحت عيني، العرق يغطي رقبتني كلها. اخترقت شمس الصباح النوافذ الكبيرة، التفث نحو الساعة؛ كان ما يزال أمامي عشرون دقيقة قبل أن يرن المنبه. لم أحاول العودة إلى النوم، أغلقت المنبه ونهضت من مكاني. كان بران نائماً، فتحركت بهدوء نحو الحمام.

استحممت وتخلّصت من كسلي، وإحساسي بالخوف العالق بي أيضاً. بدا وجهي شاحباً في المرأة. كان الإنهاك واضحاً، وهذا ليس تأثير ليلة واحدة مخيفة. تغير كل شيء منذ انتقلت إلى هذا المكان. تركت شعري منسدلاً على كتفي بعد أن جفّفته، ثم خرجت.

في مقر ساوث باي، عرضت عليّ كريستين كوب قهوة ورقية. "شكراً لك".

"كنت أتساءل ما إن كان بإمكانك أن ترافقينا في جولة قصيرة. يمكنك أن تري نظام العمل الميداني على الأقل". كنت على أهبة الاستعداد. "سيقام معرض صغير للفنانين في ساوث باي، وأرادوا منا تغطية الاستعدادات. ستكون الانطلاقة الاثنين القادم، وعلينا أن نعلن عن النبأ في عدد الغد كنوع من الدعاية المجانية".

"لا بأس، فقط أعطني العنوان، وسأكون هناك في الوقت المحدد".

"من الأسهل أن ننطلق في مركبة واحدة، لا تقلقي سأتولى القيادة بنفسني". تساءلت ما إذا كان مايرز سيرافقنا، فأنا لست واثقة من أنني سأتحمل جديته المبالغ بها، على الرغم من أن تحفظه يمنحني خصوصية أكبر أحياناً. "سأعود بعد". نظرت إلى ساعتها. "بعد ثلاثين دقيقة".

استعنت بمرآة صغيرة في حقيبتني لأتأكد من مظهري، استخدمت بعض مساحيق التجميل للتخفيف من شحوب وجهي، وبعد ثلاثين دقيقة تحديداً، كانت كريستين أمامي مرة أخرى. خرجنا معاً من المبنى، وقبل أن أسألها عن مايرز قالت: "سنلتقي به هناك".

خرجنا إلى الساحة الخلفية الصغيرة من المبنى، وجلسنا إلى جوارها في سيارتها الخضراء الصغيرة. كانت عبقة برائحة معطر برتقال قوي، كاد أن يتسبب لي بالصداع، لولا أنها فتحت النوافذ حين انطلقنا. "منذ متى تعملين في هذه الصحيفة؟" سألتها بينما كانت تقود السيارة.

"ثمانني سنوات، منذ أن تغيرت الإدارة".

"هل كنتِ تعملين في مكان آخر؟"

قالت: "عملت كسكرتيرة في أحد المكاتب لعام ونصف، ثم انتقلت إلى هنا، وأوليت كل طاقتي لهذا المكان". رمتني بنظرة سريعة وهي تبسم نصف ابتسامة. "أعلم بأنك ستجدين مبالغة في هذا، فالصحيفة ما تزال متواضعة، لكن هذا كل ما استطعت أن أقدمه

وحيدي".

"ماذا عن كاربنتر؟"

"إنه العقل المدبر". أضافت: "هناك أيضاً طاقات أخرى، لكننا ما زلنا نحاول رغم أن المنافسة هنا شرسة. حيزنا صغير والأخبار قليلة، ونحن نتنافس لإحراز أي تقدم قبل الآخرين". علّقت قائلة في النهاية: "لا أعلم إن كانت الأمور هنا تشبه الصحف الكبرى".

"لا. أعني... أن المنافسة موجودة دائماً، إلا أن وفرة الأخبار تتيح للجميع فرصة لمطاردة حكاية مختلفة. الأمر هناك لا يعتمد على من يكتب الخبر أولاً، بقدر ما كان النصر هو في ابتكار حكاية مناسبة. كان العمل يتطلب مني استقصاء واسعاً".

"لا بد من أنك فضولية إذا؟" سألتني، وأطلقت ضحكة قصيرة.

أيدتها: "جداً، أعترف بأنني فضولية جداً".

"هذا يناسب كاربنتر أعتقد". أضافت بسرعة: "يناسب عملك بصورة عامة". انعطفت فجأة، ومنحنا الطريق لمحة جديدة عن المدينة، التي لم نستكشفها بشكل كافٍ خلال فترة إقامتنا في ريد ستون. كانت السيارات مركونة إلى جانب الطريق، مما جعل الشارع أكثر ضيقاً. أبطأت كريستين حركة المركبة، ثم راحت تبحث عن مساحة فارغة لتركن سيارتها.

حين توقفنا كان المكان ضيقاً محاطاً من جهة الشرق بصف من المباني القصيرة. ترجلنا، فدست المفتاح في جيبها بحركة سريعة، وكان في حوزتها آلة تسجيل صوت صغيرة. بالنسبة إلي، اكتفيث

بدفتر ملاحظاتي الاحتياطي، والذي عادة ما أتركه في حقيبة يدي، لكنني لا أتذكر آخر مرة استعملته فيها لغرضه الفعلي.

قادتني هي إلى المكان المقصود، كان معرضاً بواجهة زجاجية وأعمدة من الطوب الأحمر، تعطيه طابعاً عصرياً، لا يتماشى بشكل دقيق مع الرسومات التي كانت على الجدار الأبيض في البهو الصغير. كان هناك عدد من المنسقين، وأشخاص يتحركون باستمرار، من دون أن يلفت وصولنا انتباههم.

"سيكون السيد فريدريك هنا بعد قليل، سأحاوره أنا، ويمكنك تدوين الملاحظات إن كنتِ ترغبين، لكن في كل الأحوال، شخص واحد سيكتب المقالة".

"حسناً". فُتح الباب من ورائي مرة أخرى، وظهر مايرز.

"كريس". هتف، وتقدّم نحونا، صافحها بحرارة. "لم يكن تأخيري مقصوداً".

"نحن بالكاد وصلنا".

التفت نحوي، وردّد: "سيدة روزود".

همسّت: "مرحباً". ولم أنتظر منه إجابة.

خطونا في الممرات البيضاء الواسعة، كانت هناك تحف قليلة منتشرة في زوايا القاعات المتفرقة، وبعضها زينت برسوم لفنانين آخرين، لم توضع أسماؤهم بعد. تحركت امرأة بدت مألوفة بالنسبة لي، لعلّي رأيثها في ريد ستون من قبل، لكننا لم نتحدث من قبل. كانت شابة رشيقة، ذات خصلات سوداء قصيرة تغطي الجزء العلوي

من رأسها فقط، وتركت رقبتها الطويلة مكشوفة.

لا يزينها حلي، لا شيء سوى ياقة معطفها الثقيل. رمّني بنظرة خاطفة، ولعلها حاولت تمييزي خلال هذه النظرة، لكنها أشاحت بصرها بعيداً عني.

"أتعرفينها؟" سألتني كريستين.

"من؟" أجبت بسؤال.

"كاثرين رودريغيز.. إنها أحد المنقّبين عن القطع الأثرية واللوحات القديمة. اسمها يرتبط بالفن، وإن كانت لا تتاجر به كثيراً، لكنها جامعة للفنون".

"جامعة فنون؟"

"إنه تعبير مجازي. تلك المرأة معروفة بهوسها وتعلّقها ببعض الأشياء الغريبة". رميئها بنظرة سريعة، كانت كاثرين قد استدارت، تحرّكت بجرأة نحو السلم الملتوي في قلب المكان. "لست واثقة من المقدار الذي بلغته ثروتها، لكنها لا تُفوّت أي عمل مُلفت".

"حسناً، إنها غامضة بعض الشيء". اعترفت. "أعتقد بأنني رأيثها في ريد ستون من قبل".

"ريد ستون". ردّد بن الاسم بتعجب.

"نعم، أنا أعيش هناك، أعتقد بأنني رأيثها هناك... لست واثقة".

"هل انتقلتما إلى ريد ستون مباشرة؟" سألتني كريستين.

أثار سؤالها شكّي. "نعم، في الواقع... كانت هذه رغبة زوجي،

والمكان يبدو هادئاً إلى حد ما، حتى إنه يصعب التحدث مع بعض الموجودين هناك. إنهم غريبو أطوار". قلت هذا على سبيل الدعابة، لكنني فشلت.

"عادة لا نحتك بالأشخاص الذين يعيشون هناك". علقت كريستين.

صحح بن العبارة: "إنهم هم الذين لا يحتكّون بالآخرين. كما لو أنهم يعيشون في عالم مختلف عن عالمنا". راقبته بدهشة، فأنا لم أفهم سبب الحنق المشحون في صوته.

"هذا يجعلني أشك في أن رودريغيز لا تعيش هناك".

"ما الذي يمنع ذلك؟ أنا أعيش هناك، لكنني أعمل هنا، وأتحدث بشكل طبيعي. أنا لا أشبه ما تتصورانه حتى. لماذا يبدو ريد ستون بمعابة أسطورة بالنسبة للجميع؟"

دارت عينا كريستين، ثم قالت بتهكم: "لأنه أسطورة بالفعل". لم أفهم ما إذا كان هذا اعتداداً أم سخرية. كانت تتحدث عن المكان كما لو أنه شيء يصعب بلوغه. لم أفهم سبب تعلّق الناس بريد ستون، أو حتى تعجبهم منه، فالحياة هناك، ليس مثالية إلى الحد المتوقع.

"ثقا بي، إن الحياة هناك مملة".

سألني بن: "ما الذي يدفعك إلى البقاء هناك إذا؟" بدا أنه هو الآخر يسخر مني.

"لا أعرف، في البداية بدا لنا الانتقال إلى هناك كفرصة ذهبية. هدوء، خصوصية، مبنى راقٍ.. كل الأشياء التي بحثنا عنها كانت موجودة هناك. أردنا أن نترك حياتنا القديمة، وأن نحاول البحث

عن تجربة جديدة في مكان ما، وحين سمعنا عن ريد ستون، شعرنا أن الانتقال يستحق هذه المجازفة". فرغت القاعة من الجميع ما عدانا نحن الثلاثة. وقفنا تحت بقعة ضوء المصباح إلى جوار السلم الحلزوني.

"هل يؤيدك زوجك؟"

"هذا الأمر معقد أيضاً. إنه يجد فيه راحته بالفعل. هو كاتب، وهذه الخلوة تساعد على استعادة نشاطه السابق، أما أنا... فقد أدركت بأنني أواجه صمتاً مستمراً، وهذا يقودني إلى الجنون". تذكرت الطيف الذي لمحته في الليلة الماضية، وكل الأحداث الغريبة. "اعذراني، لقد بالغت في...".

قاطع حديثنا صوت امرأة ذات لكمة ركيكة. "ستندم على هذا، يُق تماماً بأن ما سيحدث ليس إلا اختيارك أنت". سمعنا وقع خطوات تقترب من قمة السلم. "سأستعيد ما هو لي، ولن يمنعني أي أحد، تذكر هذا جيداً". هبطت المرأة برشاقة، وحين رأتنا نقف في الأسفل لم يظهر عليها الندم أو الخجل من البوح بهذه التهديدات، في وجود شهود آخرين.

"مجنونة". صاح فريدريك.

همست محدثة نفسها: "هذا أقل ما تقوله عني أيها الأحق". عبرت بنفس الرشاقة إلى جوارنا وتجاهلتنا، كما لو أننا لم نكن موجودين في القاعة.

"لا أفهم ما يحدث هنا". علقت كريستين.

استأنفنا الاستكشاف، ولكي أكون أكثر وضوحاً، كنت أنا وحدي من لا يعرف هذا المكان. حين وصلنا إلى السيد فريدريك، كان الرجل يقف في حجرة مكشوفة من الجانب الخلفي، وتتيح لنا فرصة رؤية الشاطئ وبعض أجزاء الطريق الأمامي.

تناثرت قطع الأثاث الصغيرة فيها، وثُركت مساحة كبيرة فارغة. "أتينا لنحاورك بشأن المستجدات المتعلقة بالمعرض القادم". بدا أن كريستين هي الشخص الوحيد المألوف بالنسبة إليه. "بالطبع... بالطبع". ردّد.

كدت أستعين بدفتر ملاحظاتي، لكن زميلتي لم تُشغل جهاز التسجيل حتى، وراحت تسأله بشكل عشوائي عن المعرض وأنواع المشاركات وتوجيهات الحفل المُقام وحتى الأهداف منه. سألتها العديد من الأسئلة الاعتيادية، وكان يُجيب عنها بشكل آلي.

"سأصحبكما في جولة حول المكان". عرض علينا فريدريك ذلك. هبطنا معاً، إلى الطابق الأرضي وتبعناه، بينما كان يُطلّعنا على القاعات المفتوحة في الطابق السفلي. كانت هناك قاعة وحيدة فارغة، والتي كانت للتجمعات فقط. "قُمنا بتوزيع أنماط الفنون في اللوحات، فكل نوع من الرسومات سيكون في قاعة مختلفة".

دلفنا إلى الحجرة البيضاء الأقرب، ورأينا عدداً من البورتريهات المعلقة بالفعل على الجدران. صور لأشخاص من عصر آخر، وربما ليسوا حقيقيين.

"سيكون هناك المزيد، إننا نحاول ترتيب كل شيء خلال الساعات

القادمة". أضاف: "ربما اطلعتما على التحف الصغيرة، فقد قام بعض الفنانين الشباب بالرسم عليها". أردف بحماس: "إنها رائعة".

"رأينا بعضها بالفعل". أجابت كريستين.

التزم مايرز الصمت طوال الوقت، كما لو أنه مرغم على البقاء هنا. كان يراقب الصور المنتشرة في الممرات، وفي القاعات البعيدة.

استمرت جولتنا وقتاً أطول من المتوقع، ثم قادنا أخيراً إلى قاعة تحتوي على أقل عدد من اللوحات. كانت الصورة الأكبر هي ما أثار انتباهي. إنها مزيج من الأحمر والأسود، وبعض الخدوش البرتقالية التي أوحى لي باحتراق عالم تلك الصورة. كانت هناك سيدة بلا ملامح ترتدي عباءة طويلة، والعالم حولها يلتهم بعضه ويتلاشى في دوامات صغيرة ضيقة. أسفل رداؤها طارت اليعاسيب المشتعلة بينما كانت المرأة ترفع كلتا يديها نحو القمة. كان هناك تاج أسود معالمة مبهمة غطته الظلال، وتركت منه أسناناً مدببة في القمة.

"من رسم هذه اللوحة؟"

تعجب فريدريك من سؤالي: "إنها لوحة عتيقة، لكنني لم أعرضها من قبل".

"هل رسمتها جوليا ماكنيل؟"

اتسعت عيناه: "هل تعرفينها؟"

قلت: "إنها جارتني".

"هنا؟ أتعيش جوليا هنا؟" أكدث له ذلك. "هذا مستحيل، لقد

اعتقدت بأنها رحلت". كان هذا ما يظنه الجميع. "اختفت جوليا بشكل تام، ولم نعد نسمع عنها شيئاً، أو نعرف ما آلم بها حتى. باعث لي هذه اللوحة... في الواقع، هذا هو كل ما تبقى لي من أعمالها القليلة".

"ماذا حدث؟" سألت كريستين.

قال: "هذه حكاية تتعلق بي، أفضل التغاضي عنها في الوقت الحالي". أومأت المرأة بتفهم، ثم عاد تركيزنا إلى اللوحة، ولعل حديثي عنها هو ما أشعل اهتمام الجميع. كانت هناك لوحات أخرى مرسومة بطلاء أسود، مع مزيج من اللون الأحمر، لكنها لا تشبه عملي جوليا إطلاقاً، وكان عليها اسم فنان آخر. كالفن.

بدت رسوماته عشوائية مزعجة وعصرية أكثر. دوائر سوداء، ودوامات صغيرة من اللون الأسود والأحمر فوق الرقع البيضاء الضخمة. كانت عبارة عن أشياء بسيطة يمكن تكرارها، لأنها لا تحمل الكثير من التفاصيل. كانت رائحة الطلاء في الحجرة قوية جداً، وهي تنبعث من لوحات ويلينغ التي بدت حديثة، وطلاؤها ما يزال يلمع، على عكس الأحمر الباهت في لوحة جوليا.

تقدّمت خطوة أخرى، ورحت أراقب الدوامات السوداء وأتأملها بشكل جيد.

شعرث بالانزعاج، امتلأت رئتي برائحة الطلاء القوية، ثم بدأت الأوهام تجتاح ذهني من جديد. رأيت ذاك الدخيل مرة أخرى يقف عند حافة سريرتي. تخليث عن تلك الصورة، فرأيت الدوامات السوداء تدور وتضيّق أمامي بقوة، حتى كادت تعتصر كل عالمي.

أجفلك وعدت إلى الورا بضع خطوات. "أنا آسفة!". حاولت تماك نفسي، وركضت نحو الباب.

سقطت على الأرض الحجرية عن السلم، وحاولت تماك نفسي أكثر. تراجع خلف صف السيارات الممتدة عند مدخل المعرض. كان شيء ما ينمو في أعماقي، ولا أستطيع إحكام السيطرة عليه. طوّقت معدتي بكلتا يدي، كنت أتألم.

"إليسا، هل أنت بخير؟" كان هذا صوت مايرن، لكنه بعيد.

أخذ العالم حولي يتلاشى. "أنا... لا..." رميت ثقلي على ركبتني، وكلتا يدي معاً، حدقت بالأرض الحجرية الباردة. شيء ما كان يتحرك في أعماقي، ويشتعل هذا الألم بشكل مضاعف، سمعت أصواتاً عديدة تهمس في ذهني.

تسرّبت الصوت إلى رأسي: "أصغي إلى ندائي... اسمعيني".

"ماذا؟" سألت مايرن. رفعت رأسي، فرأيت العديد من الظلال تحيط بي. كريستين، بن، والسيد فريدريك. حاولوا حملي على النهوض، لكنني أفلت نفسي، تقيأت على الأرض، فتراجعوا جميعاً. "حقيبتني". أدركت بأنها سقطت مني في مكان ما.

منحني إياها بن. بحث عن مناديل ورقية، ومسحت فمي بسرعة. ما عدت أجد على النظر في وجه أي منهم. "لا بأس". تقدمت كريستين وربّت علي. "سأرافك إلى دورة المياه". غدنا إلى الداخل، وشعرت بشيء ما يطوقني. كنت أختنق وأكره البقاء هنا، لا أعرف لماذا تحديداً. قادتني كريستين إلى الحمام.

استعدت توازني هناك، وغسلت وجهي بينما كانت هي تراقبني.
"لا أعرف ماذا حدث؟". حاولت إيجاد تفسير. "لعلها رائحة الطلاء؟"
"رائحة؟ أية رائحة؟".

"تلك اللوحات، ألم تشمي رائحة طلائها الأسود؟" هزت رأسها نفيًا
بشيء من التشكيك. "كانت خانقة وقوية". ملأت يدي بالماء، ولطمت
وجهي مرة أخرى. "أنا آسفة مرة أخرى".

"لا عليك. أنا قلقة حيالك فقط".

أكدت لها: "سأكون بخير".

"دعينا نخرج من هنا". هذا كل ما أردته في الواقع. عندما فتحنا
الباب كان بن يقف أمام مدخل دورة المياه، وحقيبتني ما تزال معه.
كررت اعتذاري له هو أيضاً. "هل هي بخير؟" سألت كريستين، بدلاً
من أن يسألني أنا.

قلت بجدية أكبر: "أنا بخير الآن".

"سنعود إلى المكتب". أعلنت كريستين أخيراً.

خرجنا جميعاً، وسار كل منا في اتجاه مختلف. أنا وهي وصلنا إلى
السيارة، بينما ظل بن يقطع الطريق حتى نهايته، ومن ثم اختفى
تماماً. اختبأ في السيارة، وجلس صامتة في مقعدي محاولة
تجاوز إحساسي بالخجل. ربما يكون ما حدث طبيعياً، لكنني شعرت
بأنني غريبة لوهلة.

سمحوا لي بأن أترك المكتب باكراً، وواجهت صعوبة طفيفة في القيادة وصولاً إلى المنزل. لم أكن منهكة، إلا أن شيئاً من القلق والتعب لازماني طوال الوقت. حين عدت وجدت بران يقضي وقته أمام التلفاز. وما إن رأيته حتى أدرك بأن خطباً ما قد أصابني.

لم أمتلك شرحاً للأحداث، فقلت: "لا أعرف ما حدث. شعرت بالتعب فجأة".

"دعينا نذهب إلى الطبيب إذاً". رفضت ذلك. "سأطلب من أحدهم أن يأتي إلى هنا إن كنت لا تريدين الخروج". جلسنا إلى جواره، وخلعت حذائي بانفعال. "لا تبدين بخير". أرخيت رأسي على طرف الأريكة. "أنت شاحبة".

"سأكون بحال أفضل بعد قليل".

أويث إلى فراشي، وكانت الشمس ما تزال مشرقة خلف النوافذ، وهي وحدها مصدر الضوء في غرفتنا. أدركت أن بران وحده قام بترتيب المكان بعد خروجي. رأيته يظهر عند باب الحجرة المفتوح. "أنت تثيرين قلقي يا إيسيا". تجاهلته. "يمكنك على الأقل تغيير ثيابك".

"سأفعل هذا". هتفت، لكنني لم أتحرك.

تركنا إحساسي الخمول يجزني، وأغمضت عيني تدريجياً. عدت إلى الليلة التي عرث فيها على جسد بيتر هامداً. ابتلعت ريقاً بصعوبة، وأنا لا أعرف ما إذا كان بران ما يزال يراقبني عند المدخل،

أم لا. استسلمت إلى ذكرياتي، ولم أفتح عيني. لماذا يجب أن يبقى هذا الجرح مفتوحاً حتى الآن؟

لماذا لا أستطيع تجاوز هذا الكم الهائل من المعاناة؟

أتذكر صوت بكاء الطفل بوضوح. أتذكر رائحته. أتذكر أول مرة حملته فيها بين يدي. لماذا لا أنساه فقط، وتزول كل آلامي بعد ذلك؟ تغير عالمي، ووجدت أمامي فراغاً تاماً، وأبراجاً غريبة لا تتخذ شكلاً محدداً تطوّق حدود المكان الذي رأيته. كانت الأرض مغطاة بنقوش حلزونية، وبدوائر محفورة على الساحات الحجرية المحيطة بي. كنت أحلم، لا شك في هذا. لم أستيقظ رغم إدراكي لما يحدث.

تردّدت صرخات غريبة حولي، وأصوات أشخاص يتألمون. هناك أيضاً أصوات صاخبة غريبة، ليست بشرية حتماً. تساءلت عن ماهية هذا المكان، والأشكال الغريبة التي تحيط بي. قمم حجرية مدببة، وأبراج ضخمة بعيدة، ودوامات انتشرت فوق البقع التي أمامي.

فتحت عيني فجأة، فواجهني ظلام الحجرة.

لا أعرف كم استغرق في نومي. كان رأسي على الوسادة، وجسدي مغطى بلحفنا. كنت ما أزال أرتمي ثياب العمل، وهذا ما تسبّب بإحساسي الغريب حين أفقث. كان جسدي حاراً، والعرق يُغطي معظم أجزاء جسمي.

نهضت من مكاني وقبل أن أبحث عن بران رأيت القصاصة الصفراء على مرآة غرفة نومنا. أنا بصحبة فيلاسكو، سأعود إلى المبنى قريباً. رسالته كانت تدلّ على أنه ليس في شقة المعالج، إنما

خرج الاثنان معاً، ولم يوضّح إلى أين ذهبا.

شعرث بالخوف من فكرة بقائي هنا وحدي.

أعددت لنفسي كوب قهوة سوداء، ومعها تبذد إحساسي بالدوار، وتلاشى الغميان الذي أطاح بي طوال النهار. تدريجياً أصبحت يقظة بشكل تام، ولم أجد ما أستثمر به المساء. كانت الساعة بالكاد تجاوزت السابعة، لذلك قررت أن أرضي فضولي، وأخرج من شقتي متجهة إلى شقة جوليا ماكنيل.

حين طرقث على الباب أول مرة، لم أسمع أي صوت خلف الباب. جربت أن أطرق مرة ثانية وأخيرة، ثم سمعت صوت العجلات تتحرك من بعيد. فتحت لي جوليا الباب وبدت متفاجئة من وجودي أمامها. تلاشى لطفها السابق، لكنني دفعت نفسي للبقاء معها قائلة: "أتيث لأراك من جديد، أعتقد بأنني اليوم صادفت شيئاً يخصك".

"شيء يخصني أنا؟"

"نعم". تراجعث جوليا، أرادت أن تسمح لي بالدخول.

"لماذا لا نخرج من هنا؟ أعني سأصحبك في نزهة قصيرة". ترددث، ثم وافقت، وطلبث مني أن أنتظر حتى تجلب رداءً يقيها من البرد في الخارج. عادت بعد دقيقة تحمل معها وشاحاً صوفياً سميكاً، ساعدثها في لفه حول جسدها، ثم دفعت كرسيها إلى خارج الشقة.

انتظرنا المصعد، وكانت متوجسة، ولم تتوقف عن مراقبة المكان حولها.

"أكره الأضواء في هذه الممرات. إنها كثيفة".

أيدتها قائلة: "لطالما كرهتها أيضاً".

"لكنك تحبين الإقامة هنا، أليس كذلك؟" رحت أفكر، ثم حركت رأسي نافية ذلك. وصل المصعد ودخلناه، من دون أن نتحدث عن مدى رضاي عن الإقامة هنا مرة أخرى. حين وصلنا إلى البهو، سألتني بعد هذا الصمت القصير: "لماذا تبقيين هنا إذا؟"

"لأن هذا هو بيتي".

"لكنك لست مرغمة".

قلت لها: "تبدين في مزاج جيد اليوم".

"أنا كذلك. هذه ليست إجابة سؤالي".

أجبت: "لا أملك إجابة واضحة، حتى حين أطرح السؤال على نفسي. لا أجد سبباً يمنعني من البقاء هنا، ولا يوجد سبب يبقيني هنا أيضاً. أنا ضائعة". خرجت الكلمة الأخيرة حقيقية، وهي ما دفع جوليا إلى أن ترفع رأسها وتتأمل وجهي.

هبطت أضواء الليل علينا. حين تجاوزنا مدخل المبنى لم أجد ألكساندر في مقصورته، ولم يقطع أحد طريقنا حتى تجاوزنا المدخل الكبير. سرنا فوق الرصيف، والهواء يلفح بحدة وجنتي، ويحرك خصلات شعري برفق.

"هناك سبب واضح يجبرني على الإقامة هنا. إن تلك الشقة هي مكاني الوحيد الذي أعرفه، ولا أعرف مكاناً سواه، لكن أنت... يمكنك

ببساطة الرحيل".

"لماذا قد ترغبين في مكان آخر؟"

قالت: "لأنّ هذا المبنى ملعون".

"لماذا تقولين هذا؟"

"لأن هذا هو إحساسي تجاهه".

"هذا مبالغٌ به يا جوليا".

نفت: "لا، ليس كذلك. أنا أكره كل أيامي التي أهدرتها هنا، لكنني مجبرة على البقاء، كما لو أنّ لديّ إثماً واضحاً يُبقيني في هذا الجحيم". ساد الصمت لوهلة، ثم عبرت مركبة وحيدة إلى جوارنا، وظلّت جوليا تُراقب كل التفاصيل الخارجية بانتباه. "كما لو أنّ دهرًا قد مضى، لم أرَ أيّ شيء من العالم الحقيقي".

"لا شيء يمنعك من الخروج".

"بلى".

"ما الذي يمنعك؟"

"إنهم هنا. في كل مكان".

"ومن هم؟"

"لماذا قد تعرفين، وتخوضين هذه الكوابيس معي؟ لديك مخاوفك حتماً".

"لن أمانع إن عرفت المزيد". علّقت ساخرة.

قالت بجدية: "لا، هذه الشرور تخص الأشخاص السيئين فقط، وأنتِ لستِ كذلك". أردتُ أن أسألها: كيف لها أن تعرف هذا؟ ربتت على يدي، بينما كنتُ أدفع كرسيها.

"لكنكِ لستِ سيئة".

تنهدت. "كيف لكِ أن تكوني أكيدة، أنتِ لا تعرفين من أكون حتى".
"أتعتمدِين إخافتي؟"

قالت: "بل أحاول إبقاءكِ بعيدة عن كل الأشياء المخيفة. لديك حياة لتعيشيها، وتفاهاتي لن تساوي كل الأشياء الطبيعية التي يمكن للمرء أن ينالها". أشارت بيدها حتى ننعطف عن الممر الأساسي.
"هناك حديقة قريبة، خُذيني إليها".

"إن كنتِ لا تخرجين، فَمَنْ يقضي مصالحكِ؟ مَنْ يجلب لكِ الطعام؟"

"ألكساندر أحياناً، أو أشخاص يمكنني الاستعانة بهم.. أشخاص طيبون".

سألتها: "هل يعيشون معنا في ريد ستون؟"

"أنتِ فضولية". أخرجتني تعليقها.

أشارت إلى أسوار الحديقة. كانت هناك أعمدة إنارة حديدية قصيرة موزعة على السور الحجري القصير، وبعض التماثيل المنحوتة برداءة كانت تُزَيِّن المدخل الضيق للمكان. انتشرت الأشجار الضخمة، وغطت كل أضواء المدينة الصغيرة، ونور الإعلانات

المحيط بالساحة. دفعئها إلى هنا واختفينا في الظل، رغم أن المباني المحيطة بنا كانت تتوهج بسبب المصابيح المنتشرة عليها.

"لا أحد يرانا هنا". قالت جوليا ذلك، وبدأت أكرر ارتياحاً.

"مَنْ تخافين؟"

"كل شيء يخيفني". سحبت كرسيها إلى جوار المقعد الخشبي، وجلست بالقرب منها. "كل الأشياء تُظهر وجهها السيئ من دون إنذار مسبق. لا تعرفين متى تحديداً تتداعى الحقائق حولك، ويصبح كل شيء في الجانب الآخر".

"هذه نظرة شمولية، ولا ينفع أن تكون قاعدة".

قالت: "حتى الأشخاص الذين وضعوا قواعد الحياة بنوا قواعدهم على فلسفات الآخرين، وعلى أفكار كانت عميقة بما يكفي لكي تتحوّر، وتصبح قوانين فيما بعد. لا يوجد أي شيء ثابت، حتى هذه القواعد التي نعيش وفقها". قالت بسخرية أكبر: "إن كان مَنْ وضعها شخصاً لا يختلف عنا نحن. ما الذي يمنعنا من صناعة لوائحنا الخاصة أيضاً؟"

"تبدين حائقة أيضاً".

"أنا كذلك". زفرث الإجابة بئغض.

"على مَنْ؟"

"يصعب تحديد هذا". التفتت نحوي، إلا أن العتمة مَوَّهت ملامحها. "ما الشيء الذي يتعلّق بي؟" عقدت حاجبتي، ولم أفهم ما عنثه. "حين

طرقت بابي".

"آه.. تذكرث، رأيت لوحة في أحد المعارض.. إنها لك".

"لوحة؟ لي أنا؟"

"يدير المعرض رجل يدعى السيد فريدريك". ظلت تحقق بي.
"كانت اللوحة المعروضة هي الوحيدة لك هناك. قال بأنه امتلك
المزيد من اللوحات في السابق، لكنه فقدوها، ولم يوضح ذلك". ظلت
تحقق بي. "لم تكن تختلف كثيراً عن تلك الموجودة في شقتك حين
زرتك آخر مرة".

"الملكة في الرداء القرمزي".

هتفت: "كانت كذلك بالفعل".

"ظننت أنها ضاعت إلى الأبد. لم أعرف بأنه ما يزال يمتلكها". لم
أعرف ما إذا كانت راضية عن وجودها هناك أم لا. كان الغضب جلياً
على وجهها، لكن صمتها الطويل يوحي بالرضا والتسليم. "استهلكث
تلك اللوحة من روعي أكثر مما كنت أتصور".

أشاحت بوجهها، وحدثت في الفراغ. راحت أضواء المدينة الواهنة
تلمع في مقلتيها.

"إنها بديعة في كل الأحوال".

هزت رأسها نفياً، فتمايلت خصلات شعرها. "لا. ليست كذلك على
الإطلاق".

"أين نوع من التواضع هذا؟"

"ليس تواضعاً، أنا أقول الحقيقة. قد تعتقدين أنني مجنونة، ولا بأس إن عُثِرَ إلى وحدتي تلك من جديد، لكنني على الأقل أحاول الاعتراف بالأشياء من دون أن أزيّف حقيقتها كما يفعل الآخرون. تلك الرسومات ليست إلّا لعنة أدمنت عليها، ولا يمكنني تجاوزها أو التخلي عنها، رغم كل ما يحدث".

"أنا لا أحاول أن أطلق أحكامي عليك".

"أعرف هذا، أنت فقط أردتِ إجابة واضحة، وهذا كل ما أستطيع قوله". لم أكن أبحث عن إجابة حتى، لكنني لم أعترض. "فقط يجب أن أنصحك، بأن تبقي بعيدة عنها".

"أتعرفين كاثرين فيرنانديز؟"

غرقث في التفكير للحظة، ثم قالت: "نعم، أعرفها".

"هل تتعاملين معها؟"

"حين يتطلب الأمر، ثم إنها تعطيني أكثر مما كان يعطيني ذاك الأحمق". أردفت هامسة: "لكنها امرأة شرسة... شريرة أحياناً".

"كانت تتشاجر مع فريدريك، حين رأيثها في المعرض".

"إنهما في خصام مستمر، ولعل لوحتي أحد الأسباب... لن أستغرب إن كان هذا هو السبب أساساً. لطالما حاولت كاثرين أن تحصل عليها، ولامتني لأنني تخليث عنها لذلك الرجل".

"هل تعيش معنا في ريد ستون؟"

"لا. إنهم يكرهونها هناك".

"جميعهم؟ هل يعرفونها كلهم؟"

هزّت كتفيها. "لست واثقة، لكنني واثقة من أن مَنْ يعرفها سيكرهها".

"هل تكرهينها أنتِ؟"

"ما هذا الكم من الأسئلة؟"

قلت بسرعة: "اعذريني، أنا فضولية أحياناً". كنت فضولية على الدوام.

قضينا ساعة كاملة نتحدث خلالها عن أشياء لا أهمية لها. منحثني جوليا إجابات مبتورة وأقاويل مخيفة، زادت من قلقي حيال الواقع وريد ستون، وحيال كل شيء مألوف. بدت المرأة أكثر جنوناً ممّا كنت أتصوّر، إلّا أنّ عباراتها وكلماتها علّقت في ذهني، ومنحتني متعة من نوع آخر، متعة مليئة بالخوف والألغاز، والأشياء الناقصة التي أردت أن أعرفها بشكل أكبر، لكنها لم تعترف لي بها. بدت سعيدة رغم ارتيابها من ظلال المارة وخوفها من أي وجه غريب مرّ بجوارنا. حين اشتدّ البرد، طلبت مني أن أعيدها إلى منزلها، وفعلت ذلك على الفور.

حين وصلنا إلى باب شقتها، قالت لي: "شكراً لك. كان هذا شيء أردته منذ وقت طويل".

عرضت عليها: "سنكرر التجربة متى أردت".

ابتسمت، فتلاشى تعبير الجنون الملازم لوجهها على الدوام. بدت جميلة للمرة الأولى، وليست غريبة كما تبدو كلما نظرت إليها. قطع

طريقي مبتعدة عنها، لكنها ظلت هناك تراقبني حتى وصلت إلى باب
شقتي، التفث فلوحث لي بيدها.

"ليلة سعيدة يا جوليا". قلت.

أجابت: "ليلة سعيدة".

"قلقث بشأنك". علق بران ما أن رأي. بدا هادئاً أكثر من المعتاد وسعيداً كما لو أنه يعيش حالة انتشاء. "أين كنت طوال هذا الوقت؟ تركتك وأنت متعبة، وحين غدت لم أجده هنا".

"خَرَجْتُ بِرَفَقَةٍ جُولِيَا". كَشَّرَ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ وَاضِحاً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. "جُولِيَا مَآكِنِيلٌ، فِي الشُّقَّةِ الْمُقَابِلَةِ لَنَا".

"مَا مَعْنَى أَنْ تَخْرُجِي مَعَهَا؟ أَنْتِ حَتَّى لَا تَعْرِفِينَهَا".

سَأَلَتْهُ: "أَلَا يَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى فِيلَاسْكُو؟ أَنْتِ لَا تَعْرِفُهُ أَيْضاً". لَمْ أَكُنْ أَحَاوِلُ أَنْ أَقَارِنَ الْأُمُورَ، لَكِنْ هَذَا مَا فَسَّرَهُ بَرَانْدُونُ حِينَ شَبِهَتْ جُولِيَا بِفِيلَاسْكُو. "أَعْرِفُ أَنَّهُ مُعَالِجُكَ وَهُوَ جَارُنَا، وَجُولِيَا كَذَلِكَ جَارَتِي، وَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ صَدِيقَتِي بِشَكْلِ فَعَلِي إِلَّا أَنَا وَجَدْنَا فُرْصَةً لِقَضَاءِ الْوَقْتِ مَعاً".

"جُولِيَا الَّتِي لَا يَرَاهَا أَحَدٌ... الَّتِي يَتَهَمُهَا الْآخَرُونَ بِالْجُنُونِ".

قُلْتُ بِانْدِفَاعٍ: "لَأَتَّهَمُ لَا يَعْرِفُونَهَا.. لَمْ يُقَابِلُوهَا أَوْ يَتَحَدَّثُوا إِلَيْهَا، كَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَتَّى مَدَى صِحَّةِ عَقْلِهَا مِنْ دُونِ أَنْ يُقَابِلُوهَا؟".

"لَا يُقَابِلُونَهَا لِأَنَّهَا مُجَنُونَةٌ بِبَسَاطَةٍ".

"أَصِغْ إِلَيَّ يَا بَرَانْدُونُ، أَنَا أَفْعَلُ مَا يَحُلُو لِي هُنَا، وَلَا يُمْكِنُكَ إِجْبَارِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ". رَأَى الصَّمْتَ بَعْدَ أَنْ قُلْتُ هَذَا، فَهُوَ لَمْ يَسْتَوْعِبْ تَحْوِيلِي الْمَفَاجِئِ. كَانَ صَوْتِي مُلِئاً بِالْغَضَبِ، وَلَا يَشْبَهُ مَا هُوَ مُعْتَادُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِي. "الْعَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ، هِيَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ مُجَنُونَةٌ، لِأَنَّهَا

لا تخرج من منزلها. كيف لهم أن يحكموا عليها، طالما هم يرددون أنهم لم يروها حتى؟"

"اهدئي".

"لا أريد أن أهدأ".

قال: "أنا لا أفهم لِمَ كل هذا الغضب!، أنا قلق بشأنك". رميث حقيبة يدي، ومفتاح الشقة على طاولة القهوة في غرفة المعيشة، ثم انسحبت لأرتدي منامتي. "لا تتجاهليني بهذه البساطة". طوق كتفي بيديه، ثم قال: "حسناً، أنا آسف".

"أنا بخير". أزعج يده برفق عن كتفي.

تنقضي الأوقات هنا بصعوبة، ولم يفارقني الإحساس بالقلق رغم كل هذا، ما زلت أظهار بأني أعتاد على هذا المكان. هذه الأسابيع القليلة تستنزفني، ولا أعرف كيف يمكنني البقاء هنا مدة أطول. جلست أمام مرآة الزينة أراقب انعكاس وجهي، وصورة بران إلى جوارتي.

"التقينا بأحد أصدقاء فيلاسكو، وأعتقد أنه أحد رجال ساوث باي الحقيقيين، يعرف الجميع، ويتحدث عن كل الموجددين، وأعطاني بطاقة دعوة لحضور حفل سيقيم قريباً". فُتّش في جيب سترته وأعطاني البطاقة. قرأت اسم فريدريك عليها. شعرت بالرعب لأن الصدفة تقودني إلى المخاطرة ذاتها.

"كنت هناك اليوم" علّقت، ثم قلت: "إنهم يحضرون لافتتاح معرض فنون، أو شيء من هذا القبيل".

قال مؤيداً: "هذا ما أخبرني به الرجل، كانت الدعوة موجّهة له، لكنّه قرر أن يمنحني إيّاها، لأنّه لن يستطيع الحضور، كما رفضها فيلاسكو أيضاً". أردف: "ألا تعتقدين بأنها فرصة لنقابل الآخرين؟ أعني، أن نكوّن علاقات حقيقية مع الجوار". ربما كان محقّقاً، وأيدّته بطريقة آليّة، إلّا أنني في أعماقي ما كنت لأكثر بأهمية هذا الشيء، ولا أتوقّع الانخراط في هذا المجتمع.

ترك البطاقة على الطاولة وخلع سترته، ثم فكّ أزرار قميصه، وهو يخطو نحو الحمام. قبل أن يغلق الباب سمعت رنين الهاتف. أغلق الباب، ولا أظنّه سمع صوت الرنين حتّى. نهضت من مكاني متجهة إلى الممر الخارجي، حيث كانت طاولة الهاتف.

حين أجبت، لم أسمع سوى الصمت.

خفت، وسألت بغضب: "من هذا؟"

سمعت صوت أنفاس قريبة على الجانب الآخر، ثم صوت تدفق الماء في الحمام. أعدت تركيزي إلى المكالمة، لكنّ الصمت كان مستمراً.

"من أنت؟" سألت بيأس.

"هل عاد ليتل جون؟"

"من هو هذا؟ أنا لا أعرف من تقصد."

"إنه... إنه هنا."

قلت معترضة: "لا، ليس كذلك".

"إنه هنا... ابحتي عنه". كان صوت الشاب يصل بشكل مُتقطع وبصعوبة، لأنه كان يهمس في السماعة. سمعت ضوضاء قريبة منه، ثم تلاشت الأصوات. حاولت أن أخفّن سِنّه، لكن الأمر كان أصعب. قلت بإصرار: "هذا منزلي، لا أحد هنا".

"إنه عالق هناك. اعثري عليه". اقتربت الضوضاء منه، ثم سمعت صوت ارتطام السماعة، وانتهت المكالمة بشكل مفاجئ. وقفت في مكاني، ثم ناديت بإصرار على بران.

هرع إليّ مذعوراً، تغطيه المناشف. كنت ما أزال واقفة وسماعة الهاتف في يدي. "حدث هذا مرة أخرى". رفعت السماعة في وجهه. "ماذا تعنين؟" شرحت له أمر المكالمة الأولى، وما تكرر الآن. "أنا لم أسمع حتى رنين الهاتف".

"هل هذا هو اعتراضك.. أنك لم تسمع صوت الهاتف؟"

تلعنم وهو يقول: "أنا أصدقك، لكن... ربما هو سوء فهم". تساقطت قطرات الماء من شعره وجسده، ولوّثت الأرض. "ماذا لو كان الأمر يتعلق بالمستأجر السابق فقط؟"

"هناك أعذار لكل شيء". أعدت السماعة إلى مكانها.

"ماذا تتوقعين مني أن أفعل؟ إن كان هذا الشخص مجهولاً، فهو كذلك. لا أستطيع تغيير أي شيء، ونحن لا نعرف فيما توزط الساكن السابق".

سألته: "لماذا يظهر ماضيه الآن؟، ألم يترك السكن منذ سنوات؟"

ما من طريقة لكي يعرف أي منا الإجابة. لم يشعر بران بنفس القلق، فالأمور دائماً ما تحمل تفسيراً بالنسبة إليه.

*

ذهب إلى مقر ساوث باي نيون، وأنا في كامل نشاطي في الصباح التالي. رافقت كريستين إلى المطبعة، لأرى الشكل الأخير للمقالة التي عملت عليها بالأمس. قرأتها بينما كنا محاطتين بضوء آلات الطباعة. كان لديها أسلوب مباشر وقوي في طرح أفكارها، وإن كانت هذه المقالة ترويجية إلى حد ما. أجادث طرح نبأ الافتتاح من دون إظهار أي تحيز إلى صاحب المعرض.

"هل تعرفين السيد فريدريك بشكل شخصي؟"

"لا". أضافت: "لكنه داعم للصحيفة، وأعتقد بأن علاقته بكاربنتر جيدة إلى حد ما. قد تعتقدين بأنه يستفيد من صلاحيات رئيس التحرير، إلا أن هذه الفكرة ليست صحيحة". رفعت حاجبها وهي تقول ذلك، لثعبت لي صحة ما كانت تقوله.

"لماذا إذاً نكتب عنه؟"

"لأنه الحدث الأهم وسط هذا الركود". رفعت سبابتها: "ولأننا نحن بحاجة إلى فريدريك. إن شبكة ذاك الرجل في المدينة جيدة إلى حد ما، وهي ستعود بمنفعة للصحيفة". لم يكن هذا ما يحدث مع الصحف الكبرى، لأن السياسيين والفنانين ودور النشر هم من كانوا يطاردون أقلامنا، لنكتب عنهم كلمة واحدة. كنت ألوم بران في سري لأنه رمى بي في هذه البؤرة المنسية.

"هذا غريب!". همست.

"أنت ذكية، وتدرकिन بأن الأمر منطقي، وليس غريباً". أضافت: "في كل الأحوال، أنا أؤدي عملي من دون أي محاولة لتلميع صورة الرجل. أحاول أن أبدي بعض النزاهة على الأقل". سحبت الصحيفة مني، وطوئها. "والآن لنعد إلى العمل".

"هل تسمحين لي بسؤال؟" أصدرت همهمة مكتومة بينما كنا نصعد السلم. "هل لديك أولاد؟"

"أنا لست متزوجة". رمثني بنظرة ساخرة.

"أنا آسفة، لكن الخاتم...".

"مات زوجي قبل خمس سنوات في حادث سير". كررت اعتذاري، لكنها تحدت عن الأمر كما لو أنه أقل من عادي. "وأبقيت هذا الخاتم في يدي، لأنه يحميني من الغراب". رمثني بغمزة سريعة. أردت أن أعبر عن أسفي، لكنها تجاوزت الحديث عنه بسرعة. "أعيش وحدي هنا، كان بإمكانني العودة إلى مسقط رأسي، لكنني قررت البقاء هنا".

رغم انعدام الفرص، وكونها ليست مرتبطة بأي شيء، إلا أنها فضلت أن تكون هنا. تساءلت فجأة ما إذا كان بران يُقيدني هنا، أو أنه السبب الفعلي؟، لكنني أردت تجاهل الفكرة سريعاً. كلانا أراد الانتقال. حاولنا أن نمنح حياتنا معاً فرصة أخرى، وكنت أنا سعيدة بهذا القرار.

"بمناسبة المقال الذي كتبته عن معرض فريدريك، عرض أحدهم بالأمس بطاقة دعوة على زوجي، وهو يرى أنها فرصة للتعرف على

بعض الأشخاص هنا في ساوث باي".

"بطاقة دعوة، يبدو أن لديه أصدقاء بالفعل".

نفیث ذلك. "نحن بالكاد انتقلنا إلى هنا".

"مجتمع فريدريك محدود، وأعتقد أنه انتقائي في مسألة الدعوات". شعرت بالإهانة، فقالت: "لم أقصد ما فهمته. أنتما جديان هنا، ولا أظنه يعرفكما حتى يمنحكما هذه الفرصة".

"هل الأمر سري إلى هذا الحد؟"

"لا، بل هو يتعلّق بمعارفه، وبأشخاص يكون هو على يقين من أنهم سينفعونه في وقت ما. أنا لا أقصد إثارة قلقك تجاه الدعوة، لكن فريدريك اجتماعي في نطاقه الخاص، ولا يحاول تجاوز حدوده التي يصنعها لنفسه، وهو لا يدعو أحداً إلى هناك إلا وهو على ثقة من أنه سيجني من ورائه المال، أو سيقيم حفلاً ذا منفعة عامة على كل الموجودين هناك. معظم الموجودين أشخاص ذوو مناصب، أو أشخاص يمكنهم خدمته بطريقة ما".

سألها بسخرية: "هل أنت واثقة من أننا نتحدّث عن معرض فني؟"

قالت: "ماذا تعتقدين أن يكون الهدف الأساسي من هذه الاحتفالات؟" كنت أفهم ما تعنيه بالطبع، وسبق لي أن رأيت أموراً مماثلة بصورة أكبر، لكنني لم أتصوّر أن هذا يتكرّر هنا في مكان تكاد تنعدم فيه صور الحياة النابضة والحقيقية.

قضيت الساعات التالية من دون أن أقوم بأي شيء حقيقي، قابلت بن في مكتبنا، حينها علّق: "تبدین في حال أفضل اليوم" لم ينظر إلي

مباشرة، وجلس على الفور خلف مكتبه يدون بعض الملاحظات.

"أنا كذلك. شكراً لك."

"علامَ تشكريني؟"

"لأنك اكرثت لأمرى". قلت بإحراج.

أزاح جسده، أرخى ظهره على كرسيه الجلدي: "كيف تبدو الحياة داخل ذاك المبنى الغريب؟ هل هي تستحق كل هذا الغموض؟"

أدهشتني سرعة انتقاله إلى موضوع آخر. "لا تسألني أنا، من الصعب أن أحكم على ذلك".

"حين تحدثت عن المكان، كان الامتعاظ واضحاً في صوتك".

حاولت تصحيح الأمر. "ليس امتعاضاً بقدر ما هو شعور بالوحشة، المكان جديد، ولم أشعر بالألفة فيه بعد.. ربما تتغير الأمور لاحقاً. أما عن الغموض الذي يلف المكان، فهذا هو الجزء المتعلق بالخصوصية التي يوقرها لنا المبنى".

أوماً بهدوء كما لو أنه يستهزئ من هذه الفكرة في أعماقه.

"أخبروني بأن هناك سلسلة من الأحداث الغريبة ارتبطت بالمبنى". حاولت استدراجه لكي يفصح عما يخفيه. "لكنني لم أفهم ما الذي كان يعنيه هذا. يبدو لي الأمر كأسطورة ما، حتى سكان المبنى يتداولونها من حين إلى آخر".

"أنت لا تعرفين أي شيء عن المبنى إذا".

أوماًث نافية ذلك. كل ما أخبروني به، هو أن أحدهم كان يقطن في

شقتنا، وقد اختفى هذا الرجل في ظروف غامضة، ولا أحد يعرف ما هو مصيره حتى الآن."

"من هو؟" سألني باهتمام.

"جون لازاروس. هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟"

"نعم". أجاب بانفعال. "أعني... لا!. أعرف أنه كان شخصية تحاول نيل الشهرة، لكنني لم أعرفه بشكل حقيقي، ولم أسمع عنه الكثير."

"على الرغم من كونه مغموراً، لكن هناك العديد ممن يعرفونه."

شرح لي الأمر من دون أن يخفي جديته. "قدم لازاروس بعض العروض السحرية في ساوث باي، وكان قد بدأ يحظى باهتمام السكان، لكن الأمر لم يستمر طويلاً، لأنه اختفى بعد ذلك، ولم نعرف ما إذا كان قد انتقل، أم أنه اختطف أو حتى..."

"أو ماذا؟"

"هارب... أو مقتول. لا أعرف!". كان يتعمد أن يخفي وجهه عني وهو يجيب، إلا أن حنقه كان واضحاً في كلماته.

"كل هذه الاحتمالات مرتبطة بشخص واحد."

"ليس شخصاً واحداً". علّق.

"لا أفهم". قلث.

رفع رأسه فجأة وسألني: "ألم يترك وراءه أي شيء يثبت مصيره؟، أعني.. ألم تجدي أي شيء من متعلقاته في شقتك؟" حين نفيث هذا بدا عليه الإحباط. "هذا يبدو منطقياً، لماذا سيترك وراءه أي شيء؟"

كنث ما أزال أحمل بعض التساؤلات، لكن الصمت حلّ علينا فجأة،
وما عدت أملك الجرأة الكافية لإعادة بن إلى التحدث عن هذا الأمر.
كان جاذباً وساكناً، وقد تعقد الانهماك في أوراقه متجاهلاً وجودي.

لم أعد أشعر بأنني جزء من تيار الوقت، وهذا الشعور يتضاعف حين أعود إلى ريد ستون وأكتشف أن بران قد مضى في كتابة روايته، وقطع شوطاً أكبر من المتوقع. حين عدت كان منكباً على آله الذهبية، ولم يرفع رأسه نحوي أو يدرك حتى أنني قد وصلت. "لعد عدت". هتفت.

جزّ بصره نحوي جرأً. "آه، عزيزتي. لقد كتبك المزيد". نهض من مكانه. "سأطلعك على كل ما كتبته اليوم، وإن وجدته مناسباً، فسأرسله على الفور إلى لامبير". أشار إلى كومة الأوراق على سطح مكتبه الخشبي. "أنا أعمل الآن على الفصل السابع".

"سبعة فصول". ردّدت بدهشة. "هذا تقدّم مذهل!". ما من شيء يمنعه من الاستمرار في هذه الحالة، ويمكن أن يقدّم للامبير طعاماً كبيراً هذه المرة. "سيتوق لامبير إلى قراءة هذه الفصول حتماً". "عليك قراءتها أولاً".

وافقت على ذلك، قبل أن أنسحب لأغير ثياب العمل. كانت الشمس الذهبية ما تزال تخرق كل النوافذ المكشوفة، في تلك الأثناء كنت أفكر في حديثي مع بن عن جون لازاروس، تذكرت صندوق العفريت الذي عثرت عليه في الخزانة.

ماذا لو كان هذا الصندوق هو آخر شيء تركه لازاروس؟ ماذا لو أن هناك المزيد؟ رحّث أفتش الشقة من جديد، رغم أننا بعد كل هذا الوقت، لم نترك أي مكان فارغ فيها. بحثت في كل الأرجاء من

جديد، لعلّي أجد أشياء غفلت عن رؤيتها.

لم أجد في الحجرات شيئاً، ولم أعر على صندوق العفريت.

عدت إلى مكتب بران، وسألته: "أين هو صندوق المهرج؟"

"أي مهرج؟" سألتني، ويداه لا تُغطيان المفاتيح الذهبية.

"صندوق العفريت الذي عمرنا عليه هنا؟ لقد تركناه قبل أن تُقاطعنا مارثا في ذاك النهار". هزّ كتفيه دلالة على جهله، فقلت: "لا يمكن أن يكون قد اختفى بهذه البساطة".

"هذا ليس وقت البحث عن ذاك الصندوق الغبي". تراجعته بغضب، وأصبح هدفي هو إيجاد الصندوق الذي تركته، ولم أتساءل عن مصيره حين قاطعنا مارثا خلال زيارتها الأولى لنا. فُتشت كل مكان وكل الخزانات، لكنه لم يكن موجوداً.

انتبهت أخيراً إلى وجود باب العلوية.

استخدمت العصا لجزّ مقبض الباب، ثم هبطت السلم القصير من الأعلى. رأيت ذرات الغبار تهبط من الفوهة المظلمة، وتتمايل أمام شعاع الشمس الذهبي. تسلفت السلم مندفعة نحو رائحة الغبار التي ملأت أنفي، دفعت رأسي نحو الحيز الضيق في الأعلى.

ثمة حجرة ضيقة فارغة، وهناك نافذة وحيدة حجرية في الزاوية. كان النور يتسرب منها، لكنه لا يكفي لكي يُضيء المكان كله. دفعت جسدي إلى الأعلى، ويدي يغطيهما الغبار. جلست على حافة الباب السفلي، ثم تحركت في النطاق الصغير.

لا يوجد أي شيء هنا، كانت الجدران عتيقة بطلاء رمادي،
والحائط الأكبر أمامي كان عارياً لا تشوبه أية تفاصيل، ولا حتى
طلاء. بل مجرد حاجز خشبي من ألواح عتيقة باهتة ومتآكلة. تتجه
مساحة الغرفة نحو سقف غرفة المعيشة، ولا يمكن أن تكون بهذا
الضيق.

تقدمت نحو الحاجز الخشبي وضربتُه بمفاصل أصابعي. تردّد
صوت الضربة بوضوح. ضغطتُ على الخشب الرقيق، وشعرْتُ بأنه
لم يكن متماسكاً. حاولتُ أن أدفعه بقوة أكبر، لكنّه عاندني بعض
الشيء. كزّرتُ الطّزق، وسمعتُ صوت الصدى واضحاً.

دفعْتُ الألواح الخشبية الكبيرة التي انتصفت الجدران، لأنها الأقل
تماسكاً. زدْتُ من قوة الضغط، حتى سمعتُ صوت حركة الخشب،
ثم تشكّلت الصدوع فجأة. تراجعْتُ وضربتُ بقوة، فتساقط اللوح،
وظهر من ورائه الظلام التام.

حطمتُ اللوحين المحيطين بالفراغ الذي أحدثته، فأثار ضوء
النافذة الصغيرة جزءاً ضئيلاً جداً من الجزء المخفي وراء الجدران،
رأيتُ أحدهم يقف أمامي مباشرة بدون وجه أو ملامح حقيقية. كان
يوجّه النور الساقط من الشباك الدائري.

شعرْتُ بقلبي ينبض، ولم يكن خوفي من المفاجأة، لأنني لم أشعر
بالدهشة حين رأيتُ الرداء المُعلّق أمامي ولا القبعة. كنتُ أشعر
بالغربة لأنني وجدتُ طقمَ العياب هذا هنا. ثياب سوداء غريبة،
وقبعة أغرب، كما ظهر رداء من الساتان.

ثمّة طاولة صغيرة، وعليها قفازات من الجلد الأسود، وبعض

الأوسمة الصغيرة، وعصا سحرية خشبية قصيرة، وعلب كرتونية مزينة برسومات طفولية لكنها مرعبة. كل هذه الأشياء كانت تستخدم للتنكر، أو للزينة. بدت كرداء للعروض.



جون لازاروس. هذا هو أول ما فكّرث فيه.

لم يمنحني الظلام صورة واضحة للمكان. كانت هناك أجزاء عديدة

مُخبّأة وراء العتمة، لكنني أيقنث أن الجزء المخفي من العلية، كان يعادل الجزء المكشوف، ما لم يكن أكبر قليلاً حتى. فكرث في أن أنادي بران ليرى هذا، لكنني ألغيث هذه الفكرة.

هذا الفضول يعنيني وحدي.

إنه اكتشافي، وما كنت لأسمح لأفكار بران المنطقية أن تقاطع خوفي، أو تحاول برهنة الأمور بالطريقة التي يراها هو مناسبة. كان الهدوء يعم المكان، ولا صوت يُعَبث لي أن بران قريب، أردثه أن يبقى في مكتبه من دون أن يرى باب العلية مفتوحاً.

عدث إلى التنقيب في الجزء الذي اكتشفته. كان هناك كومة صغيرة من الصناديق الورقية، وصندوق صغير من خشب الزان، ودمية مهرج تجلس على كرسي خشبي له أربع سيقان من دون ظهر، لكن ظهر الدمية سقط على الجدار، وظل ثابتاً عليه.

حملته فتحزكت أوصاله بخشونة، وكان له مقبض من الظهر، يمكن من خلاله تحريك الفم، فتتظاهر الدمية بأنها تتحدث. مهرج بغياب حمراء، يشبه الصورة الطفولية التي عثرث عليها أسفل باب شقتنا. بحث عن أي شيء يدلني على اسمه، ولم أجد ما يؤكّد ذلك.

تركث الدمية، وفثثت الصناديق الورقية. كان هناك صندوقان مليئان بالأحذية الخفيفة والقفازات وبعض الأردية السوداء، والملابس المرصعة بالأحجار الرخيصة. الصندوق الثالث كان للأقنعة وأدوات ألعاب الخفة. بالنسبة إلى الصندوق الرابع، فقد كان مليئاً بأدوات أخرى أعلى مستوى من أن تكون لعروض خفة اليد. كان هناك بطاقات تاروت منتورة في الصندوق، ولوح لويجا. وجدث

جهازاً صغيراً بأسلاك سوداء. كان مكبر صوتٍ قطعي مكافئ، ذا جودة رخيصة، وهو جهاز يستخدم عادة لسماع الأصوات الخارقة للطبيعة.

في الصندوق الأخير، وجدت بلورة زجاجية وبعض الشموع، وأيضاً جهازاً معدنياً كالبوصله، إلا أنه كان حساساً دقيقاً للحركة، لكنّه مُعطل على الأغلب، لأن المؤشر لم يتحرك. كان هناك أيضاً عدد قليل من أشرطة الفيديو التي لم تكن مُسجلة بعناوين، أو بتواريخ حتى. كان هناك أيضاً كتبٌ تعليم للحيل، وبعض الكتب التي تتعلق بالميتافيزيقيا.

بدا لي من الطبيعي أن يربط شخص كجون لازاروس بين الميتافيزيقيا، وخفة اليد، لكنني ما زلت أحاول فهم توجهه الشخصي. هل هو ساحر، أم لاعب خفة يد؟

سحبث العلبة الخشبية، وحاولت أن أفتحها إلا أنها كانت عالقة. احتضنتها، وجربت أن أجز الغطاء بكل قوة. لم يكن هناك قفل أو طريقة أخرى لفتحها. حاولت بإصرار، ثم انجز الغطاء بشكل مفاجئ، وتناثرت المحتويات على الأرض.

سقطت أمامي بعض القصاصات التي حملت رسومات سوداء بدون تفاصيل واضحة، دوائر وخطوطاً متشابكة، دوامات وأصابع مجمعة تتصاعد خلف تلك الزوايع. كانت تضاريس تشبه شيئاً رأيته من قبل، تشبه مكاناً رأيته في منامي.

بدت الطريقة أيضاً مألوفة. حاولت أن أتذكر اسم ذاك الشاب الذي قرأت اسمه في المعرض. كالفن ويلينغ.

رأيت قطعة معدنية فضية اللون على الأرض، كانت حلقة دائرية غريبة، نُقشت عليها بعض الأحرف الغريبة وبعض الرموز، وفي قلبها ما يشبه الخريطة. كانت كالأسطرلاب، لكنها بدت أيضاً كأحجية لم أفهم طريقة حلها. وجدت إلى جوارها دفترًا صغيراً بغلاف جلدي.

حللت الرباط الرقيق الذي أغلق دفّتي الدفتر، ورحت أقلب الصفحات. كانت هناك العديد من الرسومات التي تفتقر إلى الدقة والخبرة. خطوط متداخلة، وصور بقلم أسود، لا تشكل أي شيء ذا معنى. هناك أيضاً أجزاء من يوميات، لكن معظمها من دون تواريخ.

إنها تعود إلى الفترة التي عاش فيها جون لازاروس هنا.

توقفت أمام إحدى الصفحات العشوائية، ورأيت التفاصيل المرسومة على هامش الصفحة. كان هناك حلقات ونقوش رونية، تشبه إلى حد ما الحروف المنقوشة على الأسطرلاب الفضي. رأيت بعض الرسوم الهندسية، ورسومات لما يشبه المتاهة.

هذه هي الأبعاد الحقيقية.

لم أفهم ما الذي يعنيه هذا، لكنني رأيت صوراً أخرى للمدخل، ورسمًا مبسطاً لريد ستون، ومحاولات أخرى سيئة لرسم المبنى في النصف السفلي من الصفحة الصفراء العتيقة. كان هناك رسم رديء لأبعاد المبنى، وصور أخرى لا معنى لها. حلقات وزوايا صغيرة.

قلبْتُ الصفحات، ورأيت صوراً أخرى لظل يمتد على جانب الصفحة، كان هيكلًا مخروطي الشكل، وله وجه تنعدم معظم ملامحه. كانت الصورة مبهمة، ذوّنَ إلى جوارها: (إنها هنا... إنها

هنا... إنها هنا... (رحت أراجع الأوراق، إلا أن التفاصيل المنتشرة في
الدفتري كانت أكثر من أن أستوعبها.

الأنثوية فيه، حتى مع وجود الابتسامة المخيفة والعينين الفارغتين. شعرت بأنه يُحدّق إلي، ويبتسم في وجهي أنا.

ارتعبت وقلبت الصفحة، فظهرت صورة أخرى لظلي أنثوي، بدون أي تفاصيل كثيرة، وفي قمّته تاج. بدت لي الصورة مألوفة نوعاً ما، فهي تشبه الهيكل الكامل للملكة في الرداء القرمزي، لوحة جوليا ماكنيل. تساءلت ما إذا كان هناك أي رابط حقيقي بين الاثنين.

أعدت كل شيء عثرت عليه إلى الصندوق الخشبي، بما في ذلك الأسطرلاب، والأوراق البيضاء التي رسمها ويلينغ. أغلقت العلبة وأبقيتها في الصندوق الورقي، بجانب أشرطة الفيديو. شعرت بإصرار أكبر تجاه قراري بآلا أطلع بران على ما وجدته هنا، حتى أكتشف بنفسي أي شيء مثير للاهتمام.

حين خرجت من الركن المخفي وراء الجدار، لاحظت أن بريق الشمس قد خبا. هبطت عبر السلم إلى الشقة من جديد، وأغلقت باب السقيفة، نفضت الغبار عن ثيابي ويدي.

"سأعود بسرعة". هتفت، ثم سحبت مفتاح الشقة، واتجهت نحو الباب قبل أن أسمع أي إجابة من بران. كنت ما أزال أسمع صوت المفاتيح تتحرك بسرعة، وتوقعته أن يكون منهما حتى آخره في الكتابة، ولن يلاحظ غيابي القصير.

اتجهت إلى الباب المقابل لي، وطرقت عدة طرقات سريعة وقوية. "جوليا، هذه أنا". أضفت بسرعة. "إليسيا". دنوت نحو الباب، ثم حاولت أن أسمع أي حركة في الداخل. لم أكن مستعدة لتجاهلها،

ففضولي يكاد يقتلني. طرقت الباب بإصرار أكبر، ففتحته فجأة،
وتراجعت أنا جزعة من حركتها السريعة.

"إليسيا؟" أمعنت النظر في وجهي. "هل أنت بخير؟"

"أنا بخير، كنت فقط بحاجة إلى التحدث إليك. وجدت شيئاً ما،
وأشعر بالفضول حياله. اعتقدت بأنك قد تمتلكين بعض الإجابات
على تساؤلاتي."

"لماذا اعتقدت هذا؟" ظلت مكانها من دون أن تدعوني إلى
الدخول، أو تظهر أي ترحيب.

سألتها بدون أي مقدمات: "هل تعرفين كالفن ويلينغ؟"

بدا عليها الاستهجان. "هل تعرفينه؟"

"لا، لكنني أخبرتك بأن صورته كانت موجودة في المعرض مع
صورتك الوحيدة هناك. أعتقد بأنني وجدت بعض الرسومات
المتعلقة به، أو التي أشك بأنه هو من رسمها."

"رسومات؟ أطلت من الخلف حتى نهاية الممر. "في شقتك؟"
أومأت مؤكدة، فسألته: "ما الذي سيقودها إلى هناك؟"

"أعتقد بأنها تخص جون لازاروس."

هزت رأسها مطولاً. "أفهم هذا. لقد كانا... صديقين بالفعل. لكنني لا
أفهم ما قد يدفع ويلينغ إلى أن يرسم بعض الصور لجون، أو لماذا،
قد تكون تلك الأشياء ما تزال موجودة هناك."

"هل كنت تعرفين الرجلين؟"

دفعت كرسيها إلى قلب الشقة. "أغلق الباب". تبعثها، وأغلق الباب خلفي. جلسنا في حجرة المعيشة، والتي ما تزال شبه فارغة. كانت رائحة الطلاء أقوى هذه المرة، ولكنها لم تزعجني كما حدث معي في معرض فريدريك. جلست أمامها، وبدأت مرتابة بعض الشيء.

"عرفت ويلينغ فقط، كان زميلي".

"ما الذي قاده إلى لازاروس؟"

حركت كتفيها. "كلاهما كان يعيش هنا".

"ويلينغ هنا؟" أومأت مؤكدة. "أين؟"

أشارت إلى الأرض. "الطابق الثالث، شقة 306، هذا ما أتذكره، ولا أعرف ما إذا كان الرجل ما يزال مقيماً هناك، أم لا. عرفت أن أحواله لم تكن جيدة، ولم يكن هو سويّاً بطبيعة الحال، وهذا هو ما حطم صداقتنا البسيطة". قالت بلا اكتراث: "لم يكن صديقي بشكل حقيقي، حتى إنه مُعدم".

"لكنه حتماً يعرف شيئاً ما عن لازاروس".

تشبّثت بعجلات كرسيها، وراحت تتحرك جيئةً وذهاباً. كانت حركة صغيرة كقيلة بأن تُشَّت تركيزي. "لِمَ تكثرئين بأمر لازاروس؟ كان هنا، ورحل الآن. ما الذي يعير ارتيابك إلى هذا الحد تجاه غيابه؟" أدركت لوهلة أنني لا أملك دافعاً حقيقياً للبحث عن الأمر. "يقتل الفضول أصحابه".

"أنت أيضاً تعرفين بعض الأشياء، لكنك ترفضين الإفصاح عنها".

قالت بإصرار: "لأنها أشياء تتعلق بي وحدي".

"رأيث رسومات في صفحات لازاروس، تشبه لوحاتك. رأيث صورة المرأة في الرداء القرمزي في صفحاته هو الآخر". قلت بتحدٍ: "أليست هذه المصادفة غريبة بعض الشيء؟"

"أكرّر، بأن هذه الأشياء تتعلق بي أنا، لا شأن لك بها".

سألها بجرأة: "لماذا إذاً تحاولين إخفاء صلتك بجون لازاروس؟"

"لأنني لا أعرفه". أطلقت ضحكة صغيرة، محاولة من خلالها أن أخفي غضبي. "أنا أقول الحقيقة من دون أن تطالبيني بأي مسوغ. لا يوجد أي اعتراف أنا مطالبة بتقديمه لك".

"ما الذي يعنيه وجود تلك الصورة؟".

رفعت سبابتها أمام شفتيها، أخرسثني تلك الصورة، بينما كانت هي تراقب الحجرة الفارغة حولها، كما لو أن هناك شخصاً ما يتبعنا. دفعت كرسيها، وأشارت لي بيدها حتى أتبعها. دلفنا إلى المطبخ، فدفعت جوليا مفتاح الصنبور بيدها.

جلست على الكرسي الخشبي أمامها، فدنث مني وهمست. "لا تتحدثي عن هذا هنا".

عقدت حاجبي. "ماذا؟"

"صه، إنهم يسمعونك". كدث أضحك، فجنونها قد فاق الحد. "إنهم لا يرونك، لكنهم يسمعون كل شيء". همست بصوت أقل وضوحاً، بينما الماء يتدفق في حوض الغسيل. "تذكّري فقط أنهم موجودون

في كل مكان حولك".

"من هم؟"

"اليعاسيب". دارت عيناها في محجريهما. "وسياتون إليك، حين يدركون بأنك عثرت على أوراق لازاروس تلك، لذلك عليك أن تبقّيها بعيدة، قبل أن تقع في يد أحدهم".

"أنا... أنا لا أفهم".

"بل تفهمين، لكنك ترفضين استيعاب الأمر. القدوم إلى هنا كان خطأك الأول".

قبضت على يديها فوق الطاولة الخشبية. "فقط أخبريني الحقيقة".

"لا يمكنني القيام بهذا، أنا أحاول حمايتك، لكنك فضولية إلى حد يفوق احتمالي. الجهل يحميك، ثقي بي". ربت على يدي، وكررت: "ثقي بي". كانت تتصرف بغرابة، تمنعني من أن أثق بها. "خُذي كل تلك الأشياء، أبقّيها بعيدة عنك، وتصرفي كما لو أنك تجهلين كل شيء حولك".

دفعته نفسها نحو حوض الغسيل، وأغلقت الصنبور.

تجدد الهدوء، وبقينا صامتتين للحظات. أردت أن أقول شيئاً، لكن جوليا أرادتني أن أبقى صامتة. "أنت لا تطالبيني بأي اعتراف. ليس لدي ما أقوله لك".

نهضت غاضبة، وخرجت متجهة إلى شقتنا. سرّث بمحاذاة

الدرابزين، وقلب ريد ستون مكشوف أمامي، وهو غارق في أضواء
الغروب البرتقالية. كدث أعود إلى منزلي، وأحاول البحث عن إجابات
واضحة بنفسي، بدلاً من الاستعانة بجوليا، لكنني فكّرت في حل
آخر.

ركضت على السلم، مُتجهة إلى الطابق الثالث.

قرأت الأرقام الثلاثة، كان لونها الذهبي باهتاً، بلا أي بريق، وضوء الباب مطفأ، ولا يوجد أي صوت يوحى بأن أحدهم يعيش خلف هذا الباب. انبعثت رائحة غريبة في الممر كله. كانت رائحة طعام مطهو، ومادة كيميائية نفاذة، لا تختلف كثيراً عن رائحة الطلاء الخانق في معرض فريدريك.

فركت أصابعي محاولة التحكم بقلقي، ثم طرقت الباب. سمعت وقع خطوات سريعة واضحة، ثم تلاشت. ترقبت وطل انتظاري، ثم تجدد صوت الخطوات خلف الباب. "من هناك؟" "أنا أعيش هنا. هل هذا منزل؟..."

قاطعني: "ماذا تريد مني؟ أنا لا أعرف أي أحد هنا." "لأنني جديدة."

سألني بغضب: "وما شأني؟" ابتعد صوتي عن الباب فجأة. "ارحلي من هنا". أمرني. لا أعرف ما الذي كان يخيفه، لكنني حاولت إقناعه بكل الطرق بأن يستقبلني. "أصغي إلي، ما لم ترحلي الآن، فسأصل بالحارس، ليبعدك بالقوة. ألا تعرفين القوانين هنا؟"

"بلى، أعرفها. وجدت بعض الأوراق التي تخضك في شقتي". أضفت: "إنها أشياء تتعلق بجون لازاروس أيضاً. ألم يكن هذا الرجل صديقك؟"

"كيف تعرفين هذا؟ أعني... أنه صديقي."

قلت: "أخبرني جوليا ماكنيل بهذا، لقد استدرجتها بالحديث". فُتح الباب فجأة، وظهر شاب بـثياب بيضاء ملوثة ببعض الغبار. كان يترنح أمامي وعيناه مطفأتان بشكل غريب. "أنت كاذبة، فجوليا ماكنيل لم تعد تعيش هنا".

"آه، أنت أيضاً تعتقد هذا.. إنها جارتى".

كانت العتمة وراءه تغطي كل شيء، بالرغم من وجود بعض الأضواء الزرقاء الخافتة. "لكنها رحلت. أنا لم أرها هنا قط". اتسعت عيناه فجأة. "أنا لا أعرف من تكونين، أو حتى لماذا تتطقلين علي. إن كان هناك شيء يتعلق بي، فأين هو؟"

ترنحت خطواته، وتراجع إلى الخلف، حتى كادت العتمة تبتلعه، ثم سمعت صوت ارتطام. "ويلينغ؟ هل أنت بخير؟" دلفث إلى الداخل، ورأيت أنه يحاول النهوض بصعوبة. تقدّمت نحوه وساعدته، فدفعت يدي بعيداً عنه. "هل تحتاج إلى المساعدة؟"

"ابقي بعيدة.. فقط ابقِ بعيدة عني!".

رفعت كلتا يدي، وقلت له: "حسناً، أنا بعيدة".

كانت الرائحة خائفة جداً في الحجرة المعتمة، لم تكن تفاصيل شقته تشبه شقتي، ويمكنني أن أجزم بأنها كانت أضيق، لكنني لم أستكشف كل أركانها. استدرت واستعنت بضوء الممر الأزرق، لأرى الأوراق البيضاء التي غطت جدارين كاملين. كانت أوراقاً بيضاء، طبعت عليها تفاصيل بطلاء أسود.. بعض الوجوه والعلامات الغريبة، وهناك أيضاً يعاسيب بأطراف دقيقة، وزوايا صغيرة.

"هذا ما أعنيه". همست. "ما الذي تدلّ عليه كل هذه العلامات؟"
"اخرجي". صاح.

حاولت تهدئته. "أنا لا أحاول أذيتك، أنا فقط أريد أن أعرف بعض الأشياء. أنا أشعر بالخوف طوال الوقت، ولا يمكنني أن أبقى في منزلي ذاك بسبب ما حدث مع صديقك. أشعر بأنّ هناك شيئاً ما يتربص بي، يراقبني. إنها روح لازاروس حتماً".

لوى نصف شفته ليرسم ابتسامة. "هذا مستحيل. لازاروس رحل... لقد رحل وحده، وأخلف بكل وعوده". أحنى رأسه، وقال بصوت متهدج: "لقد خائني، رغم أننا توصلنا معاً إلى كل المفاتيح التي يمكنها أن تجلب لنا الخلاص".

"أين هو الآن؟ هل هو على قيد الحياة؟"
"لا".

"هل هو... ميت؟"
"لا".

"ماذا حلّ به؟"

سمعت صوت ارتطام قوي يصدر من الممر الأزرق. التفث، بينما راح ويلينغ يراقب الممر بارتياح. اندفعت نحو الصوت من دون أن يمنعني الخوف. "توقفي!". تابعت طريقي نحو باب الحجرة الموارب في نهاية الممر. "لا تفعلي هذا، أرجوك!".

حين فتحت الباب رأيت ثلاثة أشخاص يقفون في مركز الحجرة،

وعلى الجدار كانت هناك زوبعة سوداء ضخمة تلامس أبعادها نهاية الجدار، فيما تغطّت الجدران الأخرى بأوراق وبصور أخرى لعلامات لا معنى لها. كان هناك شابة راقدة على الأرض، لكنها تتمتع بعبارات غريبة بينما عيناها تنغلقان ببطء.

"اتصل بالإسعاف.. إنها تفقد وعيها". أمرته.

حاول أن يسحبني بعيداً عن دائرة الشبان الثلاثة، الذين لم ينتبهوا إلى وجودي بالقرب منهم. "أنت لا تفهمين أي شيء.. ابتعدي عنها". فتحت الفتاة عينيها، وضحك بينما كانت تُحدّق إلي ووجهها مقلوب، كانت عيناها داكنتين بشكل غريب، وضحكها اخترقتني وزرعت فيّ الخوف.

ردّد الشبان الثلاثة عبارات غريبة، ثم تبعثهم الفتاة المستلقية وهي تضحك.

"من أنتم؟" سألت مرتعبة، تراجعث بسرعة نحو الممر.

تقدّم ويلينغ نحوي، وهو يردّد: "أنت لا تفهمين أي شيء، إنه خلاصنا الوحيد.. هذه هي الراحة الوحيدة التي يمكننا أن ننالها". مدّ يده ليقبض على معصمي، لكنني تراجعث بوجل. طوّقتني الرسومات السوداء، واخترقت رائحة الطلاء أنفي.

شعرث بشيء غريب يخترق صدري... يملأ رئتي.

تداخلت تفاصيل العالم في صورة ضبابية، وراح الممر يتموج أمامي، دفعث خطواتي نحو ضوء الباب، وكل ما أردثه هو الخروج من هذا المكان. ظلّت العلامات تطوّقني، والزوابع الصغيرة تدور

حول ذاتها وتضييق تدريجياً، رغبت في الصراخ، طرقت رأسي بيدي
لأتخلص من هذه الغرابة.

اندفعت خارجاً، فتلاشى كل شيء. عدت إلى طبيعتي أخيراً. كانت
أضواء الممر أكثر بريقاً، وكل أبواب الشقق بدت نظيفة، أما رائحة
الطعام العبقة في الممر فكانت قد تلاشت. كان شكل المكان حولي
قد تغير كلياً. حين استدرت لأتأكد من باب الشقة خلفي، تفاجأت
بأنه لم يكن هو مدخل شقة ويلينغ، كان الرقم المدون على الباب هو
102.

هناك خطأ، شيء ما لا يمكن أن يكون صحيحاً.

قطعت طريقي لأتأكد مما أراه، كان ترتيب الممرات يختلف عن
الطريق الذي أدّى بي إلى كالفن ويلينغ. كنت أتجول في الطابق
الأول بدلاً من الثالث، وهذا لا يمكن أن يحدث بهذه السهولة. قطعت
طريقي بسرعة نحو السلم، رأيت أحدهم يندفع بعكس اتجاهي.

استوقفتني المرأة، كنت مرتابة، وجسدي يرتعب. "سيدة روزود،
من المفاجئ أن أراك هنا. أي مصادفة قادتنا إلى هذا اللقاء؟". كان
صوتها يحمل لحناً غريباً كأنه غنائية مصطنعة، لكنها استطاعت أن
تحافظ عليها. تأملت وجهها، وحاولت تذكر اسمها.

"سيدة ستون".

هتفت: "أنتِ تتذكرين".

"آه، بالطبع". كنت عاجزة عن النظر إليها، وما أزال تحت تأثير
الصدمة. التفث حولي لأتأكد من أن هذا العالم هو عالمي المألوف.

"لا تبدين بخير، كما لو أن أحدهم يطارذك".

كذبث: "أنا بخير. أنا بخير".

"أنتِ شاحبة جداً". قالت ذلك بنبرة أمومية، ثم طوّقت كتفي بيديها. كانت قبضتها قوية. "تعالى معي، إن كنتِ لا تمانعين".

"إلى أين؟" سألتها بارتياح. بدا هذا الخوف مرهقاً جداً.

قالت وهو ثومئ بخفة: "إلى بيتي، ما لم تكوني في عَجلةٍ من أمرك". تبعثها بطريقة آلية إلى شقتها. كنت بالفعل في الطابق الأول، وأنا لا أعرف كيف وصلت إلى هنا، وأنا قبل لحظات كنت في الطابق الثالث. حين فتحت الباب تدفقت رائحة مُعطر جَوّ قوية ومريحة.

كان البهو مغطى بورق جدران ذهبي راقٍ، وقطع الأثاث المتناثرة في كل الزوايا كانت كلها باللون الذهبي أيضاً. شعرت بأنني في زمن آخر، أكثر أصالة مما تبدو عليه كل أرجاء ريد ستون القديمة. كانت هناك مرآة بيضاوية بإطار ذهبي. رأيت انعكاس وجهي، وأصبح من الواضح مدى تأثير الحدث الأخير علي.

"منزلك جميل". بُحث لها.

"هذا لَطَفٌ منك". أجابث. وضعت الكيس الورقي الذي كانت تحمله على طاولة المدخل، وعرضت علي أن أخلع سترتي لثعلّقها.

شعرت بلسعة الهواء البارد، وبقطرات العرق تتحرك على عمودي الفقري. وضعت هي حقيبة يدها على شماعة معدنية، وخلعت حذاءها، ودستهُ في خزانة الأحذية السوداء. كانت المصابيح الجانبية الصغيرة هي مصدر الضوء الأساسي، وفي حجرة الطعام

كانت هناك طاولة بيضاوية، وثرثراً ضخمة من الكريستال.

"لطالما اعتراني الفضول حين رأيثك".

"حيالي أنا؟" أوماث. "لماذا؟"

قالت مبتسمة: "لأنك مشرقة، وعادة لا أقابل أشخاصاً بمثل هذه الطاقة".

"ما زلت أجهل معنى هذا".

ضحكت، فازدادت حدة صوتها، وبدأت عجوزاً حقيقية حينها. "وما زلت لا أملك أي طريقة حقيقية لشرح الأمر، لكن هذا هو التعريف الحقيقي الوحيد له". جلست مرتابة على الأريكة المنفردة، وفركت يدي لأخفي رجفتها، فقالت: "هل تشعرين بالبرد؟ يمكننا الجلوس بالقرب من المدفأة، لكننا سنحتاج إلى أن نشعلها".

"لا، أنا بخير".

عرضت: "سأعد لكينا شراب البابونج، سيجعلك تهدئين". أيقنت أن قلقي يصعب إخفاؤه. لم تحاول السيدة ستون أن تعرف حقيقة ما يحدث معي، أو سبب وجودي في الطابق الأول حتى. اختفت، وعادت بعد أن تركت الماء يغلي في المطبخ.

"هل تؤمنين بقراءة الطالع؟"

"لا أؤمن، لكنني لم أنف هذا قط".

ضحكت، بينما كانت شفتاها مطبقتين. "هذه أكثر إجابة دبلوماسية سمعتها في حياتي. أنت فتاة ذكية، وهذا أمر لا يمكن إخفاؤه،

حتى من خلال النظر إليك. ليس عليك أن تكوني محايدة في كل الأحوال". لم أكن محايدة، أو أحاول تجنب التطرق إلى فكرة واحدة، هذا هو رأيي الفعلي. اعتدت البحث عن أدلة وأشياء ملموسة وحقيقية، لكنني لا أنكر أبعاد هذه الأمور الغيبية، وإن كنت لست ممن يستخدمونها.

"هل ستسمحين لي بقراءة طالعك إذا؟" تلعثم، ولعلها لم تكن تتوقع مني إجابة حقيقية، لأنها دعثنني على الفور إلى طاولة الطعام. جلبت شمعة واحدة من صف الشمعات في الخزانة الزجاجية، وتركبتها أمام الكرسي الأخير حول الطاولة. سمعت صفيح غلاية الماء، فقالت: "سأعود حالاً".

كل التفاصيل حولي كانت غريبة وأنيقة، وهذا لا يختلف عن مظهر السيدة ستون أيضاً، بالرغم من وجود كل قطع الحلي المزعجة أثناء حركتها. سمعت صوت حركتها في المطبخ، ثم عادت تحمل كوبى البابونج، لكنها لم تجلس أمامي. راحت تُفّش عن شيء ما، ثم عادت تحمل بيدها عدة بطاقات ذهبية، أصغر من كف يدي قليلاً.

أشعلت الشمعة مستخدمة عود ثقاب، ثم جلست على طرف الطاولة.

"هل تعرفين ما هو هذا؟"

قلت: "إنها بطاقات تاروت".

أمرتني: "أغمضي عينيك، وفكري في رغباتك". أضافت: "فكري في أشياء تثير استغرابك، وتريدون أن تعرفي بعض الإجابات حولها".

تدفقت الأفكار بشكل مخيف. هل سأكون سعيدة؟ هل سينجح بران؟ هل سأنجب طفلاً آخر؟ ثم اندفع السؤال الأخير بشكل غريب من بين كل الأفكار المتعلقة بي، هل جون لازاروس هنا؟ هل هو ميت؟ أمرتني هيلينا أن أفتح عيني، وأنفخ بلطف على طرف الأوراق الذهبية.

مَرَرْتُ البطاقات فوق لهب الشمعة، لكنه لم يؤثر بها.

"سأسمح لك باختيار ثلاث بطاقات، حتى لا تطول مدة القراءة".

هتفت: "حسناً".

ارتشفت من شرابي الساخن، بينما كانت هي تفرد الأوراق على سطح الطاولة أمامي. أشارت لي بأن أختار ثلاث بطاقات بشكل عشوائي: "انتقي البطاقة التي تشعرين بأنها الأبرز أمامك... البطاقة التي تناديك". سحبت ثلاث بطاقات عشوائية، وتركتها مطوية أمامي.

"ها نحن ذا". همست.

تخلصت بعض الشيء من خوفي السابق، إلا أن المفاجأة المتعلقة بانتقالي إلى هنا، كانت ما تزال نابضة في جوفي. وحده طيف ويلينغ هو الذي تلاشى.

قَلَبْتُ البطاقة الأولى، ثم رَدَدَت العبارة المكتوبة: "عجلة الحظ". نظرت في عيني مباشرة، كما لو أنها تبحث عن إدراك لمعنى ما رأيته. "هنا يوجد فرصة للتغيير الدوري، هذا تذكير بأن التغيرات واردة دائماً"، انحنت أكثر نحو لهب الشمعة، وقالت بنبرة مطمئنة: "تطور

الحياة يستمر، ويجب عليك اغتنام الفرص الجديدة ما أن تستطيعي القيام بهذا".

تركت البطاقة مكشوفة أمامي، ثم قلبت الورقة المجاورة لها.
"الأحمق". قالت.

"ما معنى هذا؟"

"بدايات جديدة. عليك فقط التمسك بالبدايات الجديدة، والتشبث بالإيمان الذي ينبع في أعماقك، فهذا يقودك نحو الحقيقة في كل مرة. هذه البطاقة تشير إلى المغامرة في قلب الظلام، وقلبك وحده هو البوصلة التي تقودك إلى النهاية الصحيحة. عليك خوض المغامرة بقلب جريء".

ترقبث حركتها وهي تفتح البطاقة الثالثة، فظهرت عبارة الموت مقلوبة. ظهر على محياها الإحباط ممزوجاً بالخوف، وتعبير ثالث لم أفهمه.

"بطاقة الموت مقلوبة". همست، وسرى صوتها حولي كالفحيح.

"هل هذا سيئ؟"

حاولت المراوغة: "ليس بالضرورة. إنه يعني أحياناً التعلق بالماضي، أو بفكرة صعبة ترفضين التخلي عنها. هل أنت قلقة بشأن التخلي عن الماضي؟" بتردد أومأث معترفة. "لعل هذا هو ما يجعلك تشعرين بأنك منسية، لست موجودة بشكل فعلي".

"ماذا علي أن أفعل؟" سألت بعجز.

"يمكنك الإحساس بالخوف من كل المجازفات، ولكن هذه الحرب سثبقيك عالقة مع الندم". فكّرث أكثر في بيتر. "ستحبسك في دائرة المشاعر السوداء، وسثطفئ هذه الإشراقة التي تتحلّين بها بعد وقت قصير، ما ذمت عاززة عن التخلي عن فكرتك هذه".

جمعت البطاقات الثلاث، وأعادتها بسرعة إلى المجموعة.

"هل يحمل هذا أي مؤشر سيئ تجاهي؟" تجنّبت النظر إليّ، لكنها نفث مخاوفي بعد ذلك، بينما كانت تنهض لثخفي أوراقها.

عادت إلى الجلوس، وهي تقول: "كل شيء يقودك نحو التغيير، هناك منعطف قادم، واختيار النهاية الجيدة هو خيار متاح، لكن عليك فقط أن تدركي السبيل الصحيح إلى هذه النهاية. ستكونين أفضل حالاً إذا سرت خلف مشاعرك وإيمانك بالأشياء الموجودة هنا". أشارت نحو قلبي، ثم ابتسمت.

جلسنا حول الطاولة، ولهيب الشمعة ما يزال يعكس ظلالاً متراقصة على الجدران. "أحاول بالفعل أن أتبع حدسي في كل شيء، لكن ما يزال هناك ما يعيقني".

"الماضي؟"

"ربما... ربما هو الماضي".

"ماذا فقدت؟"

شعرث بأن قلبي ينبض فجأة. كانت تحدّق بي بجدية وفضول. "لقد فقدت ابني الصغير". ردّدت عبارات الأسف والمواساة، لكن الكلمات انطلقت من فمي بدون تفكير. "أثناء نومه. كان عمره لا

يتجاوز الشهرين فقط. وجدته على تلك الحال بدون أي سبب واضح".

"أنا آسفة". كررث، واحتضنت يدي.

"لطالما تصوّرث أنني أنا السبب". تفاديث مواجهة نظرها. "حتى بران، اعتقدَ بأنني أنا الملامة فيما حدث لبيتري، على الرغم من أننا كلانا لم ندرك ما حدث حينها".

"لا يقع اللوم على أحد". أضافت: "لا أحد يعبت مع الموت أو يحاول تفسيره".

قلت: "حاولنا أن نتفهم هذا". لمعت الدموع في عيني، وظلّلت كل الصور. فقط نور الشمعة كان واضحاً خلف الغشاوة التي غطت بصري. "حاولنا كثيراً، لكننا كذبنا بشأن النجاح، فنحن لم ننجح بشكل حقيقي في تجاوز هذا الألم".

"لأنك ترفضين التخلي عن الماضي". سحبت هيلينا كلتا يدي، وقالت: "ابسطي كفيك، سيساعدك هذا بعض الشيء". مررث أصابعها فوق يدي. "أغلق عيني، واستحضري أي ذكرى تريدينها" رحث أفكر في بيتري بقوة، وتحول الواقع إلى صورة أخرى.

رأيثني أحمله، وأتحرك في أرجاء حجرته. كان يتخلّص من بكائه ويغفو بسرعة. أتذكر هذا اليوم، وأعيش لحظته بوضوح الآن.

تلاشت الذكرى، وفتح عيني مندهشة. "كيف فعلت هذا؟"

"أنا لم أفعل، أنتِ فعلت. إنها آلية سهلة لإحياء جزء من روحك يتعلق بوقت معين، ومكان معين. لحظة حية ونابضة عالقة في

داخلك، تستطيعين إحياءها بوضوح، وأنا فقط أساعدك في توجيه هذه الطاقة إلى تلك الكتلة الصغيرة المنسية في أعماقك".

رآن الصمت، وعدت إلى شرب ما تبقى من شرابي الذي فقد حرارته.

"هل عرفت جون لازاروس من قبل؟"

"نعم، كان هذا قبل وقت طويل. كان يعيش هنا حينها".

"عاش في شقتي أنا".

"آه، حقاً؟"

قلت مؤكدة: "نعم، إنها مصادفة، لم نعرف عنها شيئاً قبل الانتقال إلى هنا". أضفت: "كنت أفتش فيما تركه لازاروس بعد رحيله، ووجدت لوح لويجا. لا بد من أنك تعرفين ما الغرض من هذا اللوح، أليس كذلك؟"

"بالطبع، لكن ما لا أفهمه هو سبب وجوده مع لازاروس، إنه لم يكن ساحراً حقيقياً حتى!".

"هذا ما يثير استغرابي". أضفت: "أنا لا أعرف ما هو مصير ذاك الرجل، بعضهم يقولون بأنه ميت، وبعضهم الآخر يعتقدون بأنه اختفى، وترك وراءه هذا الغموض". لم تكن تفهم ما هو الغرض الحقيقي من حديثي هذا، فقلت: "إن كان لازاروس ميتاً، ألا نستطيع التحدث معه من خلال لوح الويجا الخاص به؟".

ظلت تحدق بي، وطال الصمت للحظات. "لماذا قد ترغبين في

التحدث إليه؟"

"أريد أن أعرف الحقيقة وراء ما حدث له".

همست: "إن كان لازاروس قد مات بالفعل، فربما يمنحنا هذا فرصة لأن نسأل روحه، لكن هذا قد لا يحدث بالضرورة. الأشياء المرتبطة بالموت ليس حتمية، وهي ضعيفة الارتباط بواقعنا الحالي. هل تفهمين ما أعنيه يا إيسيا؟"

"أنا أفهم، لكنك خبيرة في مثل هذه الأمور، ولعل محاولتنا تعود بإجابة واضحة".

قالت بلهفة: "حسناً، عودي إلى هنا غداً، واجلبي معك اللوح، وسنحاول القيام بالاتصال بأي شيء يرتبط بلازاروس، ونرى ما يمكن أن نعر عليه".

لم يكن من الممكن أن ألبأ إلى أرشيف الصحيفة، من دون المرور بكريستين، التي كانت تنوب عن اتصالي المباشر بلامبير. كنت خلال هذا الوقت قد بدأت العمل على مقالة صغيرة، لا تتعلق بكل المواضيع التي سيطرح في الأعداد القادمة للصحيفة. وحين طلبت من كريستين اللجوء إلى الأرشيف، كان عليّ الكذب بشأن هذا. أخبرتها بأنني بحاجة إلى الوصول إلى بعض المراجع الموجودة في الأعداد السابقة.

لم تكن هذه كذبة تامة، فأنا أحتاج إلى البحث عن مقالات تتعلق بريد ستون، أو بجون لازاروس، ولا بد من أن هناك مقالات تعود إلى السنوات الماضية، وقد ذكر فيها أي شيء عن عروض جون لازاروس التي أقيمت هنا. لقد كذبت فقط بشأن المقالة التي سأكتبها، فأنا هنا لأنني أخدم فضولي فقط.

قادني رجل يدعى إسحق إلى الأرشيف، وكان هو المسؤول عن حماية هذا المكان المنسي وترتيبه أيضاً. سألتني الكهل ما أن وصلنا إلى القبو: "أخبريني عما تبحثين بالتحديد، لعلّي أتذكر بعض التواريخ أو الأعداد". أضاف: "سيجعل هذا بحثك أكثر سهولة".

"أنا لا أبحث عن عدد معين، سأتصفح بعض الأعداد التي تعود إلى العقد المنصرم".

اتسعت عيناه: "هذا كثير".

عرضت عليه: "أتركني هنا، سأبقى وحدي لبعض الوقت، ما لم تكن

ثَمَانِع فِي هَذَا. لَنْ أُعْطَلَكَ عَنْ أَعْمَالِكَ الْآخَرَى يَا إِسْحَقَ".

أَوْماً وَهُوَ يَنْسَحِبُ: "نَادِينِي إِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ".

مَا إِنْ رَحَلَ حَتَّى وَقَفْتُ أَمَامَ أَكْوَامٍ مِنَ الصَّنَادِيقِ الْمَعْنُونَةِ بِتَوَارِيخِ لِسَنَوَاتِ الْإِصْدَارِ، حَدَّثْتُ السَّنَوَاتِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى مَا قَبْلَ عَامَيْنِ، إِلَى عَقْدٍ كَامِلٍ. لَدَيَّ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، سَأُبْحَثُ خِلَالَهَا عَنْ أَخْبَارٍ تَتَعَلَّقُ بِلَازاروس. رَحْتُ أَفْتَشُ الْأَعْدَادَ بَعْشَوَائِيَّةً، وَأُعِيدُ طَيِّ الصَّحَفِ الْخَالِيَةِ مِنْ أَخْبَارٍ هَامَةٍ، وَأَنَا أَحَاوِلُ أَلَّا أَتَنْشِقَ الْغُبَارَ الْمُتَطَايِرَ مِنَ الْأَوْرَاقِ الْقَدِيمَةِ.

وَصَلْتُ إِلَى عَدَدٍ وَحِيدٍ يَعُودُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ. كَانَ هُنَاكَ جُزْءٌ مَقْتَطَعٌ مِنَ الصَّحِيفَةِ، وَهَذَا مَا أَثَارَ اسْتِغْرَابِي، لِأَنِّي لَمْ أَتَوَقَّعْ أَنْ يَكُونَ الْجُزْءُ الْمَسْرُوقُ مُتَعَلِّقاً بِجُونٍ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ لِمَاذَا قَدْ يَكُونُ مَسْرُوقاً. تَهْتُ فِي الدِّهَالِيزِ الْحَدِيدِيَّةِ لَصَّنَادِيقِ الصَّحَفِ الْقَدِيمَةِ، وَفِي النِّهَايَةِ جَلَسْتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَحْتُ أَفْتَشُ فِي الْأَخْبَارِ الْقَدِيمَةِ عَنْ أَنْبَاءٍ تَتَعَلَّقُ بِسَاوْتِ بَايٍ وَرِيدِ سَتُونٍ.

"مَاذَا تَفْعَلِينَ هُنَا؟" أَرَعْبَنِي الصَّوْتُ الْجَادِ.

رَفَعْتُ رَأْسِي لِأَرَى مِنْ قَبْضِ عَلِيِّ هُنَا. كَانَ بِنَجْمَن مَائِرِز. "أَنَا أَبْحَثُ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَاتِ الْقَدِيمَةِ هُنَا".

"أَيَّةُ مَقَالَاتٍ؟" وَقَعْتُ عَيْنَاهُ عَلَى الْأَجْزَاءِ الْمَقْتَطَعَةِ مِنَ الصَّحَفِ الَّتِي تَرَكَّهَا أَمَامِي. لَمْ تَدْهَشْهُ الْفَرَاقَاتُ الْمَوْجُودَةُ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ حَتَّى بِأَنِّي أَنَا مَنْ سَرَقَ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ. "رَبَّمَا يُمْكِنُنِي الْمُسَاعَدَةُ".

"حَسَنًا، سَأَعْتَرِفُ بِسَرِي هَذَا، عَلَى أَمَلٍ أَنْ تَسْتَطِيعَ الْإِحْتِفَازَ

به". أضفت: "لا أريد أن أخسر وظيفتي الجديدة". جمعت الصحف الخالية من الأخبار، وأنا أقول له: "أبحث عن أنباء تتعلق بجون لازاروس". نهضت، ونفضت الغبار عن تنورتني. "المستأجر السابق في شقتي الحالية".

"ما يزال الفضول يعتريك حيال ذاك الرجل إذا".

ضيقت عيني، وحاولت أن أفهم سبب وجود بن هنا. "هل تبعني إلى هنا؟"

"لا. أعني... نعم. تبدين مرتابة، وهذا أثار فضولي في الواقع. لقد اختفيت في هذا القبو لوقت طويل، وهذا لا يحدث مع الموظفين عادة".

"حسناً، أنت تعرف السبب الآن".

قال: "فيم تؤمنين؟"

"عم تتحدث؟"

"في قضية لازاروس. ما هي شكوكك تجاه قضية جون لازاروس؟"

رحت أفكر في الإجابة الأنسب، من دون أن يقودني الاعتراف نحو إبداء أي جنون، لكنني رغم هذا وجدثني أقول له: "لا أعرف، ربما كان على قيد الحياة. دائماً ما أشعر بوجود شيء غريب في منزلي... شيء يتعلق به وبماضيه؛ كما لو أنّ روحه ما تزال تحوم هناك".

"ماذا لو كانت المشكلة لا تشمل منزلك أنت فقط؟"

"حينها سأقرر الرحيل".

سألني: "بهذه البساطة؟"

"ما من حل آخر لدي".

قال بخيبة: "ظننتك تبحثين عن الحقيقة، لكنني أراك تحاولين حماية نفسك من هذا الخطر. هل أنت هنا بداعي الفضول أم الخوف؟"

"كلاهما". اعترفت.

"حسناً إن كانت هذه المسألة هامة، فأنا أريدك أن ترافقيني". لم أسأله عن المكان، لأنه كان جاداً في اتخاذ قراره. تحرك بسرعة نحو باب القبو المؤدي إلى السلم. "أرجو ألا يجزك ما سترينه لاحقاً إلى الاعتقاد بأنني مجنون، لكنني أيضاً أحمل شكوكي الخاصة".

حين صعدنا رأيت بن يتجه نحو المرآب الصغير للمبنى. "هل سنخرج من هنا؟"

"إلى مكان قريب". أشار إلى سيارته، فجلسث إلى جواره، ثم انطلقنا مبتعدين عن مبنى صحيفة ساوث باي. "أعلم بأنك مرتابة، لكنك لن تعثري على أي شيء يتعلق بلازاروس في أرشيف الصحيفة". نقل بصره بيني وبين الطريق بسرعة، متوقفاً أي رد فعل.

"لماذا قد تفعل هذا؟"

"ستعرفين الإجابة حين نصل".

كانت وجهتنا تبعد سبع دقائق عن مركز الصحيفة، كان المبنى

الذي توقفنا عنده لا يبتعد إلا خطوات قليلة عن مركز بلدة ساوث باي، لكنه كان أحد المباني الصغيرة، والمخفية بين جدار من المباني الإسمنتية الضخمة. تبعته حتى وصلنا إلى المصعد، ثم توقفنا عند الطابق الأول.

استخدمَ بن مفتاحه ليفتح باب السكن الصغير، وحين دلفنا إلى غرفة المعيشة، عرفنا على الفور لماذا قد تكون كل المقالات في ساوث باي نيوز مسروقة. كان أحد الجدران الأربعة مغطى بأوراق الصحف وبعض الصور وتقارير الشرطة وقصاصات أوراق دُون بن عليها بعض الملاحظات.

"ما الذي يعنيه هذا كله؟"

قال بهدوء: "هذا نتاج بحثي الخاص، كنت أطارده هذه الحكاية منذ وقت طويل".

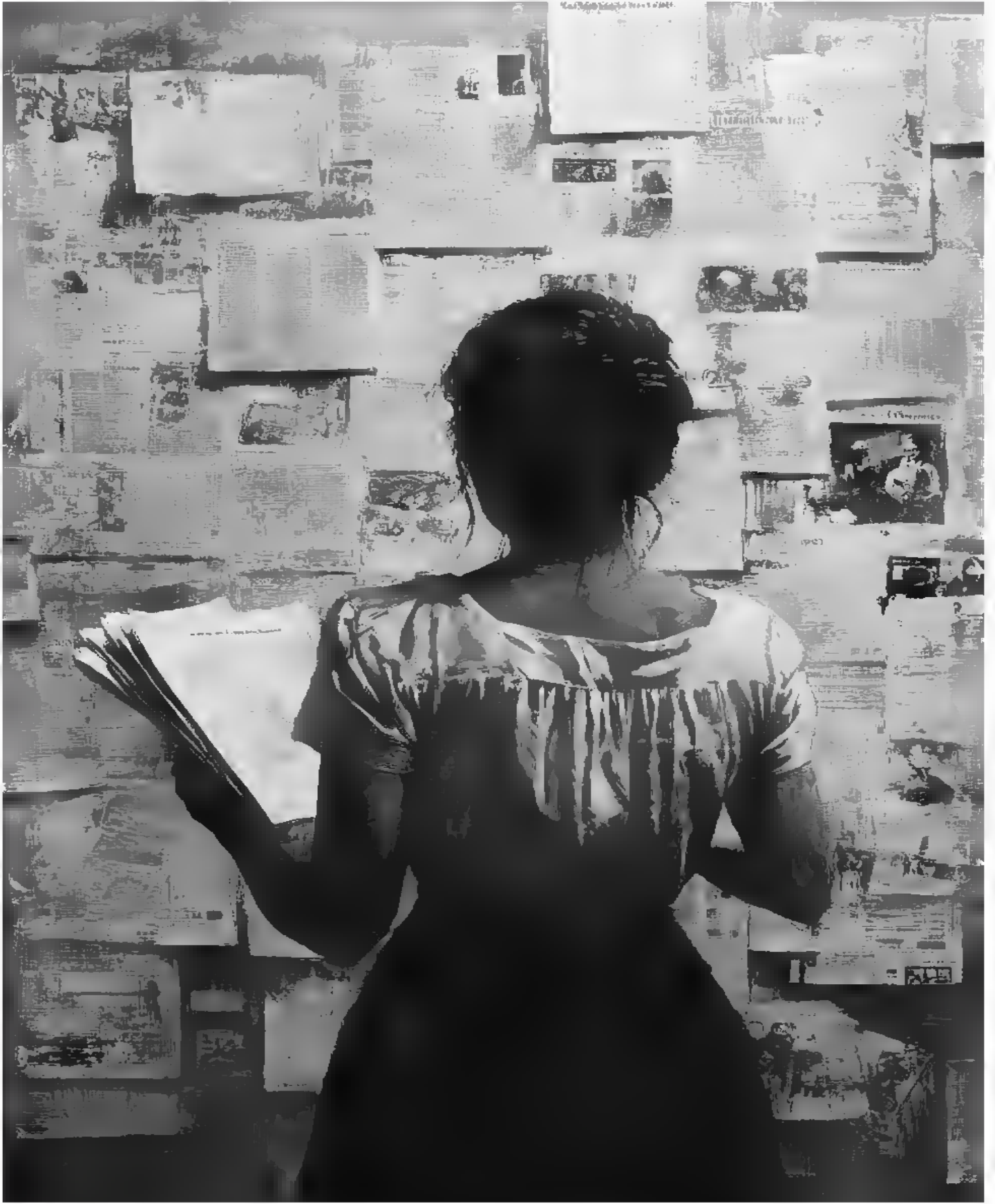
"لكن... لماذا؟"

"الفضول". قال من دون تفكير، لكنني أستطيع تمييز الكذب في صوته. "كل الأنباء التي تدور حوله والتي قد تقودني إلى أثره موجودة هنا، لكنني لم أجده رغم كل هذا البحث الطويل. كان هذا هو ما يسرق أيامي كلها". كانت الأوراق المعلقة على الجدار لا تتعلق بلازاروس وحده، كان هناك أيضاً أوراق تتعلق بحالة انتحار حدثت قبل ثلاثة عشر عاماً في ريد ستون.

"ما الرابط بين القصتين؟"

"شيء ما يحدث في شقة لازاروس، هذا كان مالك العقار قبل أن

يبيعه ابنه الوحيد إلى المالك الأصلي لريد ستون، واستأجره بعض السكان بعد ذلك. جزء كبير من الشقق في ريد ستون كانت مباعة، وليست مؤجرة لسكانها". أشار إلى الخبر القديم، وقال: "يُدعى الرجل يوري ليفانسكي، كان جده مهاجراً، واشترى والده هذه الشقة من ثروة الجد التي كوَّنها بعد هجرته إلى هنا، ثم ورثها يوري، وبعد سنوات طويلة من الإقامة قرَّر الرجل أن يُلقي بنفسه من سطح ريد ستون بدون سبب واضح، ولم يُخلف وراءه أي رسالة أو دلائل تفسر انتحاره. كان لديه ابن وحيد، وهذا الابن لم يثر الشقة إلا حين أراد تسليمها إلى المالك الجديد. تمَّ تأجير المكان إلى عدد من الأشخاص، وكلهم كانت إقامتهم هناك قصيرة، وحده جون لازاروس الذي أراد البقاء لأطول مدة ممكنة، لينتهي به الحال هكذا، لا أحد يعرف أين هو، أو ماذا حلَّ به"



وقفت عاقدة يدي أمام الأوراق، وبعض الصور المبهمة لجون لازاروس في رداء السحر، لا يظهر وجهه بوضوح إلا أن جودة الصور منحثني لمحة عن الشخص الذي كان يعيش هناك. بدا أنه

كأي شخص طبيعي، يقف فوق المنصة الخشبية، تحت عدد قليل من المصابيح. كنت أشعر بالخوف والسخرية من نفسي، لأنني كنت أحارب الجميع لتصديق حكاية خرافية، والآن في أعماقي أشعر بالخوف مما يقوله لي بن.

أردت تكذيبه.

رغبث في الرحيل من هنا.

"هل تعني أن الأمر يتعلق بشقتنا؟" هز كتفيه، لكيلا يؤكد أي شيء. "مالك الشقة رمى بنفسه من فوق سطح المبنى، وأطول مقيم في المبنى اختفى بدون أي أثر. هذه هي نتيجة التحقيق، أليس كذلك؟" "حاولت مطاردة الأشخاص الذين عرفوا جون، لكن خصوصية ريد ستون، تمنعني من الدخول إلى هناك، أو سؤال أي من السكان عن ذلك".

قلت بيأس: "حتى وإن كنت هناك، فإنك لن تنال أي إجابة حقيقية".

"لكنهم عرفوه... كانوا جيرانه".

"لا أحد يعرف ما حل به، سألت العديد من جيرانه عنه". التفث نحوه، وأنا ما أزال عاقدة يدي بملل "ربما أستطيع مواصلة بحثي عن الحقائق، لكن سيتحتم عليك إقحامي في هذا كله. سأكون جزءاً من التحقيق، ولا يمكنك إخفاء أي حقيقة عني".

لم أطلعه على حقيقة متعلقات لازاروس التي وجدتها في العلية.

"هل ستتمكنين من القيام بهذا؟"

قلت: "طالما أنا أعيش هناك، فربما يمكنني مواصلة التطفل، ومحاولة معرفة بعض الحقائق من الجيران. كل ما توصلت إليه حتى هذه اللحظة هو أن كالفن ويلينغ كان صديقاً جون لازاروس، ولا أعرف ما إذا كان بالإمكان معرفة أي شيء منه، فالرجل لم يكن سوياً حين رأيته".

"هل قابلته؟"

"إنه يعيش هناك، لكن... ما رأيته في سكنه كان شيئاً غريباً". شرحت له ما حدث معي بالأمس، وغبابة رسومات ويلينغ، وعن الأشخاص الموجودين هناك.

أطلق ضحكة قصيرة ساخرة ووقف إلى جوارى، أمام الجدار المغطى بالصور. "إنهم حفنة من المدمنين، وعليك أن تكوني حذرة في التعامل معهم. لا شيء غريب في تصرفاتهم، لأنهم ببساطة فقدوا عقولهم". كان هذا تفسيراً منطقياً، لم أضعه في الحسبان.

"لكنه ما يزال قادراً على الرسم".

أوضح بن: "المخدر وحده ما يساعده على الرسم، أشخاص مثل ويلينغ، لا يستطيعون صناعة أي شيء حقيقي في لحظات الصحو، لهذا هو يعيش على المواد المخدرة". أضاف بقدر أكبر من السخرية: "إنه حتى لا يُقدّم أي فن حقيقي".

لم يخلُ مكان حولي من الفوضى، إلا أنها احتشدت كلها بالقرب من هذا الجدار المقابل لي. "هل تعيش هنا؟"

"هذا هو منزلي".

"أنت هنا وحدك إذا". كُنْ واثقة من أن المكان يخلو من أي لمسة
أنعوية.

"لطالما عشت وحدي، لم يبقَ من معارفي أي أحد". أضاف هامساً،
كما لو أنه يُحدث نفسه: "اعتدث أن أكون وحدي في كل الأحوال".
قال ذلك وهو واثق، بدون أن يتأثر بكلماته.

"تبدو معتاداً على هذا".

أعلن: "جداً".

لم يكن هناك ما أعلق عليه. التفت لأرى المقالات التي جمعها بن.
كانت كلها إعلانات سيئة حول عروض لازاروس، وبعض الأخبار
الأكثر أهمية لعروضه، وهذا يدل على مدى تطوّر عمله في ساوث
باي. لا توجد أي ارتباطات خارجية بشأنه، ولا أشياء توضح أصول
الرجل أو ماضيه.

"من هو جون لازاروس؟"

"أعتقد أن اسم لازاروس يرتبط بوالدته، فهي أيضاً مهاجرة، أما
والده، فهو غير معروف. لا أتصور بأن جون يعرف والده حتى. ماتت
والدته في إحدى المصححات العقلية، وبعض التقارير أثبتت أن جون
لازاروس أيضاً قد ورث بعض هذه الجينات المعطوبة".

"جينات؟ هل الجنون متوارث؟"

قال: "ثُبت بعض النظريات حقيقة هذا. في بعض التقارير، ذكر أن

والدة جون جاءت من سلالة مليئة بحالات مطابقة لحالتها. اكتئاب موروث، وغير معروف سببه. جون وأجداده على الأغلب عانوا من هذه الحالة. هناك تقارير ثبت بأن جون دخل إلى مصحة روك هيل مرتين على الأقل، خلال إقامته هنا، لكن دخوله لم يتعد يوم أو يومين، بسبب حالات الانهيار التي كانت تصيبه بعد فشل عروضه الأخيرة".

"هل من الممكن أن تكون حالات الانهيار ناجمة عن شيء ما في سكنه؟ أعني بأن للشقة أيضاً تاريخاً سيئاً، أليس كذلك؟"
"هذا وارد".

"ماذا لو أن شيئاً ما كان يتلاعب بعقله هناك؟" هز رأسه دلالة على جهله، فهذا احتمال بعيد عن المنطق، وكلانا كان يرفض تقبله، لكن جزءاً مني، ومن بن أيضاً، كان يؤمن بوجود حلقة غير طبيعية في مسألة اختفاء لازاروس.

"ما تزال الحقيقة بحوزة ذاك الرجل". حرك مفتاح شقته بيده، ثم أضاف: "هذه هي كل الأدلة التي كنت ستعثرين عليها في كومة الصحف الضخمة هناك، لقد اختصرتُ عليك البحث لأيام عديدة، وكانت الخلاصة هي هذه الحقائق التافهة". أشار برأسه نحو مدخل سكنه، وهتف: "دعينا نعود إلى العمل الآن".

"سبعة فصول حتى الآن". كانت كومة الأوراق التي تركها بران على طاولة، توحى بأنه كتب أكثر من مجرد سبعة فصول فقط. "سأرسل نسخة من هذه الأوراق إلى لامبير أخيراً، لكنني أيضاً أتوق إلى معرفة رأيك فيها". حملت الصفحات التي كانت على طاولة القهوة.

"أرجو ألا يستهلك هذا طاقتك كلها. أنت لا تفارق آلة الكتابة إطلاقاً".

هتف: "لا تقلقي بشأني أنا، سأكون بأفضل حال. إن واصلت الكتابة سأنتهي هذا العمل في أسرع وقت ممكن، ولا أعتقد بأن ما كتبته سيتطلب أي تغيير حتى. كل كلمة هنا في مكانها الصحيح... بالنسبة إلي على الأقل".

قلت ساخرة: "حسناً، إنها بداية الغرور".

"لا، هذه ثقة لم أمتلكها من قبل. هذه المرة أنا أعرف ماذا أقدم في هذه الصفحات. لن أتحدث كثيراً عنها، وسأترك لك فرصة الحكم عليها". تراجع عدة خطوات، وقال: "عندما أعود سنتحدث أكثر عن هذا، هل اتفقنا؟". كاد أن يخرج، لكنني طلبت منه التمهّل.

"لا أريد البقاء هنا خلال غيابك".

عقد حاجبيه: "أما زلت تخافين بعد كل هذا الوقت؟"

شرحت له: "هناك امرأة لطيفة تعيش في الطابق الأول، عرضت علي أن أقضي بعض الوقت معها، وستكون هذه فرصة مناسبة.

سأعود فور عودتك من فيلاسكو". أضفت بسرعة: "آه، بالمناسبة.. بلغة تحياتي، فأنا لا أراه في الأرجاء مطلقاً".

فتحت السقيفة بعد أن تأكدت من غياب بران. أخرجت لوح الويجا والمؤشر من الصندوق، وأخذت معي البوصلة المعدنية الغربية الموجودة في صندوق الزان. أعدت ترتيب كل شيء، وسحبت اللوح الخشبي المكسور، وحاولت إعادته بشكل سيئ إلى مكانه، حتى أخفي الجزء المحجوب من السقيفة.

هبطت بسرعة إلى الممر، واتجهت فوراً إلى خارج الشقة. كان الممر الخارجي فارغاً، واندفاعي وخوفي حين كنت أحمل لوح الويجا منعاني من استخدام المصعد. جريث على السلم وصولاً إلى الطابق الأول، ثم قطعته الدهليز وصولاً إلى شقة هيلينا ستون.

حين رأيته هيلينا عند مدخل الشقة بدت متوقعة وجودي ومستعدة لاستقباله. لازمت الابتسامة الغربية شفيتها، حتى بعد أن قادته إلى حجرة الطعام. "هل هذا هو لوح لازاروس؟"
"نعم، هذا هو ما عثر عليه".

سألته بمكر: "أنت ما تزالين راغبة في تجربة هذا الشيء، أليس كذلك؟"

"لهذا السبب أحضرته".

أحضرت لي السيدة ستون الشاي، وطبقاً مليئاً بقطع البسكويت المصنوعة هنا. كانت رائحة القرفة تندفع منها بقوة، إلى حدٍ منعني من تجربتها حتى. "قلت إنك لا تؤمنين بهذه الأشياء ولا تنكرين

وجودها، لكنك مع هذا تعتقدين أن هذه التجربة ستنجح".

"ما قمت به بالأمس دفعني بعيداً عن انحيازي البسيط". أضفت بسرعة: "أنت ماهرة". أردت أن أثق بها، رغم كل الاحتمالات الممكنة. ماذا لو لم يكن هناك أحد؟ ماذا لو أن كل هذا مجرد خدعة؟ بدت هيلينا مستعدة للقيام بما أردته أنا. قاطعتها فجأة، وأخرجت من جيبي الحلقة المعدنية الشبيهة بالبوصله. تركت القطعة أمامها، وسألتها: "هل تعرفين ما هو هذا الشيء؟"

لمست القطعة بأطراف أصابعها. "لعله مفتاح، لكنني لم أتصور بأن أشياء كهذه ذات منفعة أو أنها حقيقية حتى". رفعت رأسها نحوي: "أين عثرت على هذا؟"

"كنت أعبث في شقتي، ووجدته هناك".

سألت: "هو للآزاروس إذاً، أليس كذلك؟" كان هذا هو الاحتمال الوحيد المتاح أمامها، وقد صدقته بدون انتظار تأكيد مني. سألتها عما يعنيه كون هذا مفتاحاً فقالت: "إن هذه الأشياء تُستخدم كطلسم معين، أو كمفتاح يخدم غرضاً محدداً يعرفه فقط صانعه أو مستخدمه".

"وكيف يمكنني أن أعرف غرضه؟"

راحت تحاول قراءة العلامات الصغيرة على أطراف الحلقات المتداخلة: "لست واثقة من أي شيء يخض هذه القطعة، لكنني أستطيع أن أرسلك إلى صديق لي، يمتلك متجراً في بلاند ستريت، المتجر رقم سبعة. إنه رجل كهل يُدعى إيريك فولر، يعرف الكثير عن

مثل هذه الأشياء، وهو أكثر من ساعدني في عملي حتى". أضافت:
"حريّ بك أن تسأليه عن هذا الشيء".

ثبتت المعطيات في ذهني، وأردتها أن تبقى عالقة فيه.

عدلت هيلينا من وضع لوح الويجا، ورفعت المؤشر لتضعه في موضعه الصحيح. أرخت أطراف أصابعها على المؤشر، وبدأت واثقة مما تقوم به في تلك اللحظة. "ضعي يديك". قلّدتها، ووضعت أطراف أصابعي بنعومة. "فكّري فيمن ترغبين في سؤاله، حاولي استحضاره في ذهنك".

تخيلت الصور المبهمة لجون لازاروس، تلك التي رأيتها في شقة
بن.

"جون لازاروس، إننا نناديك لتكون ضيفنا. إن كنت موجوداً فقط
قدّم لنا إشارة تدلّ على وجودك، وأجب على أسئلتنا". كررث بصوت
حازم أكثر: "جون لازاروس أصغِ إلى ندائي واستجب له". رحنا أنا
وهي نُحرّك المؤشر في حلقات صغيرة.

أشارت إليّ حتى أسأل. "جون، هل... هل أنت هنا؟"

تحرّك المؤشر ببطء نحو كلمة نعم.

رميث هيلينا بنظرة خوف، لكنها كانت متماسكة على عكسي أنا،
همست لي: "تماسكي، لا يمكنك كسر الاتصال بهذه السهولة". أردت
أن يكون الأمر مجرد دعابة. "جون، إن كنت هنا، فسأسلّك أين كنت
تعيش في السابق؟"

تحرّك المؤشر. 5-0-5

"هذا هو رقم شقتنا". أرادتني هيلينا أن أهدأ، وأن أطرح عليه أنا السؤال هذه المرة. "جون، هل أنت على قيد الحياة؟"

تحرك المؤشر، نحو عبارة لا.

"هل أنت ميت؟"

لا.

"أين أنت إذا؟"

ل - و - ن - ي - و - ر.

"لونيور". كررث الكلمة. "ما معنى هذا؟" تبادلنا أنا وهيلينا النظرات، لكننا لم نفهم ما معنى تلك الكلمة التي جمع المؤشر حروفها.

ش - م - س.

ازدادت حيرتنا، فنحن لم نفهم ارتباط الشمس بالكلمة السابقة. أردت اختيار السؤال التالي بعناية، لكن هيلينا سبقتني، وقالت: "كيف وصلت إلى هنا؟" ظل المؤشر ثابتاً. "جون لازاروس، إن كنت تسمعني، فلتمنحني إجابة على هذا السؤال. كيف وصلت إلى هناك؟"

ه - ي

"هي؟ هي من؟"

ق - ر - م - ز - ي.

همست هيلينا: "قرمزي". كانت الكلمة التي شكلها المؤشر، وبينما كانت هي تبحث عن معنى لهذه الكلمة، طرأت في بالي فكرة خاطفة.

"أتقصد المرأة في الرداء القرمزي؟"

نعم.

"هل تعرفين ما معنى هذا؟" رفعت كتفي لأنني لم أكن أعرف حقيقة ارتباط الأمر بتلك المرأة التي رسمها هو في مذكراته، ورسمتها جوليا ماكنيل.

سألته: "هل هي حقيقية؟" طال الصمت.

سألته هيلينا بجرأة: "هل هي حقيقية يا جون؟" تحرك المؤشر ببطء بالغ، نحو كلمة "نعم". لكننا لم نفهم سبب حركته الغريبة هذه المرة. "هل هي هنا معنا؟" تحرك المؤشر بسرعه الطبيعية مرة أخرى، وراح يشكل إجابة جديدة.

ك - ل - م - ك - ا - ن.

"هي في كل مكان إذن. هل هي موجودة معنا الآن؟ هل يمكنها أن تعطينا إشارة تثبت وجودها معنا في هذه اللحظة؟" قالت هيلينا ستون ذلك، لكنها لم تتلقَ إجابة. رددت بهدوء: "جون؟" ساد الصمت بعد نداء هيلينا.

بدأت المرأة متعجبة من حالة السكون الغريبة التي اخترقت المكان، ثم شعرت بأنها ابتعدت عن الواقع تدريجياً. راحت تحديق في الفراغ، ويداه عالقتان على المؤشر. "سيدة ستون". ناديها، لكنها لا تتفاعل معي!، ظلت في حالة جمود غريبة.

أردت أن أبعد يدي، لكنني خفت من أن أقطع اتصالي.

"هيلينا، هل أنت بخير؟"

ارتجفت شفتاها، كانت تحاول أن تقول شيئاً ما. "هي..." أرخت يدها، وأفلتت المؤشر، ثم احتشدت الدموع في عينيها. "إنها... هنا". هبط وجهها على السطح الخشبي للطاولة، مرتطماً بعنف بالسطح الخشبي المكشوف.

تركث المؤشر، وحاولت أن أحملها.

صرخت المرأة بعنف ورفعت رأسها، ثم حاولت أن تضرب به سطح الطاولة، لكنني قبضت عليها بإحكام، ومنعتها. غرست أظافرها في وجنتيها، فحاولت أن أسحب يدها حتى لا تؤذي نفسها. "سيدة ستون". صرخت، محاولة أن أعيدها إلى الواقع.

"إنها هنا".

صرخت من دون أي معنى للصوت الغريب الذي بدر منها.

بالتزامن مع صراخها، ومضت كل أضواء الحجرة، وحين عاد الضوء أخذ يرتجف بقوة أكبر، ثم انقطع التيار، وحلّ الظلام على المكان كله. دفعتني هيلينا ستون بعيداً عنها. كانت عجوزاً واهنة، لا يمكنها أن تدفعني بكل هذه القوة، لكنني رغم كل شيء، ابتعدت وارتطم جسدي بالحائط.

"كل هذا الإدراك... لا يمكن احتماله". وقفت أمامي في الظلام، وعلى نور القمر الآتي من النافذة رأيثها تتحرك أمامي. اشتعل فتيل ضوء في عينيها، فصرخت جزمة ممّا رأيته. "كل هذه المعرفة تفوق قدرتي، كل تلك الأصوات والعوالم الأخرى... كل تلك الحيوانات

تراجعت هيلينا، واختفت في الظلام.

نهضت من مكاني وطويث لوح الويجا، وأخفيته في علبة، وكذلك حملت معي المؤشر المعدني، ورميتهما في حقيبة يدي.

سمعت بعض الأصوات في الخارج، أدركت حينها أن باب الشقة مفتوح. حملت حقيبتتي وخرجت إلى هناك، فرأيت هيلينا تسير في الرواق تحت الظلام، أمام نظرات الجيران الذين خرجوا ليعرفوا سبب انقطاع التيار. كانت تمشي بعقة من دون الالتفات إلى أي منهم.

تبعثها بسرعة: "سيدة ستون". لم تلتفت إلي. كانت تتجه نحو السلم. "أوقفوها، ستؤذي نفسها". أمرت الجميع، لكن وسط هذه الفوضى، ما كان أحد منهم يفهم ما يحدث، أو ما سيحدث بعد لحظات حتى. تبعث هيلينا بسرعة، لكنها كانت قد وصلت إلى الدرابزين الحديدي.

سمعت صوت الارتطام.



رأيثها بعد ذلك أمام ضوء الليل الخارجي المتدفق من البوابة الكبيرة. كانت مجرد ظل أسود راقد فوق الأرضية الحجرية. استلقت إلى جوار نقش اليعسوب الكبير، في الحلقة التي تنتصف البهو.

في وقت لاحق من تلك الليلة، كانت هناك أضواء عديدة تطوق المدخل، إلا أن هذا ما كان ليُرضي أحداً، وبسرعة اختفت كل الأضواء التي من شأنها أن تزيد سمعة المبنى سوءاً. يعلم الجميع أنني أنا آخر من كان برفقة تلك المرأة، لكنني لم أُنح الحقيقة لأحد، ولا حتى رجل الشرطة الذي جاء ليتحدث إلي. طرحوا علي بعض الأسئلة على مرأى من أعين الجيران، ثم انتقلوا إلى طرح الأسئلة على جيران هيلينا ستون.

سألت الشرطي: "هل... هل ماتت؟"

رمقني بنظرة ارتياب، ثم حاول أن يكتم ضحكته الطفولية، رغم جدية الموقف: "لم تسقط من ارتفاع كبير، وستكون غالباً مصابة برضوض، أو بكسور في أسوأ الأحوال. إن جسدها لن يتحمل هذه الضربة، فهي مسنة. أعتقد بأنها ستكون بخير قريباً".

لماذا ظننت بأنها ماتت؟ لقد حملوها أمامنا إلى الإسعاف، ولم يغطوا وجهها الدامي حتى.

وقف بران إلى جوارى معظم الوقت، وحاول أن يربّت على كتفي، وهذا أقل ما يقّده لي في تلك اللحظة، ثم ظهر فيلاسكو أيضاً برفقة بران. "سيدة روزوود، تبدين مرتعبة". علق الرجل الغريب. كان الزوال قد محا ملامح وجهي، والكهرباء ما تزال منقطعة، حتى بعد أن غابت الشمس. "ما الذي حدث هنا؟"

قلت له: "لا أعرف".

عرفت أن الجميع سيشعرون بفضول مماثل، لمحت مارثا أيضاً بعد ذلك. طلبت من بران أن نرحل بسرعة قبل أن يستنزف هذا كل قدرتي على التحمل. أشعر بالخوف كلما تذكرت ما حدث اليوم. صعدنا السلم متجاوزين ظلال الجيران الغرباء والمألوفين حتى.

سبقت بران إلى قلب الشقة، وكان الظلام حالكاً، فقلت له: "سأجلب بعض الشموع". تبعني هو بينما كنت أبحث في الجرارات الموجودة أسفل التلفاز.

"ماذا كنتِ تفعلين عندها؟" سألتني.

قلت كاذبة: "دعشتي عدة مرات إلى شقتها، وعرضت علي أن تقرأ لي الطالع".

"تقرأ الطالع؟ هل فعلت هذا معكِ؟"

قلت: "نعم، لديها بعض الأوراق التي تساعدنا في قراءة الطالع. تقابلنا بالصدفة في البهو، وأبدت استعدادها لاستقبالنا بعد ذلك".

"بدون أي معرفة سابقة؟"

قلت: "إنها سيدة ودودة، وأبدت ترحيبها بي. إنها جارتنا يا بران".

"أنتِ لا تخبريني بأي شيء جديد، أنا أعرف من تكون، ويبدو من الواضح أنها جارتنا بالفعل". كان يسخر مني، ويحاول أن يخفي انفعاله المزيف. "لماذا قد تقرأ لكِ الطالع؟ لماذا يحدث هذا معنا اليوم؟ ما الذي دفعها إلى محاولة الانتحار؟"

لمع وجهه على ضوء لهب الشمعة "حين تستيقظ، يمكنك رؤيتها

في المستشفى. اطرخ عليها هذا السؤال حينها، لأنني لا أعرف دوافعها ببساطة".

"لماذا كل هذا الغضب؟"

صحت: "لست غاضبة.. أنا خائفة!".

"ومَ تخافين؟ لماذا ما يزال كل هذا الخوف يحيط بك يا إيسيا".

حملت الشمعة معي، وببيدي الأخرى أبقيث حقيبة يدي الثقيلة، اتجهت بعيداً عنه، أردت أن يتلاشى من أمامي. "بعد كل ما حدث، أنت ما تزال تجهل حقيقة الأمور". دلفت إلى غرفة النوم وأغلقت الباب، بقيت وحدي، ولهب الشمعة يتراقص بدون توقف. كانت الصور ما تزال ترتمي أمامي.

بعد عشرين دقيقة عادت الكهرباء، بينما كانت الشمعة تذوب وتكاد تنتهي. سمعت طرقات بران وراء الباب. "إيسيا، هل يمكننا أن نتحدث معاً؟" كنت حينها قد استعدت شيئاً من هدوئي، ولم أعترض على وجوده إلى جوارِي.

"أعرف أن ما حدث أثار قلقك حيالي، لكنني لا أعرف ما الذي حدث مع تلك المرأة".

رفع يده ليُعنيني عن الكلام: "لن أسألك، أريدك فقط أن تشعرني بأنني أقف إلى جِوارِك، أنا لست العدو هنا". احتضنَ يدي. "كوني واثقة من هذا". أومأت برضا. "حسناً، أخبرني فيلاسكو بأن تلك المرأة كانت تعاني من الوحدة طوال هذا الوقت، وأن الجميع يتجنبونها".

"متى أخبرك بهذا؟"

قال: "حين رأيناها راقدة هناك".

"كان عليه أن يُبدي أسفه، بدلاً من أن يخبرك بهذا".

علق بران بلهجة دفاعية. "إنه يحاول تبرير ما حدث. همسات الجيران كلها، كانت تؤكد أن السيدة ستون لم تكن سوية، ولها ماضٍ غامض هنا، ولعل هذا يبرر أفعالها. هذا هو ما جعلني أستنكر وجودك معها طوال هذا الوقت. إننا لا نعرف الجميع هنا، وعلينا أن نكون حذرين أكثر". لم أعترض، لكيلا نبدأ في جدال آخر. "الأوراق الجديدة ما تزال في الخارج، يمكنك قراءتها متى أردت ذلك".

"سأحاول".

ما كنتُ لأنجح، ما تزال الظلمة تحيط بي رغم عودة الكهرباء. ترابط الأحداث كان يخيفني حتى هذه اللحظة: حديث جون لازاروس، انهيار السيدة ستون، وانقطاع التيار. كل تلك الأشياء بدت كعوامل لمشهد مرعب، ما زلتُ أحاول تقبُّل حدوثه.

قُبيل وقت العشاء حاولتُ العودة إلى أوراق بران، لكنني لم أتمكن من تجاوز الصفحات الأولى من الأوراق التي تركها، رغم أن كل شيء بدا واعدًا فيها، لكنني شعرتُ بشيء ما يقبض عليّ. تعجبتُ من قدرته على التعايش مع ما حدث، كما لو أن الأمر مألوف بالنسبة له. هذا كان ينطبق على الجميع هنا، كلهم قادهم الفضول، وليس الاكتراث لحال هيلينا.

بدا الصمت الممزوج بصوت آلة الكتابة كثيباً بالنسبة إليّ. حين

تأكدت من أن بران عاد إلى العمل بجدية، حملت لوح الويجا والأسطرلاب، وصعدت إلى العلية، ثم أفرغت كل الأشياء الهامة في صندوق واحد. كنت أخطط لنقلها إلى مقر ساوث باي، والاطلاع عليها مع بن، لكنني قبل هذا لم أتمكن من منع نفسي من الاطلاع على كل تلك الأشياء مرة أخرى.

تركض أشرطة الفيديو في الصندوق الورقي، بالإضافة إلى الصندوق الخشبي الذي احتوى على مذكرات لازاروس والأسطرلاب. أثناء تفتيشي بين الأشياء من جديد وجدت كتاباً أسود بغلاف مقوى وبورق مصفر في صندوق الأدوات الغريبة التي امتلكها جون. في الأبعاد الحقيقية: التنقيب في المصادر الأولية.

كلارك. س. بوروز.

رمى الكتاب في الصندوق بشكل عشوائي، من دون حتى الاطلاع على محتواه. كان الليل قد منعني من التفتيش بوضوح، والشموع التي استعنت بها لم تكن كفيلة ببث إحساس الأمان في داخلي. كانت الأصوات التي تخترق الجدران غريبة: مزيج من حركة المياه في الأنابيب، وبعض من أصوات السكان، ونغمات أخرى كالهمس، لا يمكنني فهم معناها.

هبطت بسرعة وأغلقت باب العلية، ثم حملت الصندوق معي إلى غرفة المعيشة. استعنت بجهاز التشغيل، لأرى محتوى تلك الأشرطة القليلة التي وجدتها في الصندوق. دفعت إحداها إلى قلب الجهاز، وانتظرت أن تتغير الصورة السوداء المضيئة.

ظهرت أمامي صورة ثابتة لشقتنا، لكن أثاثها مختلف، وكذلك لون الستائر والجدران. تحركت الصورة بشكل مفاجئ، وصاحبها صوت حفيف مزعج. تحركت العدسة باتجاه المدخل الرئيسي، ثم همس صوت أحدهم: "ما يحدث هنا حقيقي، إنها هنا عند المدخل. هذا يحدث كل ليلة". تمّ تقريب الصورة، ليتضح الضوء أسفل الباب، كانت هناك حركة خفيفة أسفل الباب، تحجب الضوء الخافت في الممر. "هذا يتكرر كل ليلة. أعرف أنها تعود لأنّ هناك اتفاقاً يجب أن يكون بيننا". صمت قصير يخالطه صوت أنفاس المصور. "هناك وعد بيننا". يتحرك الظل أسفل الباب من جديد، وتنتهي اللقطة.

تتحول الصور بشكل عشوائي إلى مناظر أخرى.

حجرة مظلمة، وأصوات همهمات. ثم يهمس أحدهم: "ها هم هنا؟ كنت أعرف بأن الأمر حقيقي، أردت أن أوثق هذا، لأن الجميع بات يتصوّر أنني مجنون، وكل هذه الأشياء لا تحدث في الحقيقة". صوت ارتطام وصدى قوي، ثم ينتهي المقطع.

تتغير الصورة إلى منظر خارجي.

إنها حديقة، المكان ذاته الذي زرته بصحبة جوليا ماكنيل.

تتحرك الصورة بشكل مزعج.

تتوقف اللقطة، ثم تستدير الكاميرة، ليظهر وجه لازاروس أكثر وضوحاً. بدا شاحب الوجه، وعيناه محاطتان بالسواد. يتلفّ الرجل حوله، ثم ينظر إلى العدسة مباشرة. "أنا هنا من جديد. كان عليّ أن أوثق تلك الأشياء، إلا أن الأمر يطاردني في كل مرة. إنه يعيش معي

في تلك الشقة، لكن لا أحد يُصدق! جيراني يعتقدون بأنني أفقد عقلي، لكن...".

تحيط به أصوات أطفال، ثم يحل الصمت.

"من يجد هذا، يجب أن يعرف أن ما حدث لم يكن مجرد تخیلات. أنا أحاول توثيق كل شيء أعثر عليه، وسأثبت للجميع بأنهم موجودون. صوت النداء يتردد في أذني، وهذا يقودني نحو الهلاك. إنه لا يتوقف، ولا أجد أي حل آخر لإسكات هذا النداء".

ظهر بعض التشويش في الصورة، ثم تلاشت لیتبعها صوت ضوضاء حادة اخترقت أذني.

لم يتوقف الصوت، ولا غرابة اللون الرمادي في الصورة.

كنت أرى شيئاً ما يتشكل في تلك الضوضاء المضيئة أمامي. وجه غريب يحرق بي. إنها امرأة بلامح مبهمه وعين جادة، تحاول اختراق الصورة لتقفز إلي. فتحت فمها، فازدادت غرابة الصوت أكثر فأكثر. ضغطت على زر الإيقاف، ولم تتعطل الصورة.

أخرجت الشريط، فظهرت صورة بيضاء أمامي.

راح قلبي ينبض بعنف أكبر، ويدي ترتجفان. "لن أستطيع القيام بهذا وحدي". همست محدثة نفسي. تأكدت من أن بران لم ينتبه إلى ما أفعله هنا. أخذت الشريط، وأعدته إلى الصندوق. رحت أعبت من جديد بمذكرات جون لازاروس، ورأيت أيضاً صورة عشوائية لامرأة بتاج غريب، وبرداء يغطي معظم أجزاء جسدها، إلا أنه تمكن من تصوير ملامح إنسانية لها.

عادت، وهذه المرة كنت أتوقع لقاءنا مرة أخرى.
إحساسي بالأمان يتلاشى، ولعلها تكون خلاصي،
بقدر ما أربعتني. لقد وعدتني بأنني أستطيع العودة
إلى لونيور مرة أخرى.

كلما قلبت تلك الصفحات، ازدادت غرابة الصور أمامي، وقلّت
دقتها، لأنها كانت عشوائية وعبثية، ولا معنى لكل الشظايا التي
رماها لي لازاروس هنا. أخفيت كل شيء في الصندوق، وحملته معي
إلى حجرة التحميص لأخفيه بعيداً عن عين بران.

حاولت التظاهر بأنني متماسكة طوال ما تبقى من اليوم، إلا أنني
أدركت بأنني لم أمسس طعامي. كان بران أيضاً شارد الذهن، ولم
ينتبه إلى ضعفني في تلك اللحظة، وحين أويّنا إلى الفراش، كان عليه
أن يدوّن بعض الملاحظات والتفاصيل المتعلقة بالرواية. استعنت
أيضاً بضوء المصباح الجانبي، لأقرأ فصلاً آخر من الرواية، بدون
أن نتناقش حول تفاصيله، كما لو أنّ هذه القصة مكتوبة من قِبل
شخص آخر.

أدهشني تطوّر الأحداث في فصل واحد إضافي، وتساءلت: إلى
أين سيقودنا هذا التصاعد السريع؟، وخشيت أن تُخفق الحبكة في
منتصف الرواية، ويتداعى كل شيء، لأن هذا ما يحدث مع الروايات
التي تَهَب كل قوتها للبدايات. كانت الأحداث تشير إلى لمحات غريبة
عن وجود كيان خفي وطقوس معينة وجريمة غامضة لا تفسير لها،
كل هذه الأشياء في عشرين ورقة محشوة بالكلمات بدون أي

فراغات.

"فصل آخر عظيم". هتفت، وأنا أعيد ترتيب الأوراق.

"حقاً؟"

"التصاعد سريع، وهذا يرعبني!".

قال: "إنه يرعبني أنا أيضاً، لكنني لا أجد متسعاً آخر لكل هذه الأحداث. إقماً الآن، أو أن ترابط الحبكة سيمحو كل شيء في القصة، ولن يعود بإمكانني خلق مثل هذه السرعة في الفصول التالية، حين تصبح الأمور أكثر جدية ويصبح علي بناء ترابط بين الأحداث".

تمتمت: "أرى هذا".

"سأرسل المسودة إلى لامبير غداً صباحاً".

"ستعجبه أيضاً". طرحت الأوراق، وقلت له: "سأكمل قراءة باقي الفصول غداً". أطفأ هو المصباح الجانبي، واستلقينا إلى جوار بعضنا. طال صمت بران، وبعد دقائق قليلة تغير صوت أنفاسه، فأدركت بأنه غط في النوم.

حاولت أن أنام بدوري، وما كنت لأنجح بهذه السهولة. فتسللت إلى خارج الفراش، وبحثت عن أي بقايا من أدويتي القديمة، ورغم أنني وعدت بران بأن أبتعد عنها، إلا أنني أخلفت بوعدتي، وتناولت قرصين، حتى أسرع الشعور بالنعاس.

عدت، وبعد دقائق قليلة غططت في النوم.

فتحت عيني من جديد، والظلام حولي ما يزال كما هو. كان هناك

إحساس غريزي، يؤكّد لي أنني وحدي، وحين التفث لأتأكد من وجود بران، كان نصف الفراش فارغاً. نهضت من مكاني بسرعة وناديت: "بران". وطرقت على باب حمام غرفة النوم.

"بران، هل أنت هنا". سيطر علي مفعول الدواء، وكان النعاس ما يزال يُعقّل رأسي. فتحت الباب، وكان الحمام فارغاً. تراجعته بسرعة، وخرجت لأبحث عنه، ففاجأني وجوده في قلب الممر الفاصل بين حجرات النوم. كان يقف محققاً في نهاية الممر، مولياً ظهره لي.

غطى الظلام كل النوافذ، وكان هذا يؤكّد لي أنني لم أنم إلا ساعات قليلة.

اقتربت منه، وحاولت أن ألفت انتباهه. ناديت، ثم قممت بجزء منامته. كان يقف محققاً في الفراغ. وقفت أمامه مباشرة، وأردت أن أجذب بصره نحوي، لكنه تجاهل وجودي، وظلّ على حاله بدون حراك. "بران". ناديت بنبرة أعلى، ثم ربّث على وجنته.

ارتعش جسده، وصحا أخيراً من حالة الشرود.

"ماذا يحدث؟" سألتني، وحاول أن يفهم ما الذي قاده إلى هنا.

لا أملك أي تفسير لما حدث معه، سوى أنه سار في نومه. "غذ إلى فراشك". تشبعت بذراعه، وحاولت أن أهدّئه، لكنه كان هادئاً بالفعل. "هل كنت تحلم بأي شيء؟" هزّ رأسه نفيّاً، ثم دس نفسه تحت اللحاف من جديد بكسل.

استلقيت إلى جواره، وكنت أقرب إليه هذه المرة. لم يتحمّل عقلي التفكير في أي شيء، وهذا بسبب تأثير الدواء علي. بدت اللحظة

كلها كحلم قصير، والضباب يغطي كل صورة أراها. أغمضت عيني،
وسرعان ما عدت إلى النوم.

تأكدت من أن بران ما يزال نائماً في مكانه، كان هذا هو أول ما شغل ذهني في الصباح. كنت أتساءل ما إذا كان ذاك المشهد حقيقياً، أم محض حلم! بدت الليلة الماضية كلها صعبة ومليئة بالتفاصيل التي أردت تجاوزها. كنت ممتنة لأن زوجي ما يزال نائماً، فهذا سهّل عليّ عملية نقل الصندوق من خارج غرفة تحميض الصور إلى المرآب. تركته على المقعد الخلفي، وقدت سيارتي إلى ساوث باي نيوز

حين وصلت إلى مقر الصحيفة، قالت لي كريستين: "أحدهم تأخر للمرة الأولى، هذا أسبوعك الأول، ولا يستحسن بك ترك هذا الانطباع". رأيت ساعة يدي، أدركت بأنني تأخرت نصف ساعة تقريباً. "أنا آسفة، حدث شيء ما في ريد ستون في الليلة الماضية". كانت كريستين تقف أمامي بفضول. "حاولت جازتي الانتحار". كوّرت فمها لشعبر عن تعجبها. "هي ليست جازتي بشكل فعلي، إنها تعيش في الطابق الأول. لحسن الحظ أنها هناك، لأنها لم تسقط من ارتفاع كافٍ لكي يقتلها".

"لماذا قد تفعل ذلك؟"

قلت كاذبة: "لا أحد يعرف السبب بعد".

أردت استعطافها حول تلك المسألة، وجعلها تتخلى عن الملاحظة التي تركتها في أسبوعي الأول في العمل. حرّكت رأسها بشكل سريع نحو الصندوق، ولم تسألني عنه، وأنا بدوري لم أطلعها على محتواه.

حين وصلت إلى مكتبي، كان بن هناك، وبدا هو الآخر فضولياً تجاه الصندوق الورقي الكبير.

"هناك شيء ما عليك أن تراه".

ظلّ يحدّق بي، بينما ربّث أنا على جانب الصندوق الورقي. "ما هذا الشيء؟" دفع كرسيه إلى الوراء، ونهض ليقف على الجانب الآخر من مكتبي. أشار إليّ بأن أسمح له باستكشاف ما كان في الصندوق، وحين أطلّ من القمة، أدرك بأن ما هو موجود هنا، لا يجب أن يبقى هنا.

"كل هذه الأشياء تتعلّق به. كان هناك المزيد، إلا أن ما وجدته غير ذي منفعة، على عكس هذه الأشياء". لم يفهم ماهية كل هذا، فقلت: "هناك دفتر مذكرات، وبعض أشرطة الفيديو التي سجّلها بنفسه، كعرض وثائقي لحالة الشقة". أضفت بنفاد صبر: "كنث واثقة من أنّ شيئاً ما يرتبط بمنزلنا الجديد، والآن ها أنذا، أواجه شخصاً آخر، يؤكد هذه الحقيقة".

عقد يديه، وهو ما يزال يتأمل العلبة المفتوحة. "هذا يعني أنّ لازاروس لم يهرب".

"وجود هذه الأدلة لا يؤكد أي شيء".

رأيت لمحة غريبة من الحيرة والحزن على وجه بن. كان يقف أمامي كما لو أنه عالق في هذه اللحظة، لا يفهم إلى أين ستقودنا هذه الأدلة. أنا أيضاً شعرت بالحيرة، ولم أفهم ما نفع كل ما أقوم به الآن. دش يده في العلبة، وأخرج دفتر يوميات جون، وراح يتصفح

الأوراق بشكل سريع.

"هذه ليست يوميات بالمعنى الفعلي".

قلت: "إنها شيء يشبه الجنون. دون أفكاره، وبعض الأشياء التي أراد قولها". سحبته منه الدفتر، وتركته على سطح الطاولة. "أغلق هذا الباب أولاً". تراجع بضع خطوات، ودفع الباب، ثم عاد إلى الجلوس على الكرسي المتهالك المقابل لمكتبي.

قلبته الصفحات بحثاً عن بعض العلامات التي صادفها من قبل، وأشرت إليها لتكون جلية أمامه، وحتى تعلق في ذاكرته.

"ما الذي تعنيه هذه الأشياء؟"

قلت بخيبة: "ظننتك ستفطن إليها. هذه المرأة هنا، ألا تشبه لوحة جوليا ماكنيل، في معرض فريدريك؟" قلبت الصفحات، وأظهرت بعض العلامات الطفولية، وقلت: "هذه أيضاً رأيها في منزل ويلينغ، وبعضها تكرر في الصور المعلقة في المعرض".

همس بن: "إلى ماذا يقودنا هذا؟"

"ثلاثتهم عاشوا في المكان ذاته. جوليا وجون، كانا على معرفة بويلينغ. وكالفن وويلينغ يتعاطى بعض الأنواع المخدرة، وعلى الأرجح هو يتاجر بها". غرقت في التفكير، ثم قلت أخيراً: "لكن جوليا لا تتعاطى تلك الأدوية، ولا يبدو لي أنها تشبه ويلينغ بأي شيء".

حين بدت عليه الحيرة، شرحت له كل شيء يتعلق بعلاقتي بجوليا، ومعرفتي بها، وأيضاً أخبرته عن تطوّلي على ويلينغ. كلاهما كانا جزءاً جانبياً من القصة، واللغز الحقيقي بالنسبة لنا هو جون

لازاروس. راح بن يعبت بالصندوق الخشبي، ثم أخرج القطعة المعدنية، وتأملها باستغراب.

"سترك هذا الشيء إلى وقت لاحق".

حمل أشرطة الفيديو الثلاثة، وسألني: "ماذا عن هذه؟"

"هذا هو الجزء الحقيقي" هتفت. "لم أتحمّل رؤية الصور الغريبة، أو حتى الإصغاء إلى ما كان يقوله". اعترفت سريعاً: "شعرت بالخوف".

"اتبعيني إذا". حمل بن الأشرطة، وخرج من المكتب.

تبعته إلى السلم، ثم هبطنا معاً إلى الطابق السفلي. كان المكان أقل زحاماً. وصل بن إلى حجرة المراجعة، وكان هناك جهاز تشغيل، وأرشيف مُصغّر للعروض والتقارير المسجلة. حاول الاختيار بين الأشرطة التي بحوزتنا، ثم أدرك أنها جميعاً من دون تاريخ واضح أو عنوان حتى، فدفّع أحدها بشكل عشوائي، ولم يكن هو ذاته الذي شاهدته في الليلة الماضية.

ظهرت صور أخرى أقل وضوحاً لأشخاص يعتمرون قلنسوات غريبة، ويرتدون ترنيمات بلغة لا أعرفها. لم يكن هذا المكان هو شقتنا، أو حتى بهو ريد ستون. لا يوجد أي نوافذ، بل مجرد مصابيح جانبية وأضواء شموع. تحركوا في حلقة حول شيء ما، لكنه لم يكن واضحاً.

تغيّرت الصور بسرعة، وظهرت بعض اللقطات الغريبة.

تلاشت الصور، وظهرت أصوات أكثر حدة وإزعاجاً. تغيّرت الصور باستمرار، ويستحيل أن يكون هذا هو ما جمعه لازاروس من صور،

لأنها أكثر غرابة من أن تكون مجرد لقطات عادية. توقفت الحركة المزعجة، وظهر أمامي وجه جون.

أحاط به الظلام، وكانت الصورة شديدة القرب من وجهه.

"أعلم أنك هنا، ستأتين في وقت ما. قدومك أيضاً متوقع، لأن على أحدهم أن يستجيب إلى ندائها، لكنك لست مضطرة إلى القيام بهذا. حين تعثرين على هذا يا ليسي، فقط حاولي أن تكوني بعيدة. بالنسبة إليّ، لقد اخترت الجانب الذي يبقيني في مأمن، لكنني لست واثقاً من مصيرك".

همست: "ليسي". اقتربت من الشاشة.

"لا تسأليني، كيف كان بإمكانني أن أعرف هذا، لكن بالنسبة لها، كل شيء متوقع، مثلما ظهورك الآن متوقع". انتهى المقطع بشكل مفاجئ.

"هل كان يتوقع وجودي؟ هل يعرفني؟"

سألني بن: "لماذا تعتقدين هذا؟"

"لأن والدتي اعتادت أن تناديني ليسي، ولا أحد سواها كان يناديني بهذا الاسم من قبل. لقد... لقد كان يخاطبني في تلك الرسالة".

"هذا غير ممكن".

قلت: "بل هو كذلك". رددتها بإصرار.

شاهدنا كل الأفلام القصيرة التي جمعها جون لازاروس، ومعظمها

عبارة عن صور في قلب شقتنا، حيث كان يُبقي الكاميرة في حالة مراقبة للمدخل أو للنوافذ، وفي بعض الصور بدا لي أن هناك ظلاً يحيط بالمدخل، أو يبدو قريباً جداً من جون.

تغيرت الصورة بشكل مفاجئ، وظهر فتى في بداية مراهقته. كان الصبي يتحرك بارتياح، ويتجنب النظر إلى الصورة. "هيا يا تريفور، لَوِّح للعدسة". ابتسم الطفل، ورفع خصلات شعره عن جبينه، ثم لَوِّح. كان يقف وخلفه تظهر بوضوح النوافذ الكبيرة لحجرة الطعام في شقتنا.

لم أرَ هذا الصبي من قبل في ريد ستون، ولا أعرف ما هو مصيره أيضاً.

انتهت المقاطع القليلة وتلاشى كل شيء معها، من دون أن يترك لازاروس دليلاً واضحاً على شكل الخطورة التي كان يواجهها في تلك الشقة. "هل هذا كل شيء؟" سأل بن بهدوء، ثم جمع الأشرطة أمامه، وهو يهمس: "لا يمكن أن يكون هذا كل شيء". كثر بغضب: "لا يمكن أن ينتهي كل شيء هنا!".

"ستكشف وجودنا هنا". أمرته: "اهدأ".

سحب بن نفساً عميقاً، ثم تمتم: "سأهدأ، حسناً..."

"لِمَ أنت غاضب إلى هذا الحد؟" بحركة سريعة من رأسه أعلن أنه يمتنع عن الإجابة، ولعله لم يكن يمتلك سبباً حقيقياً يدفعه إلى كل هذا الانفعال، أو أنه أراد الاحتفاظ بالحقيقة لنفسه. "كنا قد اتفقنا على أن نبوح لبعضنا بكل ما نعرفه".

"أدليث بكل ما لديّ بالفعل يا روزوود".

حملت أنا الأشرطة الثلاثة، وقلث: "حسناً، إن كنت تمتلك المزيد من الوقت، هناك رحلة أخرى علينا القيام بها". غدنا معاً إلى الطابق العلوي، وتأكدت من أن كل شيء ما يزال في الصندوق، بما في ذلك مذكرات جون. طلبت من بن أن يأخذ الصندوق، ويبقيه بحوزته مؤقتاً.

تركه بن في صندوق السيارة، ثم عاد ليجلس خلف المقود. "إلى أين؟"

أغلقت صندوق السيارة بعد أن أخذت الأسطرلاب المعدني، جالت عينا مايرز في الساحة الضيقة، كما لو أنه يستكشف المكان. "هل يبدو لك المكان غريباً؟"

"على الإطلاق، لكنني لا آتي إلى هنا عادة".

بدت الساحة المحيطة بنا قاتمة أكثر من كل أرجاء ساوث باي التي زرناها من قبل. هناك أصوات أطفال، ووجوه تراقب، وتتلاشى فجأة من خلال الشرفات الضيقة للمباني الصغيرة المحيطة بنا. كانت الإعلانات أصغر حجماً من لوحات النيون الضخمة التي كانت تضيء مركز المدينة.

"تبدو متعجباً". علقت.

قال: "تحدث هنا بعض النشاطات السيئة عادة". عقدت حاجبي، ورسمت تعبير سخرية سريعاً. "لست خائفاً حتماً، ولكنني لا أعتقد أن هذا هو المكان المناسب لك".

"لي أنا؟ رأيث ما هو أسوأ خلال عملي. أنت تعرف بأنني صحافية أيضاً، أليس كذلك؟".

"أنسى هذا أحياناً، على الرغم من أنك تعملين معنا في الصحيفة". قالها ساخراً، وهو يلوي نصف شفته. "أي نوع من الصحافيات أنت؟" "عملت كاستقصائية لبعض الوقت؛ حدث هذا عندما كنت أمتلك روح المغامرة". قطعنا الرصيف معاً، وأنا أحتضن الأسطرلاب المعدني بكلتا يدي. "أتوق إلى تلك الأيام أحياناً، فلا يوجد أي شيء يكبح فضولي، سوى هذا النوع من العمل".

"ها أنتِ ذا تعملين" علّق.

قلت: "هذه الأدلة قطعت طريقي، ولم أبحث عنها".

"لولا فضولك، ما كنت ستجدين أي طرف خيط. قضيت عامين أبحث عن أي شيء يتعلق بلازاروس، وأنت وجدت بعض الإجابات خلال أيام فقط". تجاوزنا أكشاك الطعام الصيني، بعض الأزقة الضيقة التي لم نجرؤ على الالتفات إليها.

"وجدتها لأنني أعيش هناك".

توقفنا أمام المتجر السابع، ورغم أن الواجهة كانت سوداء، تعكس صورتنا أنا وبن، إلا أنني تقدمت وألصقت وجهي لأمعن النظر، وقبل أن أرى شيئاً هناك، فاجأتني ضربة قوية من خلف الزجاج. تراجعت بسرعة حتى كدت أسقط، إلا أن بن ساعدني.

فتح أحدهم الباب الجانبي، ثم خرج رجل كهل بشعر رمادي أشعث. اختنق، فتلاشت ضحكته، ثم عادت من جديد، فشاركه بن الضحك

فجأة، وضحكت أنا بدوري.

"لم أقصد إخافتك، لكنني لم أقاوم رغبتني".

قلت بتهكم: "عليك أن تتعلم السيطرة على نفسك".

"اعتقدتُ بأنك تبحثن عن شيء ما، وهو ليس هنا". قال الكهل. تراجعت وقرأت لافتة المحل، كانت كلمة بلاك هي الوحيدة المكتوبة على اللافتة بخط غريب. لم أكن جازمة، لكن هذا هو المكان الذي دلتني عليه السيدة ستون.

"ليس إن كنت أنت السيد فولر".

هتف الكهل: "ها قد عثرت علي".

"لدي شيء ما، ولا أعرف ما هو. دلتني على هذا المحل هيلينا ستون، هل تعرفها؟"

"آه، سيدة ستون. مرّ وقت طويل منذ التقينا آخر مرة. هل أنت قريبتها؟" نفى ذلك، وأخبرته بأنني جارتها فقط. دعانا إلى الداخل، وفيما كنا نتبعه، سألتني من فوق كتفه: "هل هي بخير؟"

"لست واثقة من هذا". تسلّل بحذر خلف الطاولة الخشبية، فيما انتقلت عيني إلى التحف القليلة المعروضة. كان هناك أدوات أراها للمرة الأولى، تشبه إلى حد كبير القطع التي كان لازاروس يستخدمها لصناعة حيله. "حاولت السيدة ستون أن تقتل نفسها، ولست واثقة مما إذا كانت حاولت ذلك بالفعل، أم أنها كانت تتصرف بجنون". ظلّ يحدق بي بعينين مفتوحتين على اتساعهما.

"هل حاولت، أم أنها تصرفت بجنون؟ أنا لم أفهم".

شرحت له ما حدث، وكنت أنقل بصري بينه وبين بن الذي كان يسمع هذه الرواية للمرة الأولى. كان زميلي يشعر بالدهشة، لأنني تمكنت من التواصل مع لازاروس، أما الرجل الغريب، فقد بدا له الأمر مألوفاً. "ثم حدث ما حدث، حين طلبت السيدة ستون دليلاً على وجود من يخاطبنا".

"آه، لهذا السبب لا يجب العبث مع من لا نراهم".

تدخل بن: "لكن هذه الأشياء ليست حقيقية".

قال الكهل: "هذه هي درجة إيمانك أنت. الأمر يختلف من شخص إلى آخر".

التفت نحو بن، وقلت: "تحدثنا بالفعل معه، لكنه لم يمنحنا إجابة واضحة. أخبرنا أشياء عن الملكة في الرداء القرمزي، ومكان يدعى لونيور". أخرجت الحلقة الفضية التي في جيبى، وتركتها على الطاولة الخشبية. "عثرث على هذا أيضاً، ولست واثقة مما إذا كان هذا الشيء ينتمي إلى لازاروس أم لا، لكن هيلينا أرشدتني إليك، وقالت إنك تمتلك إجابة على الأرجح".

أرعى فولر كلتا يديه على الطاولة، وراح يتأمل القطعة. "لا يجب أن نكون جزءاً من هذه القصة، لأن كل ما يحدث هنا يحدث لسبب ما". تلاشى مرح الرجل فجأة. "ليس عليك العبث بالأشياء التي تخص الآخرين يا أنسة...".

"سيدة روزوود. إيسيا روزوود".

التفت فولر إلى شريكى، فقال له: "وأنا بن مايرز".

"كلاكما. . . عليكما الابتعاد عن هذا العبث كله. هذه الفوضى للحمقى فقط". بطرف إصبعه دفع القطعة المعدنية نحونا من جديد. "خذاها وارجلا، سيكون هذا الحل الأفضل الآن".

سأله بن: "هل كنت تعرف جون؟"

"بالطبع عرفتة، وكل ما يحدث يحدث بسببه". استقام فولر، ونقل بصره بسرعة بيننا نحن الاثنان. "أنا لا أحاول إخافتكما، لكن هذه الأشياء تجعل الأمور الطبيعية أسوأ، وبمجرد إدراكها يصبح التراجع ليس من ضمن الخيارات المطروحة". شعرت بتوجس حقيقي، لكنني أردت الاستمرار. "أظن أن لازاروس عقد اتفاقاً مع الملكة القرمزية".

"ومن هي الملكة القرمزية؟" سأله بن.

رفع فولر سبابته، وطلب منا الانتظار، ثم اختفى وراء باب ضيق معتم، لا نعرف إلى أين يقود. جالت عينا بن في المكان مرة أخرى، وكشفت تعابيره عن شعوره بالغربة هنا. حين عاد الرجل، كان يحمل معه كتيباً صغيراً. لمحت العنوان الذهبي الصغير: أساطير منسية.

ترك صفحات الكتاب، تحت بقعة الضوء الجانبي، وراح يقلب بسرعة، ثم توقف أمام صورة لنصف وجه مكشوف، يرسم ابتسامة طفيفة، والجزء العلوي منه مغطى بتاج، ارتسمت فيه عين واحدة في المنتصف، ويتطاير شعرها نحو كل الأطراف العلوية لإطار الصورة.

في الصفحة المقابلة كان هناك أيضاً تفاصيل عدة، تشبه رسومات

جوليا ماكنيل، يظهر فيها هذا الكائن بصورة مصغرة، لكنه أوضح.

"الملكة في الرداء القرمزي، أو الملكة القرمزية، أو ملكة اليعسوب، كما سمّتها شعوب إفريقيا في السابق؛ إنها أسطورة، ظهرت في ثقافات عدة، وانتقلت بطريقة ما، عبر جوانب عدة من العالم، لكن لكل حضارة مسقى مختلف، ولقب آخر".

اختلفت ظلالها حول ضوء المصباح الصغير. كنا جميعاً نراقب الصفحة المفتوحة، والصورة التي كانت تراقبنا من دون أن تكون لها أي عين حقيقية.

"في شرق آسيا، كان يُطلق عليها، النجم القرمزي، لاعتقادهم بأنها نجم سقط من السماء؛ فيما اعتقد البعض الآخر أنها كائن من الفضاء الخارجي. ربما من كوكب آخر أو مجرة أخرى، لكن هذا لا يفسر كينونتها الغريبة، وقدرتها على البقاء من دون أن تكون جزءاً فعلياً من عالمنا".

سألته: "هل هذا يجعلها كائناً من بُعد آخر".

"أو شيطان". قال فولر.

"أو مجرد خرافة". علّق بن بغير رضا.

أطرق فولر. "حسناً، ها أنا أروي لك قصة ما قبل النوم في الظهيرة، لكنها مخيفة بعض الشيء". دنا من بن، وأضاف: "أنا لا أفرض عليك تصديق حكاياتي، لأنني لا أصدقها بشكل مطلق، وإن كنت قد آمنث بها للحظات".

عقد بن يديه بامتعاض، واستمرّ في الإصغاء.

"في أجزاء من أوروبا، كانوا يطلقون عليها الملكة في الرداء القرمزي، أما في الجزء الشمالي منها فكانوا يلقبونها يدرا، وهو ما لا أفهم معناه، أو سبب إطلاقه عليها. هناك من يعتقد أن هذه التسمية جاءت من الشرق المتوسط، وانتقلت عبر الصحراء إلى شمال أوروبا، وهناك من يظن أن العكس هو الصحيح". قلب الصفحة، ثم أضاف: "جامع هذه المعلومات هو رحالة سابق، كتب بعض الأخبار عن الخرافات التي طاردها، وحاول التحقيق في الأدلة التي ثبت أن الملكة في الرداء القرمزي كيان تكرر في عدة حضارات وثقافات، وأدرك بأن الأمر ذاته موجود في الهند أيضاً، وفي بعض المعابد السرية، تم إنشاء تماثيل لها، ولقبوها بأزورا، إلا أن القمع في نهاية القرن الفائت تسبب في اندثار هذه الثقافة سريعاً، وأصبحت أزورا عُرفاً سريراً ضئيلاً هناك".

"كيف وصل الأمر إلى لازاروس".

قال الرجل: "كان لازاروس فضولياً بدوره، وحين أتى إلى هنا، كانت لديه مواصفات معينة لخرافة كان يؤمن بوجودها، وقال أحياناً بأنه يحلم بها، أو يشعر بندائها له، وهذا ما جعله يتعمق في البحث عنها والإصغاء إلى النداء، ثم اشترى مني أحد الكتب الذي كان يتحدث عن نظريات غريبة، وتأكيدات لأبعاد مجهولة، وفي الكتاب تقارير عن أحداث مماثلة".

هتفت: "تأملات في الأبعاد الأخرى".

أكد فولر: "هذا هو".

"هل للكتاب علاقة بنظرية الملكة بالرداء الأحمر؟" سأله بن.

"لست واثقاً، فأنا لم أقرأه. إنني تاجر من الدرجة الأولى، وأبيع الأشياء فقط. ذاك الكتاب لم يكن مشهوراً بطبيعة الحال، ولا أعتقد بأن اسم الكاتب تكرر حتى. كانت لدي نسخة وحيدة، ولم أتصور بأن هناك من سينتبه إلى وجودها حتى".

"ماذا حدث بعد أن اشتراها".

رفع فولر حاجبيه: "ازداد جنونه، وقال لي بأن النداء حقيقي، وإنه يستطيع الوصول إلى المرأة في الرداء الأحمر، وقد التقيا ذات مرة في الميناء، في مستودع، أو شيء من هذا القبيل. . . لا أتذكر تحديداً. حين التقينا آخر مرة قال لي إنه عقد اتفاقاً مع الملكة في الرداء الأحمر، ونحن لم نكن صديقين حتى يتوقع مني أن أتقبل كل هذا الجنون. طلبت منه الرحيل، لكنه أكد بأنه سيرحل، فهذا ما طلبته منه الملكة في الرداء القرمزي، وهذا المفتاح الذي في حوزتك، هو جزء من أحجية فلكية أو شيء كهذا، يُقال إنه ينقل الأشخاص إلى حيث يريدون".

سأله بن حينها: "ومن أين حصل عليه؟"

"لا أعلم. كل ما أعرفه أن هذا الشيء يعمل كطلسم، وبإمكانه أن ينقلك إلى أي مكان آخر أنت تريده. جون لازاروس أراد أن يحقق النجاح في اتفاهه هذا، لينتقل إلى معبد لونيور، وكان يهذي ويقول إن الظلام لا يحل على ذاك المكان أبداً".

"هل لونيور مكان حقيقي؟"

قال لي: "من يعلم؟ غالباً، هو مكان تخيله الرجل حتى يشعر بالأمان".

"علق بن قائلاً: "هل تعتقد أن هذا هو ما لن نستطيع التراجع عنه؟ هل هذه هي الحقائق التي تشكل لنا التهديد الحقيقي".

"أنا لا أرغب في منحكما أي شيء تتعاملان معه بجدية، فهذا ليس هو دوري في قصتكما. في حكاية لازاروس جميعنا، لسنا الجزء الحقيقي أو المحوري. هو صاحب القصة، وهو من ترك تلك التساؤلات ليجيب عنها وحده. إن كنت تؤمن بما أقوله، أو لا تؤمن به فالأمر يعود إليك". أضاف بجدية أكبر: "طرحتما علي سؤالاً، ومنحتكما الإجابة، على الرغم من أنني في قرارة نفسي، أرفض إقحامكما في هذه المسألة، فهي لن تنتهي إلا بجعل الجنون يبدو طبيعياً".

ما عدت أفهم ما يقوله فولر، وبدا على بن نفاد الصبر. "شكراً لتعاونك معنا". حملت الحلقة المعدنية، وخرجت برفقة بن إلى الشارع من جديد.

"هل تصدقين هذا؟" سألني، فيما نحن نعود باتجاه مركبته.

"لا أعرف. أنا أعتقد أن هناك أمراً خاطئاً في كل هذه المسألة، أمراً يفوق قدرتنا على التعامل معه بشكل طبيعي. ما أراه في تلك الشقة، وما أشعر به، يقودني نحو الجنون".

"إنها في الحجرة الثالثة من جهة اليمين". قالت لي الممرضة ذلك، واكتفت بإشارة من يدها. قبضت بقوة على حزام الحقيبة المعلقة على كتفي، وفكرت في إمكانية التراجع. "سنحتاج إلى بعض البيانات". أعطتني الممرضة استمارة، وطلبت مني تعبئتها.

"هل زارها أي أحد؟"

"لا".

"أليس لها أي أقارب؟"

أفلتت الممرضة قلمها برفق، وأغلقت الدفتر الذي طلبت مني التوقيع عليه. "لا أعرفها، ولست واثقة مما إذا كان لديها أقارب أم لا. لم يسأل عنها أي أحد منذ أن وصلت إلى هنا، وهي ما تزال... غاضبة، أو منفعلة أن صُحَّ التعبير. إنها تهذي بأشياء غريبة، ولم تهدأ حتى حلول الصباح".

"ألا يوجد من يستطيع التعامل معها؟" سألت.

قالت: "يمكننا أن نطلب من شخص مختص أن يراجع حالتها، إذا ما استمر الغضب. في كل الأحوال، سيؤول ملفها إلى مصحة ما، لترى أسباب هذا التحول المفاجئ، ورغبتها في الانتحار". أشارت إليّ بحركة سريعة: "حتى الزيارات فكرنا في منعها، لكن نظرًا لأن أحداً لم يكثر لحالتها، قررت أن أمنحك هذه الدقائق القليلة، لعلها تشرح لنا أي شيء يمكننا أن نبدأ منه علاجها". على الرغم من أنها كانت تفكر بهذه الطريقة، إلا أنها لم تتبعني إلى حجرة السيدة ستون.

سرت برفقة بن حتى نهاية الممر، ثم طلبت منه أن ينتظرني في الخارج، حتى لا تتفاجأ هيلينا بوجود شخص معي. دفعت الباب برفق، وحين تجاوزت الممر القصير، رأيتها راقدة شبه خفية تحت اللحاف الرقيق. حركت رأسها تجاهي، لترى من يتطفل عليها هذه المرة.

همست: "سيدة ستون". ظلت تحقق في، كما لو أنها لا تعرفني. "أسفة لما حدث".

تردد طنين الأجهزة المعلقة فجأة، تشبعت بحزام الحقيبة بشكل أقوى، وكانت ساقي عاجزة عن الثبات تحسباً لأي حدث آخر. ظلت تحقق بي، والوهن يملأ عينيها، ثم ابتسمت تدريجياً، وراحت ابتسامتها تتسع إلى أقصى مدى تحملته عضلات وجهها. "أنت آتية في كل الأحوال".

قلت: "أردت أن أتأكد من أنك بخير". كان جسدها خفياً، والكدمات هي الوحيدة الظاهرة، هي المرسومة على وجهها الساخر الذي تريني إياه في هذه اللحظة. كنت أتوقع أن تسوء الأمور بعد سقوطها، لكن الممرضة أكدت لي أنها عانت من رضوض قوية، ولا يوجد أي كسور، أو أعراض خطيرة.

"أنت... كان قدومك متوقعاً".

"ما كنت لأتركك". أردت أن أربّت عليها، لكنني تفاجأت حين تذكرت هذه الكلمات. قالها لازاروس في شريط الفيديو المسجل. عقدت حاجبي. "ماذا تعنين؟ كيف كان قدومي متوقعاً؟"

"إن وجودك. . . متوقع يا إيليسيا". تردّد صوت ضحكها في الحجرة، كما لو أنه يتسرب فوق الأرضية، وعبر الجدران، ويخترق أذني وصولاً إلى أعماقي. أردت الرحيل، فهي حتى لا تولي أي أهمية لوجودي. اعتذرت منها، وقبل أن أراجع، مدت يدها، وقبضت على معصمي.

"ماذا تفعلين؟" سألتها بوجل. رأيت يدها المضمدة، كانت قوية، وتقبض عليّ بإحكام. "سيدة ستون، أفلتي يدي".

"ليس عليك تجاهلها. أنتِ تسمعين النداء، ولست قوية بما يكفي لأن تتصدي له".

رحت أهز يدي، حتى سقطت أصابعها على السرير من جديد. تراجعْتُ بسرعة، ثم خرجت إلى الرواق، حيث كان بن ينتظرنِي. كنت أقبض على يدي بخوف، تقدم هو ليتأكد من أنني بخير، ثم رأى العلامة الحمراء التي خلّفها يد هيلينا.

"هل هاجمتكِ؟" وضعت يدي في كفه، وتركته يرى العلامة.

"إنها. . . إنها فقط. . ." ما كان هذا أثر قبضة عادية، لأنها تركت علامة أكثر تأثيرًا على جلدي. لا أشعر بأي ألم حقيقي، لكن هذا الأثر يرعبني. "سيزول قريباً". هبطنا إلى الطابق السفلي، وهناك عرض عليّ أن يجلب لي قنينة ماء، من آلة بيع الوجبات الخفيفة.

جلستُ على الكرسي الجانبي في الممر، وحين عاد جلس هو إلى جوارِي. "ما الذي حدث هناك؟" ارتشفت بعض الماء، حتى أبدد جفاف فمي المفاجئ.

"كررت السيدة ستون العبارة ذاتها؛ وجودي هنا أمر متوقع. لا أعرف ما معنى هذا، على الرغم من أن العبارة واضحة تماماً. هل كانت تقصد وجودي في تلك الشقة؟" جلس بن بهدوء إلى جوارى، وغرق هو في أفكاره الخاصة.

سألني: "ألم تمنحك هي أي تفسير؟"

"لا. كانت تتصرف بجنون. لا يمكن أن تكون هي ذات المرأة التي رأيته في منزلها. إنها شخص آخر".

تجددت طاقتي، فطلبت من بن أن نعود إلى العمل. طوال ما تبقى من اليوم، لم نتحدث عما حدث مع فولر أو حتى هيلينا. كانت طاقتي قد بدأت تتلاشى، وكل ما أردته هو العودة إلى منزلي. تركت الصندوق مع بن، وهو لم يعترض على هذه الفكرة، لأنه كان يشعر بالفضول تجاه كل ما عثرنا عليه.

حين عدت إلى ريد ستون كان المكان يذكرني بتفاصيل الليلة السابقة. رأيت البقعة التي سقطت عليها هيلينا ستون، لكن تأثير الذكرى أصبح باهتاً بعد أن رأيته اليوم، لأن هذا السقوط لم يقتلها. اتجهت إلى المصعد على الفور، فوجدت الباب مقفلاً.

"إنه معطل". سمعت صوتاً يهتف من ورائي. حين التفث بسرعة، وجدت ألكساندر يقطع خطواته القليلة نحوي. "أنا آسف يا سيدة روزوود، لكن المصعد تحت الصيانة".

قلت بامتعاض: "أنا أعيش في الطابق الخامس؛ أنت تدرك هذا، أليس كذلك؟"

تنهد الرجل، وأبدى بعض الأسف، والخجل أيضاً. "أكرر اعتذاري لك، لكن هذه الصيانة دورية، ونحن نقوم بالأمر، مرة كل نصف عام، حتى لا تضطري إلى الصعود على السلم مرة كل أسبوع". أضاف بسرعة، حتى بث لا أفهم كلماته. "عليك القيام بهذا، وأنا أكرر اعتذاري الشديد، لكن في المساء سيتغير كل شيء". كدت أتخطى ألكساندر، وفيما كان هو يبتعد سألته: "هل تعرف السيدة هيلينا ستون بشكل جيد؟"

هز رأسه نفيًا. "الفضول يعتري الجميع هنا".

قلت لأحسن موقفني: "كنت برفقتها، حين انتابتها تلك الحالة الغريبة". أضفت هامسةً. "يقول بعض الجيران، إن السيدة مجنونة". اقترب ألكساندر خطوة واحدة، وقال بنفس النبرة: "إنها ساحرة، وهناك اختلاف كبير".

"ساحرة؟ ساحرة حقيقية؟"

تأكد من خلو البهو، ثم قال: "هذا ما قيلَ عنها، لكنني أقابلها من حين إلى آخر، وهي تتعامل معي بلطف بالغ. ما حدثَ معها أمر غريب حقاً". ابتعدَ عني، وقال: "علي إنجاز بعض الأعمال يا سيدة روزود". راقبته يخطو نحو الشمس عند المدخل الكبير، ثم اختفى.

صعدت بكسل عتبات السلم، وحين أدركت أن كل هذه الطاقة أهدرت في بداية الطريق، دفعث نفسي إلى الجري على العتبات الرخامية العارية. توقفت خطواتي فجأة، حين رأيت الفتاة التي كانت برفقة كالفن ويلينغ حين دلفت إلى شقته؛ تقف عند مدخل

الطابق الثالث. شعرت بالخوف حين رأيته، وفكرت في تجاوزها بسرعة.

قالت كما لو كانت تقرأ أفكارى: "ماذا هل ستهربين الآن؟"

"ماذا تريد منى؟"

قالت: "أنت من يريد، ولست أنا".

"ماذا عساي أريد منك". كانت أكثر ثباتاً، وتلك الحالة التي سيطرت عليها في المرة الماضية، كانت قد تلاشت. ظلت تفكر في سؤالى طويلاً. حين ابتعدت، تمكنت من تخطي السلم، ووقف كلانا في نهاية التقاطع الفاصل بين الطابق الثالث والسلم المقوس. "هل كنت تنتظريني هنا؟" أومأت مؤكدة. "هل تراقبيني؟"

"لا".

"هل حاولت اقتحام شقتي؟"

اتسعت عيناها. "لا. لا، لم أفعل".

قلت لها: "حسناً إذأ، لماذا تتصرفون بغرابة؟ أنت، ويلينغ، وأولئك الأشخاص؟". كل حركات جسدها كانت تعترف بأنها حاولت أن تراوغ. "منذ متى تقيمون هنا؟"

"يعيش كالفن هنا منذ أربع سنوات. ساعده السيد فيلاسكو في الانتقال إلى هنا، لأننا كنا نساعد في العديد من أبحاثه". أضافت: "ثم انتقلت أنا، لكنني لست مقيمة هنا بصورة رسمية، فأنا بلا أي مأوى، ووالدتي لا تريد أن تراني من جديد".

صعقني النبأ. "أي نوع من الأبحاث؟"

"إنه يحاول دراسة سلوكياتنا، أو شيء كهذا".

"هل هو من يعطيكم الممنوعات؟"

أومأت نافيةً ذلك. "لا، هو لا يفعل هذا، إنه يعطينا المال أحياناً، ولا يسألنا فيم ننفق مالنا". كورت قبضتها، واستجمعت شجاعتها لتقول لي: "هل ستتمكنين من مساعدتي؟"

"أساعدك في ماذا؟"

"إيجاد مأوى آخر". لم أفهم ما يمنعها من الرحيل، وحين سألتها قالت لي: "فيلاسكو هو من ينفق علينا هنا، باتفاق مع صاحب المعرض، لكن ذاك الرجل... فريدريك، هو من يجلب لنا الممنوعات من دون علم أحد، وهذا ما كان يساعدني في الرسم".

"هل يعلم أي أحد بهذا الأمر؟" نفت بإشارة صامتة. "هل يمكنك تأكيد هذه الحقائق؟ إن كنت محقة، فأنا سأتمكن من مساعدتك في إيجاد مأوى آخر، لكنني لا أستطيع أن أعطيك المال".

"لست واثقة مما إذا كنت أستطيع إثبات ما يقوم به فريدريك، لكنه رجل سيئ حتماً".

سألتها: "ما اسمك؟"

"باتريشيا"

"باتريشيا؟"

سألتني: "هل هذا مهم؟"

"هو كذلك. باتريشيا ماذا؟"

قالت بملل: "باتريشيا سالاتاري".

"باتريشيا، أين تعيش والدتك؟ يمكنني التحدث معها".

"لا... لا أريد".

"لم لا؟"

"لن ترغب في رؤيتي حتماً، حين رأيتهَا آخر مرة، كانت الأوضاع بيننا سيئة، وأنا لن أستطيع العودة إلى ذاك المنزل. لا تتحدثي إليها".

حاولت السيطرة على هذا النقاش، وأعلنت بحزم: "إن كنت تريدين مني أن أساعدك، فعليك أن تساعدني أولاً. أنتِ شابة جداً، على أن تختاري الخيار المناسب، ويمكنني بطريقة ما أن أحل هذه المسائل". رمته بنظرة تفقدية، وبدأ مظهري مناسباً لخطتها على الأقل.

"يمكنك الذهاب، إلى ملجأ قريب من هنا. وعدتني الأخت سيسيليا أن تساعدني، وهي تعيش في ملجأ ريفير سايد. إن المكان قريب من هنا، وربما يمكنك التحدث إليها، فهي ستصغي إليك بجدية، لأنها لا تثق بي". عضت على شفرتها السفلى، وبدأ عليها اليأس بصورة أكبر.

"سأتحدث إليها، لكنني أحتاج إلى عنوان منزل والدتك".

ارتعش صوتها. "لا أريد العودة".

"هل كانت تسيء إليك؟" أومأت نفيًا. "هل تشعرين بالذنب؟" لم تمنحني إجابة واضحة. "دعيني أجرب حلولي أنا. ستتحسن الأمور؛ فقط ثقي بي".

"٣٤ شارع مالكوم".

سألته: "هل هو مكان بعيد؟"

"أربعون دقيقة، أنه أحد أبعد الأحياء". سمعت صوت أحد الأبواب في الممر، ثم رأيت ويلينغ يخرج. ناداها، فتراجعت بسرعة: "علي الرحيل، وحين تجدين حلاً لإخراجي من هنا، عودي إلي".

"هل أنت خائفة منه؟"

رمقته بنظرة سريعة، وكان الشاب بعيداً، لا يسمع ما نقوله. "إنه يشبههم. كلهم يستطيعون سماعك في كل مكان، ولن تستطيعي الهرب منهم، إذا ما أرادوا أن يبقوك عالقة هنا".

"هل الأمر يتعلق بجون لازاروس؟ هل قتلوه؟"

"لا، لكنهم أرادوا قتل الفتاة الأخرى". تراجعت بسرعة، وحين سألتها عن الفتاة المقصودة، تجاهلت سؤالتي، واختفت برفقة كالفن ويلينغ.

وقفت في نهاية الممر أحاول استيعاب الحدث السريع، والعاث، ثم استأنفت صعودي. حين وصلت إلى الطابق الخامس، كانت طاقتي كلها قد تبددت، وبالكاد كنت أجز أنفاسي. ما إن دخلت شقتنا حتى سمعت صوت بران يقول: "لدينا ضيف".

رمى حقيبتي على الطاولة القريبة من المدخل، واتجهت بسرعة إلى غرفة المعيشة لتأكد من الضيف، وخبت سعادتي، حين رأيت لامبير يجلس أمام بران. كنت أتطلع إلى شيء من الخلاص، أو لرؤية

أحد أصدقائنا القدامى، إلا أننا أنا وبران، لم نترك أحداً قريباً من مجتمعنا القديم؛ لا أصدقاء حقيقيين، ولا أشخاصاً يهتمون لرحيلنا. كان وجود لامبير مفاجئاً، لكنني تطلعت إلى شيء آخر.

"كيف كان بإمكانكما إخفاء كل هذه الأوراق عني؟". قال وهو يشير إلى المسودة الموضوعة على طاولة القهوة. "حين قال لي بران بأنه يعمل على شيء جديد، قطعت طريقي وصولاً إلى هنا، وهذه الأوراق... إنها شيء لا يُصدق".

سألته باستغراب: "هل قرأتها كلها؟"

"لا، ليس بعد. ما قرأته كفيل بأن يقودني إلى الاستعداد لطرح هذا العمل". نقل بصره نحو بران: "هل سترسو على هذا العنوان؟" أوماً بران. "على الأغلب".

هتَفَ لامبير: "هذا عظيم، يمكنني أن أطلب من اللجنة، أن تعمل على حملة طويلة للإعلان عن العمل". حاول بران أن يقاطعه: "أعلم أنه ما يزال في طور الكتابة، إلا أن الحملة ستساعد في التخفيف من مسألة اختفائك، وتراجع الجمهور، ألا تتفق معي؟" "بلى، لكنني أقول هذا تحسباً لما سيحدث مستقبلاً".

صَفَّقَ لامبير بيديه، ثم قال: "ما سيحدث، هو أن هذا العمل سيحطم كل الأرقام السابقة. أنا واثق من أنك ستنجز شيئاً لا يتوقعه أي أحد".

"هؤن عليك، أنت لم تقرأ سوى الصفحات الأولى". علق بران.

جلسْتُ أراقبهما بصمت، وهما يتجادلان بشأن الاستعداد للكتاب، وبدأ أن بران يتطلع لأن يعلن عن الكتاب مبدئياً، رغم كل الخوف الذي اعتراه. لم يتطلع لامبير إلى الاستمرار في قراءة العمل، وبعد أن رحل كانت أوراق بران ما تزال على طاولة القهوة.

قضيت ساعات المساء أقرأ ما كتبه بران. عدت إلى حقيقة أن الرواية كانت مكتوبة ببراعة، وكلما خضتُ فيها أكثر، أدركت أن هناك مفاجأة جديدة تنتظرني في كل صفحة، إما أن يكون الأمر متعلقاً بذكاء الأحداث، أو بإجادة السرد في الحكمة.

في الفصل الخامس من القصة، وصفَ بران بعض الطقوس، التي تتعلق بكيان أنثوي خفي، يحاول منح الخلاص لبطلة القصة بطريقة ما، كانت كل التلميحات ترعبني، لكنها لم تكن دقيقة أو شبيهة بالتفاصيل التي عثرت عليها حين انتقلت إلى ريد ستون.

سألته: "ما معنى هذه الإشارات؟"

ابتسم باعتداد، كما لو أنه أحرز انتصاراً. "لا أعرف، كانت هذه الأفكار تملأ ذهني، وأردتُ أن أطرحها هنا. سيكون لها دور أكبر في الحكاية، ولكن في الثلث الأخير منها".

"هل تشكل أي معنى بالنسبة لك؟"

زَمَّ شفتيه، وهو يحرك رأسه. "لا. ليس لها أي معنى".

"مجرد فكرة؟"

"لماذا تطرحين هذا الكم من الأسئلة حول هذه الفكرة؟" سألني بانفعال، ثم أضاف بهدوء أكبر. "هل هي سيئة؟"

"لا. على العكس، إنها غريبة فقط". لم أكن كاذبة، فوجود الفكرة يخدم أجواء الرواية، لكنه يرعبني أنا. كيف تظهر هذه المرأة في كل التفاصيل المحيطة بي؟ لماذا أصبح كل شيء حولي يتعلق بكيان غريب لا وجود له؟ عادت صورتها الغريبة تظهر في ذهني، وتحديدًا تلك الرسمة الموجودة في كتيب السيد فولر.

راح الرصيف يلمع، عاكساً أضواء الإعلانات. كان الطريق ممتلئاً، وهذا هو ما أزعج جوليا، حين رأت هذا الكم من الوجوه الغريبة. قلت لها: "أتى الشتاء باكراً هذا العام". كنت أدفعها، فيما هي صامته ومرتابة. من دون أن تعلق على ما قلته أنا. دنوت منها، وقلت: "ألا تعتقدين هذا؟"

"لا، هذه ساوث باي. الصيف حارق، والشتاء قاسٍ. لا أفهم كيف يكون حال الطقس بهذا التطرف في كلا الفصلين، من دون وجود أي اعتدال". رفعت رأسها، وسألتني: "إلى أين سنذهب؟"

"يمكننا أن نتناول الطعام في أي مكان تعرفينه هنا". عرضت عليها. "أو حتى أن نشرب أي شيء، إن كنت لا تشعرين بالجوع".

تمتت: "كنت أفضل القيام بهذا وحدي في المنزل".

"ما زلت أجهل، كيف تحصلين على المؤونة، ما دمت لا تخرجين من المنزل".

قالت بملل: "تحدثنا عن هذا من قبل، وأخبرتكِ أن ألكساندر يقدم لي أحياناً العون، رغم أنه يخاطر بترك البوابة. إنه شخص طيب، ويحب مساعدتي". رغم هذا، لم يتحدث ألكساندر عنها قط، ولا حتى الجيران أيضاً. قُبيل نهاية الطريق، توقفنا أمام أحد المطاعم الصغيرة، لأنها كانت أكثرها خلواً من الزوار.

"هل ستشعرين بالراحة هنا؟" أطرقت مؤكدة، فدفعتها إلى إحدى الطاولات، فيما كان النادل يساعدني في إفساح مسافة كافية

لكرسيها. راقبتني، وأنا أستدير، وأجلس أمامها. "هل تعرفين هذا المكان؟"

"لا، ربما هو جديد."

"ربما". كررت.

"لا أشعر بالراحة مما تحاولين القيام به يا إيليسيا. ما الأمر؟ لِمَ نحن هنا؟"

رفعت رأسي بتعجب، وقلت بنبرة دفاعية: "ظننتك تريدين قضاء الوقت معي، كنا قد اتفقنا على الخروج من حين إلى آخر". ظلت تحقق بي من دون رسم أي تعبير واضح. "ما الذي تغير الآن؟"

"لم يتغير شيء. أنا. . . أنا فقط أكره البقاء بين الغرباء". حاولت أن أفهم أسباب هذا الخوف، إلا أنها أجادت التملص من منحي إجابة واضحة. كانت ذكية، في اختيار كلماتها معي، إلى حد جعلني أتعجب من ارتعاش صوتها وكلماتها المليئة بالخوف أحياناً. هل كانت جوليا تصطنع هذا كله؟

اخترت لنفسني ولها الطعام. ازدادت غرابتها تدريجياً بعد ذلك، لكنها حاولت البقاء هادئة. "هل تسمحين لي بسؤالك؟"

"أعرف ماذا ستسألين؟"

"كيف تعرفين؟ أعني. . . ما هو سؤالي؟"

قالت: "كيف أصبث بهذا؟"

"كان هذا سؤالي، لكن إن كُنْتَ. . ."

"تعرضت إلى حادث سير، فيم كنت أقطع الطريق". تعمّدت ألا تنظر إليّ مباشرة وهي تقول ذلك، وحركتها هذه جعلتني أشك في أنها تقول الحقيقة. "لم أعرف من فعل هذا، لأنه هرب بعد أن فعل فعلته تلك، ولم تعثر عليه الشرطة".

"كم كان عُمرُكِ حينها؟"

"تسعة عشر عاماً". أضافت بأسى أكبر. "قد تتساءلين عما أشعر به الآن؛ إلا أنني لست غاضبة، ولست راغبة في الانتقام، أو حتى بمعرفة من كان ذاك الشخص". طوقت بذراعي كرسيّها، وهي تقول: "ربما كان هذا هو الشيء المقدّر لي... هذه هي حكايتي".

"هذا أفضل ما يمكن أن تقومي به، لا يحرق الحقد أي أحد سوى من يحمله".

أطرقت. "مهما كان شكل حكايتي، لن أجد أي مهرب منه. ربما أنا أجهل ما هو آتٍ، لكنني على يقين من أنه لن يكون أفضل من السابق".

"لماذا أنتِ متشائمة؟"

"لست كذلك. أنا واقعية، وأعرف أن الآلام تجر الآلام. لن تتوقف هذه الدائرة".

سألت بجرأة: "مِمّ تخافين؟ لماذا لا يمكنكِ إخباري بالحقيقة فقط. ماذا لو كنت أستطيع أن أقدم لك المساعدة؟". ثم أضفت: "لا أفهم أي نوع من أنواع الخوف الذي يحيط بك، لكنني أدرك أن هناك سراً ترفضين إخباري به، ولا أريد التطفل عليكِ، لكنني عرفت بعض

الأشياء عن تلك المرأة التي تظهر في رسوماتك"

"صه، ليس علينا التحدث في هذا".

"لماذا؟"

"لأنك لا تفهمين مدى خطورة الأمر".

"أخبريني إذا".

"لن أفعل هذا. لكل شيء أوانه يا إيليسيا". وصل الطعام، فحملت جوليا شوكتها. "أخبرتكَ بأنني كنت أفضل البقاء في المنزل على أن أقوم بهذا.

"من هي تلك المرأة فقط أخبريني؟ هل هي حقيقية؟ هل هي لعنة ما؟"

غرست شوكتها في شريحة اللحم الصغيرة، بغضب، ثم دشتها في فمها. راحت كلانا تراقب الأخرى فيما كانت هي تمضغ طعامها. ابتلعت ما في فمها بصعوبة، ثم قالت: "هذه الأشياء لا تتعلق بي وحدي. إنها مجرد خيال يطفو في ذهني، ولا أعرف من أين أتى، أو كيف بدأ".

"في ريد ستون؟ هل حدث كل شيء في ريد ستون؟"

"لا".

"متى إذا؟"

"مذ ولدت".

سألتها: "وما هي ماهية ذاك الشيء؟ ماذا يكون؟"
"لا أعرف".

قلت بانفعال: "بل تعرفين؟"
"كلي طعامك".

"جوليا، أخبريني الحقيقة. أشعر بأن هذا الشيء يسيطر عليّ، وأنا لا أعرف كيف أتجاوز هذا الخوف. الأمر أكبر مما تتصورين".
قالت بجدية مخيفة: "أنتِ من لا يدرك بأن الأمر أكبر مما تتصورين".

ظلت جوليا رافضة التحدث عن الملكة في الرداء الأحمر، وتشبّثت بهذا الصمت، حتى عدنا إلى ريد ستون. هربنا من البرد في الخارج، وبقايا المطر العالقة في الأرض. حين وصلنا إلى باب شقتها، كنت قد تركتها وحدها تحاول أن تفتح الباب.

"إليسيا". نادتني. "أعلم أن الأسوأ قادم. كان بإمكاننا أن نكون صديقتين". فتحت الباب، ودفعت كرسيها إلى الداخل. أردت إيقافها، وسؤالها عما تعنيه، لكنها أغلقت الباب بعنف، قبل أن أبلغها.

حين دلفث إلى الشقة، كان بران في انتظاري. "أحدهم اتصل بك. قال بأنه زميلك في ساوث باي نيوز". تظاهرت بالجهل، وسألته عن هوية المتصل. "بنجمن مايرز، طلب مني أن أترك لك رقم هاتفه، حتى تتمكني من معاودة الاتصال به. بدا لي أن الأمر ضروري".

"أوه، هذا غريب. هل دوّنت رقم هاتفه؟"

أشار إلى الطاولة البعيدة: "في الدفتر. هل تعرفين هذا الشخص بشكل جيد؟"

"إنه زميلي، أعني... كنا نعمل معاً على سبق يتعلق بالحفل القادم؛ أعني حفل فريدريك". أوماً بتفهم، ثم التفت نحو التلفاز من جديد. بدا هدوءه غريباً إلى حد ما. "هل كتبت اليوم بشكل جيد؟"

"نعم". أجاب باقتضاب.

"لا تبدو بخير. هل سارت الكتابة على ما يرام".

"نعم".

"نعم؟"

"أجل، ماذا عليّ أن أقول أكثر من هذا؟"

"حسناً". تراجعت، لكن هدوءه ما يزال يربكني. لم تكن من عادة بران أن يكون دقيقاً، لكنني تصورت أن اتصال بين هو ما عكّر مزاجه، أو لعله أساء فهم الأمر. عدت إلى مدخل غرفة المعيشة: "هل ترغب في الخروج؟"

رفع ساعة معصمه. "لا. لا أعتقد".

"لدينا اليوم بأكمله".

سألني: "كيف سار لقاؤك مع تلك المرأة؟"

"جوليا؟ سارت الأمور كالمعتاد".

أصدر همهمة، تنم عن عدم مبالاته. "هذا جيد". كان يتصرف

بنمطية غريبة كما لو أنه آلة.

ذهبت إلى الهاتف فورًا، وفيما كنت أراقب تصرفات بران، طلبت الرقم المدون على الورقة، وانتظرت الرنين القصير، وحين أجاب بدا ين مرتاباً، فقلت له: "هذه أنا، إيليسيا". توقعت أن يلتفت بران نحوي، أو أن يعتريه الفضول، لكنه أولى كل انتباهه لشاشة التلفاز.

"اتصلت بك، أعني... أخشى أن أكون قد تسببت لك بالإحراج".
"لا. إطلاقاً".

"قضيت يومي كله أحاول قراءة كتاب الأبعاد الحقيقية، وهناك بعض التفاصيل التي أعتقد بأنها ستكون مهمة في مسألة البحث هذه. لا أعرف كاتب هذا الكتاب، ولم أسمع به من قبل حتى، لكن يبدو لي أنه رجل هاو، مثلنا تماماً، وقضى أياماً عديدة يجري بعض الأبحاث المتعلقة بالميتافيزيقيا، والغيبيات".

"أفهم لماذا احتفظ لازاروس بالكتاب إذًا". سألته: "وما هي نتيجة البحث؟"

"ربما لا تكون هذه التقارير مهمة، لكن... هل يمكننا أن نلتقي ونناقش هذه المسألة معاً. سأجلب الكتاب معي، وأريك بعض الملاحظات التي استوقفتني".

"غداً. بعد الظهيرة. هل هذا مناسب؟"

قال: "مناسب". ثم أملى عليّ العنوان المحدد للقاء.

أنهيت المكالمة بسرعة، وما زال الأمر لا يثير اهتمام بران، أو حتى

فضوله. ما إن طرحت السماعه حتى تجدد الرنين، وفي تلك اللحظة التفث من جديد. حملت السماعه بسرعة، فناداني صوت أنعوي: "إليسيا روزوود؟"

أكدت ذلك، فقالت المرأة: "أنا أتصل بك من مشفى ساوث باي الأهلي". ما من سبب فعلي، سيقودهم إلى الاتصال بي. "سيدة روزوود، هل أنت هنا؟" "أجل. أسمعك".

"أنا أتصل بشأن السيدة ستون، هيلينا ستون".

"هل طلبت لقائي؟"

"لا، أخشى أن الأمر. . . السيدة ستون، أقدمت على قتل نفسها مرة أخرى، ولم يكن في بيانات الزوار أي شيء، سوى رقم هاتفك. كانت إدارة المستشفى تتوقع أن تنال منك أية معلومات، لأنك الشخص الوحيد الذي كان يعرفها".

كتمت فمي. ساد الصمت للحظات. "أنا. . . أنا لا أعرف. . ." قطعت عبارتي، وسألتها: "كيف حدث هذا؟ لقد كانت بخير".

"ليست لدي أي معلومات حول هذا، كل ما أعرفه، هو أن السيدة ستون ألفت بنفسها من سطح المشفى، وهذا بحد ذاته، يعتبر أمراً كارثياً بالنسبة لنا".

"هل يمكنني القدوم؟"

قالت المرأة: "لست واثقة".

"ربما يمكنني العثور على أي معلومات تتعلق بها".

حين أنهيت المكالمة، أدركت أن صوت المطر قد تجدد خلف النوافذ الزجاجية. اتجهت إلى بران، الذي كان قد غاص في الأريكة أكثر، وأخبرته بما حدث، فقال لي: "إننا لا نعرفها، دعيهم يتصرفون في هذه المسألة، من دون أن نتدخل".

"ما تقوله ليس إلا هراء". أدركت كم كان صوتي يتهدج، ما أن يخرج.

نهض بكسل من مكانه. "إليسيا عزيزتي، هذه المسألة لا تعيننا ببساطة، لا يمكنك إقحام نفسك في مسائل الآخرين كلها، كفي عن كونك فضولية". لم ينتبه بران إلى أنه كان يزمجر، حين قال تلك الكلمات الأخيرة، أربكني غضبه المفاجئ، وبدد كل كلماتي.

"ماذا حل بك؟" همس، وأنا أترجع. سحب مفتاح السيارة، وقلت لأنبئه: "سأفعل هذا وحدي على الأقل". كنت أعرف أن وجودي هناك لن يغير شيئاً، لكنني شعرت بالذنب، وما كان بإمكانني البقاء حيئذاً أنا. أردت القيام بهذا، حتى وإن كان غير ذي نفع.

عاد هو إلى مكانه أمام التلفاز، فيما قطعت طريقي نحو دليل الهاتف، وقطعت طرف الورقة التي دوّن عليها رقم بن، وخرجت بسرعة من الشقة. في طريقي إلى الخارج، اتجهت إلى مقصورة ألكساندر، وطرقت الباب طرقات قوية وسريعة.

ظهر ألكساندر من الممر المؤدي إلى الخارج. "سيدة روزوود، هل تبحثين عني؟" حين شرحت له الأمر، أبدى تعاطفه، وأظهر تعابيره

الدرامية التي تظهر سريعاً مع أي حدث. "يوسفني سماع هذا". قال أخيراً.

"هل تعرف أي وسيلة تقودنا إلى أقاربها؟ أي أحد يعرفها على الأقل؟ إن المستشفى بحاجة إلى الاتصال بأي أحد".

"ألا يمكن لرجال الشرطة القيام بهذا؟"

"ربما، لكنني أستطيع أن أختصر الوقت. ربما تعرف أنت أي أقارب لها".

قال: "كان هناك شخص يرسلها باستمرار، أعتقد بأنها كانت شقيقتها، لكنني لم أرها هنا قط. سأبحث في سجلاتي عن أي عناوين احتياطية لها، فعادة ما يدون المستأجرون بعض العناوين الاحتياطية". بحث ألكساندر في الخزانة الاحتياطية عن بعض البيانات الأخرى.

"هل يمكنني استعمال هاتفك؟"

هتفَ فيما هو يبحث: "بالطبع". أخرجت القصاصه التي تحمل رقم هاتف بن، واتصلت به من دون أن أعرف الدافع الحقيقي لهذا الاتصال.

*

تقابلنا أنا وبن عند مدخل المستشفى. كانت قطرات المطر قد تركت أثرها على ثيابه هو الآخر، فيما غطّطني بالكامل ما إن تجاوزت المسافة الفاصلة من الساحة الخارجية إلى المدخل. دلفنا إلى المبنى معاً، وكان الهدوء في الداخل لا يقل كآبة عن الصمت المحيط في

المكان بالخارج.

"حصلت على عنوان شقيقتها، إن البيانات قديمة بعض الشيء، لكنني سأترك المحاولة لهم".

"كيف حدث هذا؟"

"هذا ما يجب أن نعرفه من خلالهم. المرأة التي اتصلت بي، لم تطلعني على ما يكفي من تفاصيل، ولا أدري إن كان بإمكانهم التحدث معنا بهذا الخصوص أم لا". رأينا بعض رجال الشرطة في المكان، والفوضى التي ملأت المكان، لم تغير من الهدوء الكامن فيه، كما لو أن الجميع يتحركون من دون أي صوت واضح.

أعطيت البيانات التي معي إلى المرأة التي اتصلت بي، وطلبنا منها أن نقابل الطبيب المسؤول عن حالة هيلينا ستون. كادت أن ترفض، لولا أن بن وجد طريقته المثالية لإقناعها بالقيام بذلك، فهم الآن في حالة ضعف، وأقلامنا هي الأقوى؛ وكان عليهم أن يكسبوا تعاطف الصحافة، قبل أن تسوء هذه المسألة.

حين سعدنا إلى مكتب الطبيب، وعزفناه على أنفسنا، قال معلقاً: "إليسيا؟ هذا يبدو مثيراً للاهتمام". لم أفهم ما هو الجزء المثير للاهتمام في هذا! وقبل أن أسأله منحي ورقة مطوية، وقال: "عمرنا على هذه الورقة في حجرة السيدة ستون قبل أن يحدث ما حدث".

سحبت الورقة، وحين كشفت عن محتواها، وجدت صورة طفولية لامرأة من دون أي تفاصيل دقيقة، وخلفها زوبعة كبيرة فيما تعابيرها ترسم الاشمئزاز والحزن معاً. إليسيا، أنت متوقعة.

منحت الورقة لبْن، فقال: "أنتِ المعنية بهذا".

"لهذا السبب أعتقد بأنهم اتصلوا بك أساساً. ظهر اسمك في سجل الزيارات، وأنتِ الشخص الوحيد الذي زارها هنا". لم أفهم ما إذا كان هذا اتهاماً، أو نوعاً من التساؤل. في البداية حاولت الانتحار، خلال وجودي، والآن أقدم على قتل نفسها بشكل فعلي، بعد زيارتي لها.

"أي رسالة أرادت أن تتركها لي؟"

قال الطبيب: "لا أعلم. كنا نتطّلع إلى نقلها إلى أي مصح عقلي، لمراجعة حالتها، لكنها لم تساعدنا في إجراء أي شيء، والوقت...".

"كان بإمكانكم مراقبتها على الأقل". قال بِن معترضاً.

قال الطبيب شارحاً موقفه: "هذا المستشفى كبير، وليست السيدة هيلين الحالة الوحيدة التي ستحتاج إلى المراقبة؛ ثم إن ما حدث، كان غريباً". أضاف: "كانت يدها مقيدة في السرير، ولا نعرف كيف فكّت وثاقها، وخرجت من دون رؤية أحد. من المستحيل أن تصل السيدة ستون إلى سطح المستشفى من دون أن يراها أحد، وما زلنا نحاول إيجاد تفسير واضح لهذا".

"ستكونون بحاجة إلى تفسير، فالأمر يدينكم...".

قاطعت بِن: "هل هذا كل ما تركته لكم؟ هذه الورقة؟"

"نعم".

قُبيل خروجنا من المستشفى، كنث مضطرة إلى التحدث مع محققة الشرطة التي أتت للاطلاع على الحادثة، ورغم تأكيدات

الجميع حول ما حدث، إلا أنها استغرقت عشرين دقيقة في طرح بعض الأسئلة المتعلقة بعلاقتي بالسيدة ستون، وما تعنيه هذه الورقة. أخبرتها بكل ما أعرفه عنها، وكل ما حدث، من دون التطرق إلى مسألة لوح الويجا. أخبرتها أيضاً بما سمعته حول السيدة ستون، ولعل هذا يدعمني في حديثي مع المحققة.

دونت المرأة بعض الملاحظات، وطلبت عنوان منزلي، ورقم هاتفي، ثم سمحت لي بالرحيل. حين خرجت من الحجرة الوحيدة في نهاية رواق المستشفى، وجدت بن وحده يترقبني هناك.

"لا أفهم ما يحدث هنا".

قال: "لعل هذا يرتبط بما أردت إخبارك به".

"ما معنى هذا؟"

قال: "في كتاب الأبعاد الحقيقية، ذكر الكاتب، بأن هناك حالات انتحار كانت متعلقة دائماً ببدء غريب، وبرسائل ليست مفهومة. كان يتحدث عن أسطورة المرأة في الرداء القرمزي، وذكر بأن هناك دائماً حالات زهان وانتحار متعلقة بهذه الأسطورة". كنا نسير ببطء في الرواق المعتم، بسبب شح أضواء الفلورسنت، فيما رائحة المعقم تملأ أنوفنا.

"حالات انتحاراً".

"لو أن الكتاب معي، لأطلعك على ما ورد فيه".

عرضت عليه: "لننطلق إلى هناك إذاً".

توقف المطر في الخارج، وظلت الأرض مبللة. فرغت الشوارع من المركبات، والأرصفة من المارة، رغم أننا في نهاية الأسبوع. حين وصلنا إلى منزل بن، لجأنا إلى المطبخ، لأنه المكان الأقل فوضى، فهو عادة ما يلجأ إلى الطعام الجاهز حسب قوله.

جلب الكتاب، وأراني المقاطع التي حذّدها لازاروس. أشار بإصبعه وقال: "كان لازاروس يبحث عن تفاصيل متعلقة بالكيان ذاته. يبدو أن كاتب هذا الكتاب كان أيضاً مهتماً بدراسة هذه الأسطورة، هنا يذكر الأعراض التي كانت تدل على اقتراب كيان ازورا".

ذهان، هذيان، حمى مفاجئة، وفقدان بعض الذكريات. كان هناك شرح مفصل لبعض الأعراض، لكن معظمها كان غير منطقي.

"يحاول الكاتب أن يخبرنا بأن هذا الكيان يتسرب إلى مخيلة الشخص ببطء، ويتلاعب في ذكرياته أحياناً، أو يتسبب بحالات ذهان غريبة. يشبه الأمر استخدام الممنوعات".

حسناً، هذا لا يشبه حالة هيلينا ستون، بقدر ما كان الأمر يقودني إلى التفكير في بران، وروايته. لم يكن براندون مؤمناً بوجود أي خطر في تلك الشقة، لكن انطلاقته المفاجئة، ووجود شعور مماثل في تلك الأوراق يؤكد نوعاً ما وجود هذه الأعراض.

شعرت بالخوف تجاه بران، وما الذي سيقودنا هذا الجنون إليه. أردت تكذيب هذه الحقيقة، لأنني لن أحتمل وجود هذا الخطر حول زوجي، فيما هو لا يبالي، ولا يحاول حتى تصديق الأمر.

لم يكن أمامي متسع كبير لقراءة الكتاب، إنما اطلعت على

المعلومات القليلة التي أطلعني عليها بن. كانت جهود لازاروس، قد اختصرت عليه البحث هو أيضاً، ورغم هذا كان يتطلع إلى قراءة كل ورقة من الكتاب، وفهم كل كلمة أشار إليها الكتاب.

"هل تعتقد بأنه من الممكن أن نتحدث مع هذا الشخص؟" طويث غلاف الكتاب، وقرأت الاسم. "كلاك. س. بوروز".

"أنتِ تقرئين أفكارى". أضاف: "سألجأ إلى بعض معارفي، وأبحث عن هذا الرجل". ألقى بن نظرة سريعة على اسم دار النشر في الصفحة الأولى من الكتاب، ثم أعلن: "سأرى ما يمكنني العثور عليه غداً، وسأتصل بك ما أن أصل إلى نتيجة".

"ألن أراك في المعرض الفني؟"

أوما نفيأ: "ستقوم كريستين بالتغطية كلها". سألني بسرعة: "هل ستذهبين؟"

"حصل براندون على دعوة من أحد أصدقائه، ورغم أنني أشعر بالرفض في أعماقي، إلا أنني أشعر بالفضول تجاه فريدريك هذا. أطلعتة على تفاصيل اللقاء الذي حدث بيني وبين الفتاة في الطابق الأول، وكل ما قالتة لي عن ويلينغ وعن فريدريك. فيلاسكو، فريدريك، وويلينغ حتى؛ كلهم يثيرون شكوكي".

"فيلاسكو... المعالج؟"

"هو بعينه".

"ما علاقته بالأمر؟"

قلت: "لم توضح الفتاة ارتباطه بالأمر، لكنه هو من أجبر أولئك الشباب على الإقامة في ريد ستون، وهو حتماً الوسيط بين فريدريك وبينهم، وإلا فإن فريدريك، لن يجد سبيلاً آخر للوصول إليهم وإمدادهم بالمخدر. لا بد من وجود حلقة وصل بين الثلاثة".

"ماذا عن البواب؟ هل سيسمح بوجود هؤلاء الأشخاص، وهم بمثابة قبلة موقوتة؟". إن كانت هذه رغبة المالك الأساسي، فلن تكون لألكساندر أي حيلة.

لا معنى لكل هذه المحاولات. كانت هذه الفكرة تملؤني من حين إلى آخر، وتبدو أقرب من أي أمل آخر يمكنني أن أشعر به. لم يكن هناك إحساس بديل، يمكنه أن يطفى على العجز الذي يجرني إلى القاع. كنت أذهب نحو العدم، وأنا أرى أن كل السبل وهمية، وأنا وحدي أغرق في هذا السأم.

مضى أكثر من يوم كامل على حادثة انتحار هيلينا ستون، وخلال كل هذه الساعات الطويلة، لم يسألني بران، عما حدث لها. تلاشت سيرة هيلينا بسرعة غريبة، من دون أن يحاول أي أحد معرفة حقيقة ما حدث لها. لا أحد يتحدث عنها، أو يرجو عودتها؛ كما لو كان موتها متوقعاً.

استمرت الحياة على نفس الوتيرة، في ريد ستون، وفي البلدة بأكملها، ومع بداية الأسبوع، كان كل شيء قد تجدد بشكل مفاجئ. تعمدت أن أتجاهل مسألة موتها، طالما أن بران لم يسألني، لعل هذا يعطيني مساحة أكبر من البحث، من دون أن اضطر إلى اختراع كذبة أخرى، أتفادى من خلالها البوح بالحقيقة.

استرجع بران طبيعته بسرعة، وبدأ مألوفاً من جديد، حين انكب على الكتابة معظم ساعات نهار السبت، فيما كنت أقرأ ما تبقى من فصول روايته. كان تطور التلميحات فيها يرعبني إلى حد كبير. بإمكانني أن أتصور وجود الملكة في الرداء القرمزي، قابعة خلف أوراق هذه المسودة؛ أو أنها تستولي على مخيلة براندون بشكل تدريجي، حتى يبتلعه الجنون بشكل نهائي.

لم أناقشه في الرموز المذكورة، ولا في تحول الحبكة إلى الجانب الشرير، كان الكيان الخفي هو ما يصنع لبطة الرواية متاهة في هذا الفردوس المذكور، ويحاول إقناعها بأنه سيقودها إلى نعيمه الخاص، ورغم أن الخدعة في هذه القصة تبدو واضحة، إلا أن بطة الرواية كانت تنتصر، والبقة الصغيرة التي تمثل الشر في هذه الحبكة كانت تنمو بشكل ملحوظ. جمال الأوراق كان يسرقني، رغم هذا كان الخوف أكبر من كل شيء.

حظ النشاط بصورة ملحوظة على مقر الجريدة، وحين وصلت إلى مكتبي، كان بن في انتظاري، فتوقعت أن يكون قد توصل إلى أي شيء. "قضيت يومي كله أحاول البحث عن أي مصادر تقودني إلى الكاتب، وكل ما وجدته هو عنوان دار النشر".

"حسناً.. صباح الخير أولاً".

جلست على كرسي، ولم يستجب هو إلى التهكم. "تم إصدار الكتاب في إبريل عام ١٩٨٣م، قبل تسعة أعوام من الآن". أعطاني ورقة من صحيفة تعود إلى العام ذاته. "هذا النبأ هنا، كتبه صحيفتنا أيضاً". قرأت الكلمات المكتوبة في العث السفلي من الورقة.

حريق يلتهم الكتب.

بدأ العنوان شاعرياً، رغم بشاعة الحدث المذكور، وغرابة الصورة التي كانت تُظهر النيران وهي تبتلع مبنى حجرياً صغيراً مكوناً من طابقين. "مكتبة، ودار نشر احترقتا في يونيو عام 1983م". قلث لِن، لألخص المقالة المكتوبة: "هل هذا هو كل ما تبقى من دار

النشر؟"

"إنهم الوسيط الوحيد بيننا وبين بوروز". أردف قائلاً: "لكن الجزء الغريب، هو سبب احتراق المكتبة، ودار النشر بعد أقل من شهرين على نشر هذا الكتاب". شعرت بأن عدوى المبالغة قد انتقلت مني إلى بن. لم يكن هناك سبب يدعوني إلى التفكير بشأن هذه الحادثة، إلا أن بن كان يعتقد بأن هناك سراً خفياً، وراء احتراق المكتبة بعد نشر هذا الكتاب المغمور.

سألته: "ماذا تعتقد؟ لا يمكن أن تحدث هذه الكارثة بسبب كتاب واحد فقط".

"لا يوجد أي شيء منطقي في هذه الحكاية. موت هيلينا لا يبدو معقولاً، ولا حتى اختفاء لازاروس. كل هذا لا يحمل أي تفسير حقيقي". أشار إلى الصحيفة، وقال بإصرار: "يعتريني إحساس بالغ، بأن ما حدث كان يتعلق بمسألة نشر هذا الكتاب".

وضعت هذا الاحتمال في الحسبان، حاولت التفكير في جديته. "هل يمكن للجنة ما أن تقوم بكل هذا؟ أن تقود الناس نحو الجنون، وتضرم النيران في ذاك المكان؟ إن كانت بهذه القوة، فلماذا لا تظهر بشكل مباشر، وتفرض سطوتها؟"

"أنا لا أقول أن لعنة ما أدت إلى كل ما حدث".

سألته: "ماذا إذا؟"

"أحدهم أراد التكم على هذه الحقائق. شخص أراد إبقاء الأسرار خفية".

"من سيفعل أمراً كهذا؟"

"حين التقينا آخر مرة، أخبرتني عن السكان في ريد ستون. . . اتباع فيلاسكو، وتمويل فريدريك، وكل الأسئلة المتعلقة بالمبنى؛ ألا تقودنا إلى احتمال وجود شبكة خفية هناك؟" حاولت أن أربط الأمور، وأرى كيف تصاعدت الاحتمالات بعد أن كانت البداية هي مسألة اختفاء جون لازاروس.

"الأمر يتعلق بشقّتنا".

"لا. إن كل ما قلّته، يقودني إلى استنتاج شيء آخر. تلك الصورة الموجودة في مذكرات جون، تكررت في شقة ماكنيل، وهناك تلميحات أخرى في رسومات ويلينغ. ارتبطت حكاية ويلينغ بفيلاسكو وفريدريك، وهذا يجعل شبكة الأشخاص أكبر، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح".

"إذا، فالأمر يتجاوز جون لازاروس، وتلك الشقة. إنه يرتبط بريد ستون بشكل عام". كان محقاً، وما من ثغرة تقودني إلى الاعتراض على هذا الاستنتاج في النهاية. كل هؤلاء الأشخاص يرتبطون بسر واحد، وبران عالق بينهم، وهو غالباً يجهل حقيقة ما يحدث هناك.

"لكن ما مصلحة فريدريك، وفيلاسكو؟ ماذا يخدمان بالضبط".

قال لي: "هذا هو دورك. أنت ستذهبين إلى المعرض اليوم، ومكتب فريدريك في المكان ذاته، ربما يمكنك استنتاج أي شيء هناك". انقبضت معدتي بمجرد أن تخيلت طريقة تطوّلي. "أما فيلاسكو،

فيمكننا أن نتتبع أثره، ونعرف من الذي يساند هذا الرجل". أضاف بسرعة: "في هذه الأثناء، سأحاول أنا الوصول إلى أي أحد مرتبط بدار النشر، وأجد أي معلومة يمكنها أن تقودنا إلى بوروز".

طوال النهار لم أقابل كريستين، وعرفت بأنها قضت معظم وقتها، تحاول تغطيه الاستعدادات الأولى للمعرض، ولهذا السبب لم تظهر في مقر الصحيفة. حين عدت إلى ريد ستون، رأيت مارثا في البهو، كانت تحمل معها أكياساً ورقية.

"هل تحتاجين إلى المساعدة؟"

ترنحت المرأة، ثم قالت: "سأكون ممتنة". منحني بعض الأكياس التي أثقلت يديها. "لا أعرف كيف تمكنت من قطع المرآب، وأنا أحمل كل هذا. ما كنت لأعود، وأحمل المزيد، لذلك قررت أن أنقل كل شيء دفعة واحدة". اتجهنا معاً إلى المصعد، وضغطت أنا على الرقم أربعة.

"لقد وصلت في الوقت المناسب إذاً".

رفعت حاجبيها، وهي تبتسم. "مرّ وقت طويل، على آخر لقاء لنا، ظننت بأنك. . . اختفيت ببساطة". حاولت أن أشرح لها التطورات البسيطة التي طرأت، لكنني ظهرت بمظهر الكاذبة، فيما كانت تصغي إليّ بفضول. خرجنا من المصعد بسرعة، وسبقني هي، وطرحت الأكياس أمام الباب لتبحث عن المفتاح. "أين هو؟"

انزعته بسرعة، وفتحت الباب.

سبقني إلى الداخل، ومن دون أي دعوة منها، سمحت لنفسني بالدخول. وهتفت: "هل أترك هذه الأشياء هنا؟ أم أنقلها إلى

المطبخ؟".

خرجت بسرعة من باب المطبخ: "لا عليك، اتركها. . . اتركها".

"هنا؟ في الممر؟"

أشارت لي بيدها، وحين أدركت بطء استيعابي لأمرها، تقدمت وحاولت انتزاع الأكياس من يدي. "شكرًا، لك. لم أشأ أن أرهقك بتفاهاتي".

قلت: "لا عليك". كانت كلماتها دفاعية، كما لو أن وجودي يحطم خصوصيتها. كانت الفوضى تملأ غرفة الاستقبال الصغيرة. "سأرحل". صحت، لكي تسمعي. حين تراجعت لفتت انتباهي الدمى المحشوة القليلة. كانت تحيط بأوراق قليلة متروكة على الطاولة الخشبية في الحجرة.

تقدمت نحوها بفضول، بعد أن تأكدت من أن مارثا منشغلة خلال هذه اللحظات القصيرة. رأيت الرسومات الطفولية على الأوراق. كانت تشبه إلى حد ما، تلك الورقة التي رأيته أسفل بابي حين انتقلت إلى هنا. لم يكن لمارثا سوى ابن واحد، وهو أكبر من أن يلهو بالألوان، أو يلعب بالدمى.

أمعنت النظر في الأوراق، ورأيت صورة مصغرة لمهرج، يشبه صورة ليتل الجون التي عمرت عليها أسفل الباب. لم أنتبه إلى وقع أقدام مارثا، حتى سمعتها تقول: "آه، أنت هنا؟ ظننتك رحلت؟" نقلت بصرها بيني، وبين الأوراق، وأدركت أنني انتبهت إلى وجودها. "هذه الفوضى، زارنا بعض الضيوف بالأمس". أطلقت ضحكة مكتومة

قصيرة. "لم يسعني أن أزيل كل هذه الفوضى".

أطرقت، ولم يكن لديّ ما أقوله. سارت معي نحو الباب، قبل أن أستوعب المفاجأة الصغيرة، كنت صامتة فيما مارثا ترغب فقط في التخلص من وجودي في منزلها. أغلقت الباب، فيما كنت ما أزال واقفة أمام المدخل. سمعت صوت ضوضاء سريعة وراء الباب.

زمجرت مارثا فجأة، وكان صوتها مختلفاً هذه المرة. "أخبرتكَ أن هذا أمرٌ غير مقبول".

رأيت العديد من الوجوه الغريبة عني، عند مدخل المعرض. كان هناك احتفاء كبير من الزوار، وعدد جيد من الصحفيين، وعدسات التصوير تغطي الحدث. لم يكن الأمر بضخامة الأشياء التي اعتدت عليها في السابق، لكن هذا الكم من الاهتمام الحقيقي، أثار دهشتي.

تركنا سيارتنا، أمام المدخل، وتأبط بران ذراعي، فيما كنا نسير نحو المدخل. رأيت كاميلا لوكهارت، تسبقنا إلى الداخل، من دون أن تنتبه إلى وجودنا بالقرب منها. حين دخلنا أنا وبران، لم يستقبلنا أحد، وعلى عكس الضوضاء التي أحاطت المكان، كانت القاعات المليئة باللوحات الفنية أكره هدوءًا.

توقعت أن أرى كريستين، لكنها لم تظهر أمامي. رأيت بعض الأشخاص المقيمين في ريد ستون، إلا أن عدد جيراني الذين حضروا إلى الحفل كان ضئيلاً جدًا. ظهر فيلاسكو فجأة، ونادى: "بران، كنت أترقب ظهورك. تعال معي، سأعرفك على وليام فريدريك".

جزّ بران ذراعي، فقلت له: "سأتجول هنا".

عرف أن رغبتني تتعارض مع رغبتة هو، فأفلت يدي برضا، وانطلق مع فيلاسكو بين الحضور. أردتُ اللحاق به، لأتأكد من أن فريدريك موجود في الأسفل. أجدتُ التسلسل بين الحضور واللوحات، ثم قاطعتني لوكهارت التي ظهرت من العدم بشكل مفاجئ.

"سيدة روزوود. هل أنتِ هنا وحدكِ؟"

"أنا؟ لا. بران هنا أيضاً، لكنه ذهب إلى مكان ما".

احتضنت كفي بكتفي يديها الباردتين. "من الجيد أن أراك، نحن جارتان، لكننا لا نلتقي عادة". تذكرت أول لقاء لنا، وكيف تجاهلتني حينها. "تعالى معي، سنشرب شيئاً".

"أنا. . . في الواقع". كانت قد جرّت يدي، وما عادت تسمع عذري الذي حاولت اختلاقه. ألقى نظرة سريعة على طيف بران، لكنه اختفى حينها. التقطت كاميلاً، كأسين وقدمت أحدهما لي. وقفت يائسة، وعزائي أن تمكّني هذه اللحظات القليلة من اختلاق عذر جديد.

"حسناً، هل عاد بران إلى الكتابة من جديد؟"

"دائماً ما يفعل هذا".

قالت: "حين التقينا في منزل فيلاسكو، كان يتحدث عن بعض المشاكل التي واجهته". دارت عيناها في محجرهما: "آه، أنا أتصور حجم المعاناة التي يواجهها خلال مهنته؛ أن يصنع عالماً متكاملًا من الخيال فقط، يبدو لي أن الأمر مرهق".

"ألا يقوم كُتاب السيناريوهات بالأمر ذاته؟"

"أحياناً، لكن، هناك ورشات تُعيد صناعة العمل. عادة ما يؤول الجهد إلى شخص واحد، لكن في صناعة الأفلام، يكون هناك ورشة متكاملة تعمل على مراقبة العمل، ودقة كتابته؛ هذا على الأقل ما يحدث في أفلام الدرجة الأولى". لم تكن كاميلاً من ممثلي الدرجة الأولى، ولست واثقة من دقة معلوماتها، طالما أنها كانت تظهر في

بعض الأفلام الجيدة، والثانوية، التي لا تدوم وقتاً طويلاً في صالات العرض.

"ما الذي دفعك إلى الغياب عن الشاشات الكبيرة؟"

"أنا؟" أومأت، إلا أن سكوتها طال. راحت تبحث عن إجابة، ثم ارتشفت القليل من مشروبها. "لا يوجد سبب فعلي، أردت فقط البقاء في منزلي، والابتعاد عن كل تلك المصاييح والضوضاء المستمرة، والأوامر التي لا تتوقف. لا يمكنني أن أعيش على تجسيد أدوار أشخاص لا يشبهونني".

هناك المزيد؛ المزيد من الحقيقة، المزيد من الإجابات، والمزيد من الأسئلة. أطرقت بتفهم، ولم أخض هذا النقاش معها، رغم أن أي سؤال آخر، سيكون كفيلاً بأن يكشف فشلها، وإجابتها الكاذبة حتى. كلهم كانوا يكذبون، كل شخص قابلته هنا، يرفض أن يبوح بحقيقته.

"هل أنت بخير؟"

"آه، لقد.. شردت فقط".

سألني: "هل حقاً، كنت برفقة هيلينا، حين حاولت الانتحار".

"لقد انتحرت بالفعل". ظهرت الدهشة عليها. "ظننت أن الجميع يعرفون هذا. ماتت هيلينا في المستشفى". تذكرت رسالتها الأخيرة، وحاولت أن أبقى يدي ثابتة، إلا أن حركة الكأس المفاجئة، كشفت غضبي وخوفي من تلك الحادثة.

"لم أعلم، أنا.. أنا آسفة بشأنها". أضافت: "تلك المرأة المسكينة".

سألت: "هل كنت تعرفينها؟"

"لم أعرفها بشكل حقيقي، لكن تطفلها يجعلها مرئية بالنسبة للآخرين. لن أكذب؛ كانت ترعبني في بعض الأحيان، وأشعر بأن صدها أمر صعب". بدت قاسية، وجادة في وصفها لهيلينا. "إنها أحد الأشخاص الذين لا يغيرون الكثير في الحياة".

"إنها ميتة".

قالت كاميليا بحزم وهدوء: "وأنا أقول الحقيقة. لا يمكنها أن تختار جانباً واضحاً، ولعلّ هذا أسوأ من الموت. على الأقل كان بإمكانها أن تكون أوضح من الجميع".

"أنا لا أفهم ما تحاولين قوله".

ابتسمت. "أقول بأن عليك أن تكوني في الجانب الذي يناسبك يا سيدة روزوود، على الأقل سيناسب هذا طفلك القادم". مدت يدها، ولمست بطني بباطن كفها. "يمكنه أن يحظى بفرص أفضل، إذا اخترت السبيل الصحيح".

"أنا لست حاملاً".

"اوه، حقاً؟ ظننتك كذلك". أبقّت على ابتسامتها، وربّت على كتفي، قبل أن ترحل، وتتركني في حيرة أكبر. طرحت الكأس على الطاولة، وقطعت طريقها برشاقة بين الحضور متجاهلة وجودي.

بقيت أراقبها، وأجفلت حين قبضت يد أحدهم على كتفي من جديد. التفّث، وكدت أسكب مشروبي على فستاني. رأيت كريستين ترتدي سترة جلدية، تقف ورائي مباشرة. "هل أزعبتك؟" سألتني

بتهمك، ثم دنث مني وهمست: "الطريق سالكة الآن".
"ماذا؟"

"خطتك أنت وابن. يمكنني أن أقودك إلى مكتب فيدريك، طالما أنه منشغل مع ضيوفه". وقفت مشدوهة في مكاني، إلى أن أصرت كريستين: "هيا، لنتحرك الآن". قادتني هي بين الضيوف، وكان لديها صلاحية في تجاوزهم أكثر مني أنا. أنا غريبة، أما هي فمألوفة بالنسبة إلى الجميع. سعدنا إلى الطابق العلوي، وتجاوزنا القاعة المطلة على البحر، ثم وصلت هي قبلي إلى الباب الأكبر في نهاية الرواق.

"ماذا سأفعل الآن؟" سألتها.

قالت: "ما يمكن أن تفعله، لكن لا تغيري ترتيب أي شيء. سأكون هنا، في انتظار خروجك". تجاوزت الباب، ووصلت إلى مكتب وليام فيدريك. قفزت وراء المكتب فورًا، وحاولت التفتيش في الجرارات السفلية، وكل ما عثرت عليه هو فواتير الأشياء التي كان يتعامل بها، ومعظمها أعمال فنية، وهناك عقود لفنانين لا أعرف أسماءهم، ولم أقابلهم في حياتي.

رأيت صف الصور على الأرفف الخشبية المعلقة، إلا أنها كلها بدت قديمة، لوليام وزوجته، وصور أخرى ترافقه فيها فتاة شابة. تجاهلت تلك الوجوه الباسمة، وفتشت عن أي شيء يمكنه أن يخدمني، وعثرت في النهاية على قصاصة؛ أصغر من أن تكون رسالة فعلية.

أرى بوضوح، أنك ما تزال تحاول التلاعب بي،
على الرغم من اتفاقنا. أنت لا تريد أن نخوض هذه
الحرب ضدي أنا؛ فأنت تعرف بشكل جاد أنني أنا
الطرف الأقوى. ما زلت أتوقع منك أن تعيد لوحة
الملكة في الرداء القرمزي لي.
كاثرين.

خفنت أن من كتب هذه الكلمات، هي كاثرين رودريغيز، فهي
الوحيدة التي كانت في حالة صراع مع فريدريك، لكنني لا أعرف
الطريقة التي مكنت وليام من الاستيلاء على الملكة في الرداء
الأحمر.

في الجرار ذاته، عثرت على ملف أسود رقيق، وحين فتشته،
وجدت تقارير مصحة ساوث باي العقلية، وكلها تعود إلى ما قبل
ثلاثة عشر عاماً. في التقارير كان هناك وصف لحالة امرأة تدعى
انجيلا فريدريك، وهي نزيلة سابقة في المصح، عانت من بعض
المشاكل العقلية، إلا أن تسلسل التقارير، يوحي بأن تلك الأعراض
كانت تتضاءل مع تقدم تواريخ التقارير، لكن مصير انجيلا فريدريك
ظل مجهولاً.

فتشت بياس، ولم أجد أي شيء حقيقي في التقرير.

فتحت كريستين الباب، وهمست: "هيا، إن الضوضاء تزداد هنا،
وأعتقد أن أحدهم سيصعد إلى هنا عاجلاً أم آجلاً".

قلت بيأس: "لا يوجد أي شيء هنا".

"لن يحتفظ بالأشياء المهمة هنا، فكرة التفتيش في مكتبه تبدو غريبة".

"إنها فكرة بن". توقفت أمام سلسلة الصور المعلقة على الإطار الخشبي، ثم سألت كريستين: "هل تعرفين من هي أنجيلا فريدريك؟ هل هي زوجة وليام؟"

"لا، لقد ماتت زوجته؛ أنجيلا هي ابنته". رحت أراقب وجه الفتاة المراهقة في كل الصور، كانت تبتسم للعدسة، كما لو أنها مرغمة، إلا أنها بدت جميلة، ومألوفة إلى حد كبير. أمعنت النظر في الصور، إلى أن أعادني صوت كريستين إلى الواقع. "كانت الفتاة مريضة، وأعتقد أن هذا يتعلق بولادتها".

"مريضة؟"

أومأث مؤكدة. "أجل، تسبب نقص الأوكسجين أثناء الولادة، بإصابتها بعيب خلقي. كانت مقعدة أو شيئاً من هذا القبيل. لا يسمح فريدريك لأحد بمقابلتها، والبعض يعتقدون أن الفتاة تعيش في إنجلترا منذ سنوات طويلة". دنث مني، وقالت: "أعتقد بأنها أيضاً تسببت في موت والدتها، ولهذا السبب كان فريدريك يرغب في إبقائها بعيدة عنه طوال الوقت".

"لكن التقارير هنا، تقول إن الفتاة كانت تعاني من مشاكل عقلية، وتم إدخالها إلى مصحة ساوث باي، قبل أكثر من عقد". لم يُعر هذا الخبر اهتمامها، لأنها أرادتنا أن نترك المكتب في أسرع وقت. ألقيت

نظرة سريعة على وجه انجيلا المألوف، والذي بدا مطبوعاً في ذاكرتي قبل أن أراه حتى.

حين هبطنا إلى الطابق السفلي، كان زحام الأشخاص قد تفاقم بشكل ملحوظ، وما عاد بإمكانني أن أعثر على بران وسط كل هذه العباب الأنيقة. كلهم كانوا متشابهين إلى حد ما؛ كل الرجال لا أرى إلا ظهورهم، من دون أية وجوه حقيقية.

اختفت كريستين، وتركتني أواجه هذا الإرباك وحدي.

تقدّمت بين اللوحات المعروضة، وكنت أستعين بذاكرتي، حتى أصل إلى الحجرة التي احتوت على صورة جوليا ماكنيل. حين وصلت، رأيت اللوحة تشغل جداراً كاملاً من الأربعة جدران. لا يجاورها أي شيء. وحدها المرأة في الرداء الأحمر، كانت تقف أمام الزوابع الحمراء الخفية في قاعدة الصورة، وعلى صدرها كان اليعسوب يلمع بلون ذهبي يميل إلى الصفرة.

امتلات القاعة بالغرباء، كان الجميع يلتزمون الهدوء في حضرة هذه الصور الغريبة، والعلامات التي استطاعت أن تسرق أعينهم، ثم ظهر ويلينغ أخيراً بثيابه الرثة، ومظهره المثير للشفقة. بدا غاضباً، حين حاولت تجاوز الحضور. توقف في قلب القاعة، وصاح: "ابتعدوا جميعاً".

تلاشى صوت الهمس الذي ملأ المكان. رحنا جميعاً نحدق فيه. وقف هو أمام إحدى لوحاته، والتي كانت عبارة عن زوبعة ممزوجة من الألوان الرمادية الداكنة والأسود الذي غلّف معظم الزوايا، وبعض الزرقة التي شكلت قاعدة الزوبعة.

"إنها هناك، لكنكم لا ترونها".

جرّ يده من تحت سترته الجلدية، فراح السلاح يلمع تحت الأضواء الساطعة. تعالت صيحات النساء، وأصوات الشهيقة. تقدمت بجرأة نحوه، أردته أن يراني، لعل هذا يغير أي شيء، لكنه لم يلتفت نحوي، أو يلاحظ وجودي هناك.

"كالفن". ناديته. "توقف، لا تفعل هذا".

"ابتعدي عني".

عرضت عليه: "يمكنني مساعدتك، سأخرجك من هذا".

"أنت عاجزة عن الخروج من هذه الدائرة". أشار إلى اللوحة، وقال: "تلك الزوبعة تبتلعنا جميعاً: أنا، أنت، وأنتم جميعاً، سيكون هذا الجحيم هو مصيركم". وضع فوهة السلاح أسفل فكه. "لتكن دمائي، هي مفتاح الخلاص، وجالبة الرضا". تشبّث بالسلاح، ونادى أخيراً: "يا سيدتنا في العتمة، خذيني إليك".

أطلق النار، وتناثرت الدماء، وأشلاء دقيقة من دماغه على الزوبعة المرسومة.

تعالت الصّرخات، وتراجعث مبتعدة عن منظر خيوط الدماء التي انتشرت على لوحته وعلى الجدران، كما لو أنّ بركاناً صغيراً قد انفجر هنا. رسمت الخيوط الحمراء فناً مخيفاً على الزوبعة التي ظننت بأنها تحركت وابتلعت نفسها ببطء كعбан.

تصادمنا جميعاً، وسقط بعض الأشخاص، فيما كانت النساء

الأنبيات عاجزات عن الجري، بسبب أحذية الكعب العالي والرفيع.
استدرث، فسقط وشاحي على الأرض، وانكشف كتفي. "براندون".
صرخت. كنت أحنق، وأشعر بأن صوتاً ما يخترق أذني.

"اسمعيني". قال لي الصوت الغريب.

"بران، سرث كالأطفال".

تزاحم الزوار أمامي، وحجبوا رؤيتي. اصطدم أحدهم بظهري،
فترنحت، ثم دفعتني امرأة شقراء، ففقدت توازني وسقطت. رأيت
أقدامهم قريبة مني، فدفعت نفسي إلى النهوض، لكنني كنت أنزلق،
لأن دوازا غريباً سيطر عليّ. تجمعت عصارة معدتي، ثم تقيأتها وأنا
أذكر شكل أشلاء دماغ ويلينغ.

"أنا هنا". كان صوت أنثوي يهمس في أذني، يحاول أن ينمو في
أعماقي.

"اتركيني". قلت بيأس. ثم كدث أبكي. كان بإمكانني أن أرى لمحة
منها، صورة هائلة لظل ينمو فوق عالم غريب. كانت تلك المرأة تنهض
من بين كل الأبراج المدببة التي رأيتها في منامي قبلاً. تحركت
الزوابع المنقوشة على الأرض الحجرية، وراح صوت صراخها يعلو
كما لو أن سرباً من الغربان يحلق فوقي مباشرة.

"إليسيا". احتضنني بران، وساعدني على النهوض.

تلاشت كل تلك الأوهام. حاولت النهوض، تشبعت بيديه. طوقت
رقبته، ونهضت بسرعة. "أخرجني من هنا". كنت بكامل وعيي
ومستعدة للرحيل. لكنني تداعيت، قبل أن أصل إلى المخرج. سمعت

صوت بران ینادیني، ثم تلاشی کل شيء.

الملكة في الرداء الأحمر

"أنتِ حامل". قال الطبيب ذلك، ولم يستوعب أياً منا أنا وبران المفاجأة.

"أنا حامل؟" سألته حتى أدرك هذه المفاجأة.

"شهر. . . وثلاثة أسابيع على وجه الدقة. هذا ما تظهره التحاليل، لكن لا يوجد أي شيء دقيق". عقدت حاجبي، فلا يمكن أن يكون حملي غير دقيق، لكنه قال مصححاً: "أعني المدة، لا يمكنني أن أكون دقيقاً بخصوص المدة يا سيدة روزود، لكنكِ حامل بالفعل". غرقت عيناى بالدموع، ولم يحاول هو مواساتي، لأنه غالباً يتفهم هذه الصدمة، أو يعرف أنها دموع الفرح، لكنها لم تكن ناجمة عن إحساسي بالسعادة أبداً. كان هذا إحساسي بالحنين، ونتيجة الذكرى القوية المرتبطة ببيتري. لمسث بطني برفق، وأردت أن أشعر بحقيقة ما هو موجود في أحشائي. "عليك أن تكوني أكثر حرصاً، فحالتكِ اليوم، كانت سيئة بالفعل، وهذا خطر بالنسبة لامرأة ما تزال في بداية حملها. إن كنتِ تريدين الاحتفاظ به، فعليك أن تكوني حذرة".

هل أريد الاحتفاظ به حقاً؟

أردتُ هذا بالفعل.

راقبني بران، ولا أفهم ما إذا كان هو أيضاً يشعر بالدهشة، أم أنه سعيد لسماع هذا النبأ. "سنفعل ما في وسعنا". قال بران للطبيب. كان هدوء زوجي هو الجزء الأغرب، وحين رحل الطبيب، أفلت ضحكة طفولية، وحاول أن يلمس بطني من فوق اللحاف الأبيض.

أشرقت الشمس في الخارج، إلا أن بدايات الشتاء كان أقوى من هذا الصباح الباكر. غطت الغيوم معظم أجزاء السماء المشعة بنور الشروق، وتركت ضوءاً رمادياً باهتاً يميل إلى الزرقة. "أنا حامل". أفلت ضحكة ممزوجة بتهديج غريب. انزلت دمعة وحيدة من عيني فجأة.

"سنعوض كل شيء فقدناه". أومأت، فيما مدّ براندون يده ليزيل الدمعة التي انسابت على جانب وجهي. "ستكون الأمور أفضل في الأيام القادمة". أوليت وجهي إلى السقف الأبيض، فيما كان طيف بران ما يزال مجاوراً لي. فكرت في آخر شيء رأيته. حاولت استرداد كل المشاهد التي سبقت انتقالي إلى المستشفى.

"ماذا حدث؟" سألته.

"أحد الفنانين. . . أعتقد بأنه كان يعاني من مشكلة عقلية، أو أنه مدمن على أحد العقاقير الممنوعة". تذكرت مشهد الانتحار، وخيوط الدماء الدقيقة التي أفلتتها فجوة الرصاصة. "أقدم على قتل نفسه". أردف. حالتا انتحار في وقت واحد، وكلاهما من سكان ريد ستون.

"كان الأمر مرعباً". همست. "كان يقف أمامي". حاولت أن أمنع نفسي من البكاء مرة أخرى. تسارعت نبضات قلبي. "لقد رأيته. . . أمامي مباشرة".

"اهدئي، لا تفكري في هذه المسألة". أغمضت عيني، حتى لا تهرب دمعة أخرى. "سنخرج من هنا، ونحاول أن نزيح كل هذه المسائل بعيداً عن أذهاننا، اتفقنا؟"

"لا، لا يمكنني القيام بهذا. حين أتينا إلى هنا، كنا نحاول الابتعاد عن الأشياء التي كادت أن تدمر حياتنا معاً. أردتُ أن تمنح حياتنا معاً فرصة أخرى؛ لكنني عاجزة عن إيجاد هذه الفرصة هنا". مشد شعري، وأراد إسكاتي بأكثر طريقة أبوية. "أنت لا تشعر بمقدار الخوف الذي يعتريني طوال الوقت".

"لكننا ننجح". أجاب.

"نحن لا ننجح يا بران".

انحنى نحوي، وقال: "الكتابة، الطفل القادم، وكل النجاح الذي أراه أمامي. . . كل هذه الأشياء تحدث هنا. لا أعرف لماذا لا يمكنك رؤية هذا الرضا، الذي أراه أنا. إن حياتي هنا، هي كل ما أردته أنا، وهذا الاختيار يحقق لي كل ما أريده بالفعل يا إيسيا".

"لكن...".

"لكنك تطاردين الأوهام، والمخاوف".

بكيث، من دون أن أحاول منع نفسي هذه المرة. "لكن الرجل انتحر أمامنا مباشرة. هيلينا، قبل أيام قليلة، والآن كالفن. ألا يعير هذا خوفك؟". ران الصمت لوهلة، وعرفت أن بران لا يكثر لهذه الحقائق، لأنه يجد تفسيرات واضحة لموت ويلينغ، والسيدة ستون أيضاً.

"اهدئي، دعينا لا نتحدث في هذا الآن". استقام، ثم أضاف: "سأتحدث مع الطبيب بشأن خروجك من هنا". اختفى بران بعد لحظات من ذلك، تاركاً إياي وحدي على السرير. راقبت الفجر خلف

النافذة، إلا أن الغيوم الثقيلة منعت الشمس من الظهور.

في طريقنا إلى السيارة، كانت الشمس قد أشرقت بالفعل في الخارج، إلا أن أجواء أكتوبر كانت سيئة بالفعل. كان للهواء مزيج من رائحة التربة التي ظل المطر يهطل عليها. لم أكن قد استعدت قوتي، ولسبب ما، كنت أشعر بأنني مرهقة، رغم أنني لم أصب بأي شيء.

"إنها الأدوية التي منحوك إياها". شرح لي بران.

علقت، فيما كنت أحاول الاعتدال في مقعدي: "أية أدوية؟ أنا لم أواجه أية مشكلة. كان الأمر صادمًا فحسب". قبل أن يجيب، سألته: "هل تعرّض أي أحد إلى أذى؟"

أدار محرك السيارة. "لا. الجميع بخير. وحده فريدريك، الذي سيواجه سوء ما حدث".

أفلت ضحكة سريعة، ثم قلت: "سيواجه هذه الصعوبة في البداية فقط، ثم سيتحول الشاب إلى أسطورة الفن. لا أحد يقدر الأحياء، إلا بعد ألا يعودوا أحياء". رماني بران بنظرة سريعة. "أما بالنسبة إلى ذاك الانتهازي، فهو أيضاً سيجني أموالاً طائلة من خلال عرض لوحات الشاب المنتحر".

اعترض بران: "هذا لن يحدث".

"لك أن تتخيل كم الشائعات التي ستدور حول ويلينغ، وحول لوحاته الملعونة تلك. ستصبح ثحفاً حقيقية، فقط أمهل وليام فريدريك بعض الوقت".

تحركنا بعيداً عن ساحة السيارات الخاصة بالمستشفى. باحت عينا

بران بكل الإرهاق الذي واجهه، وحتى بعد أن اعتذرت عفا تسببت به، كان ما يزال يحمل ذات الشعور بالسعادة. كنت ممتنة له، لكنه سعيد، ولا يأبه لما أحمله من إحساس بالخزي، لأنني كنت ضعيفة تجاه نفسي.

"كاميلا لوكهارت، أخبرتني بأنني حامل في الحفل".

عقد حاجبيه: "ماذا؟"

"لمست بطني، وقالت بأنني يجب أن أختار الجانب الصحيح، حتى أضمن حياة مناسبة للطفل الذي أحمله في أحشائي". استدرت نحو بران فجأة. "كيف لها أن تعرف هذا؟". هز كتفيه، فيما أضفت: "إلا إذا كانت تتعامل مع سحرٍ ما".

"هذا هراء". قهقه بران، وهو يقول هذا.

"لكنها عَرَفَتْ بالأمر، قبل إدراكي بساعات قليلة".

قبض بران بكليتا يديه على المقبض: "إنها امرأة، والنساء يميزن أشياء لا يراها الآخرون بنفس الدقة، ثم أعتقد أن بنيتك قد بدأت تختلف بالفعل".

"تحدث، كما لو أنني لست امرأة أنا أيضاً. حملت بطفل ذات مرة، وأعرف أن الأمر لا يظهر بهذه السهولة، ولن تتغير بنية جسدي خلال هذه الأسابيع الأولى". التفث إلى الطريق. "ثم إنها لم تكن أمّاً من قبل قط، فكيف لها أن تفهم هذا؟".

حين وصلنا إلى المنزل، رمى بران مفتاحه على طاولة القهوة، وسار مترنحاً إلى حجرة نومنا. ارتدى منامته، وفيما كنت أحاول أن

أزِيل بقايا مساحيق التجميل من وجهي، كان هو مستلقياً بثبات.
"بران". ناديته، ثم استدرت حول السرير، ورأيته يغط في نوم عميق.

لن أنام، وسأبقى عاجزة عن ذلك. حاولت أن أقضي وقتي في أي شيء، لكنني عجزت عن إيجاد ما يبداً أفكاري. عدت إلى غرفة النوم، وتأكدت من أن بران لا يشعر بحركتي، فقررت أن أخرج، وأعود قبل إدراكه حتى. كانت ريد ستون في حالة من السبات، رغم ساعات الصباح الأولى.

هبطت إلى الطابق الثالث، واتجهت إلى شقة ويلينغ بسرعة.
طرقت الباب بحرص، حتى لا يزعج صوتي أياً من الجيران.
"باتريشيا، هذه أنا إليسيا روزوود". استدرت حولي، ثم عاودت الكرة.
سمعت أزيز المصباح. ألصقت رأسي على الباب الخشبي، وحاولت الإصغاء إلى أي صوت، ولكن بلا جدوى.

ربما أكون قد تخاذلت في مساعدتها، أو تجاهلت نداءها لي، وهذا هو ما يقودني الآن من جديد إلى هنا. شعرت بالذنب حيالها، لكنني الآن أشعر بالعجز. حاولت مرة أخرى بإصرار أكبر، ثم تجرأت وحاولت فتح الباب، فأنكشف الظلام أمامي.

كانت الجدران التي تغطت برسوم ويلينغ الغريبة، قد تبدلت وتغطت بأوراق الجرائد، ولم يعد هناك أي أثر واضح لرسوماته الغريبة. لم يتغير إحساسي تجاه كل شيء هنا، والخوف عالق بين هذه الجدران. سرت إلى الحجرة في آخر الرواق، ووجدت الباب

موارباً.

دققت الباب، فانكشف وجه أحد الشبان الثلاثة، الذين رأيتهم هنا يتمتمون بعبارات غريبة في المرة السابقة. تكوّر الشاب حول نفسه، ولم يلفت وجودي انتباهه.

"أين هي باتريشيا؟"

ارتجف، وكشف عن وجهه. "من أنت؟"

"اسمي إلسيا".

سألني بإيجاز: "ماذا تريد مني؟"

أنا خائفة أيضاً، ولست وحدي هنا. فكرت في الجنين العالق في بطني، وفي واجبي نحوه. أعرض نفسي وإياه إلى الخطر، وأنا لا أعرف ما يمكن أن يواجهني هنا. كان ضعف الشاب وخوفه يريحانني، لكنني لم أشعر بالأمان بعد. "لا أريد أي شيء. أنا أبحث عن باتريشيا. أين هي؟"

"رحلت".

"متى؟"

"بالأمس. لقد هربت".

سألته: "بسبب انتحار ويلينغ؟" ارتجفت أوصاله من جديد، وتكوّر حول نفسه أكثر فأكثر. "أجب على سؤالي. هل رحلت بسبب ما حدث مع كالفن؟" أطرق إيجاباً. "لماذا انتحرت؟"

"لأنها أرادت ذلك؟"

"باتريشيا؟" أوما نفيًا. "الملكة في الرداء الأحمر". أكد بإشارة صامتة. قلت بغضب: "إنها ليست حقيقية. لا يمكنها أن تدفع أحداً إلى الانتحار". راح يضحك رغم أن الدموع لم تجف فوق وجنتيه. قبضت على كتفيه، وقلت بإصرار: "استفك من هذا الوهم".

"أنتِ هي الغارقة في الوهم. من ينكر الحقائق هو الواهم، وليس المؤمن بها". كلهم يعتقدون بأن هذه الخرافة حقيقية. لا يمكن أن ينمو هذا الوهم في عقول الجميع من دون أن يدركوا حجم هذا الخداع. لكن لا يمكنني أن ألومهم، فأنا أيضاً مؤمنة بهذا الخوف كذلك.

"هل عادت إلى والدتها؟"

"لا أعلم".

أمرته: "عليك أن تخرج من هنا".

بدأ بالبكاء فجأة، وتداخلت حروف كلماته ببعضها. "لا يوجد مكان ألجأ إليه". حين عرضت عليه أن أذهب إلى ريفر سايد لتأكد من الأخت سيسيليا، بدا أن الأمر مريحاً بالنسبة له.

"حسناً ابقِ هنا، وأوصد هذا الباب، حتى أتمكن من إيجاد حل لكم". وقفث أمامه في العتمة، وقبل أن أرحل، سألته: "كم شخص يعيش هنا؟"

"لا أعرف. إنهم يأتون ويرحلون".

حين خرجت من الشقة، فكرت في العودة إلى منزلي، لكنني بدلاً

من ذلك. هبطت عبر المصعد وانتقلت من البهو إلى المرآب فوراً. قدت سيارة بران إلى ساوث باي نيوز. كنت أسابق الوقت، لأن بداية ساعات العمل كانت وشيكة.

اقتحمت ساحة السيارات الصغيرة، وترقبت ظهور بنجمن.

حين رأيت مركبته تقتحم الساحة أبدت استعدادي. جلست متوارية عن أنظار جميع المارة، إلى أن توقف هو وخرج من سيارته، ترجلت من مركبتي وقطعت طريقي نحوه مهرولة. رأيت المفاجأة في عينيه، ثم سألتني: "لماذا أنت هنا؟ اتصلت بي كريستين و...".
"قتل ويلينغ نفسه في المعرض".

أعلن: "هذا ما قالته أيضاً. ما لا أفهمه، هو لماذا أنت هنا الآن؟"

"باتريشيا رحلت". شرح له كل مخاوفي تجاه رحيلها، وكل ما يتعلق بزيارتي السابقة لشقة ويلينغ. "هناك خطر حقيقي يحيط بأولئك الشبان، وعليّ إنقاذهم، لكن أولاً سأؤكد من مكان وجود باتريشيا. عليك أن ترافقني".

"لكن...". نقل بصره نحو مدخل المبنى القرميدي. "أين سنذهب؟"

"سأخبرك ونحن في الطريق".

أسابق الوقت.

أردت فقط أن أسبق الزمن.

جلس بن إلى جواري، وحاول أن يفهم ما حلّ بي، إلا أنني لم أمتلك أي طريقة مناسبة لشرح الأمر. سردت الأحداث بترتيبها، وأخبرته عن خشيتي تجاه ما حدث مع كاميلا لوكهارت. لم يدهشه الأمر، بقدر ما تعجب من نبأ حملي بالطفل الجديد.

"أأنتِ حامل؟"

أجبت: "هذا ما قلته للتو".

"هذا هو سبب ما حدث لك في المعرض إذًا؟. ليس عليك الوجود هنا، ولا حتى تتبع أثر هذه الحكاية يا إليسيا. يجدر بك أن تكوني أكثر خشية الآن".

"فقدت ابني، حين كنت بالفعل أكثر خشية، ولن يحدث لي ما هو أسوأ". أخرسته إجابتي لوهلة، ثم سألتها: "هل تعرف أي مكان يدعى ريفر سايد؟" أوما برأسه، فطلبت منه أن يدلني على الطريق المؤدي إلى هناك. "أعتقد أن باتريشيا لجأت إلى ذاك المكان".

"لن يستقبلوها".

"لماذا؟"

"لأنها غالباً تحمل سجلاً إجرامياً. أمثالها لا يجدون مأوى مناسباً".

اعترضت: "أنت حتى لا تعرفها. قد تكون سيئة بالفعل، لكن تلك الفتاة طلبت مساعدتي، وأنا تهاونث مع الأمر. . . بل نسيته كلياً".

"وهل أنتِ ذاهبة لتساعدوها".

"سأعثر عليها أولاً".

قدتُ سيارتي وصولاً إلى المبنى الحجري العتيق. بدا هيكل المكان كأبرشية عتيقة، تحيط به ساحة من العشب الميت، وبعض الأشجار العارية. قدتُ سيارتي على الممر المرصوف بالحجارة، وصولاً إلى المبنى الأكبر. رأيت بعض الأشخاص يعبرون، ويلقون علينا نظرات ريبة.

تركث سيارتي أمام المدخل، ورافقتُ بن وصولاً إلى المدخل. كان البهو لا يختلف عن هيكل المستشفى، أو مدرسة قديمة. خلف طاولة الاستقبال الخشبية وجدت امرأة بزي الراهبات منكبة على بعض الأوراق، وحين أدركت وجودنا توقفت عن العمل.

سألني بشيء من الوداعة: "هل يمكنني أن أساعدكما؟"

"أنا بنجمن مايرز، وهذه زميلتي إيسيا روزوود". التفتت الراهبة نحوي، وجددت ابتسامتها لي. "أتينا لنسأل عن شابة، نعتقد بأنها لجأت إلى هذا المكان".

"لماذا قد تبحثان عنها؟" سألت بتوجس.

"لأننا نعتقد بأنها تحتاج إلى المساعدة".

قالت: "إذاً فهي ستنالها هنا". أضافت: "إننا نؤدي عملنا بشكل

مناسب، ثم إننا لا نستطيع إفشاء معلومات أي أحد".

"لجأت إلى هنا بالأمس. كانت بحاجة إلى المساعدة، وطلبت مني أن أتحدث مع الأخت سيسيليا حتى تقبلها هنا". تلعثمث وحاولت ترتيب حديثي. "أنا لست واثقة من أنها هنا حتى. كانت تسعى لأن تقبلوها هنا، واعتقدت بأنني قد أساعدها".

قالت المرأة: "أنا لم أفهم؛ هل هي هنا؟"

"هذا ما أتيت لأعرفه".

"لم يتم تسجيل أي حالة دخول بالأمس. في الواقع نحن لم نسجل أي حالة دخول، منذ الربيع الماضي، ويستحيل أن تكون الفتاة المقصودة هنا".

"تأكدي من هذا؛ ثدعى باتريشيا سالاتاري". رددت الراهبة الاسم، ثم أكدت لي بأنها ليست هنا على الأغلب، لأن أحداً لم يلجأ إلى المكان. "هل يمكنني أن أقابل الأخت سيسيليا. هناك العديد من الأشخاص بحاجة إلى المساعدة أيضاً".

أشارت بإصبعها إلى زاوية البهو. لم نفهم أنا وبين ما كانت تقصده، حتى رأينا ما يشبه المذبح. كومة من الشموع، وصورة لامرأة في زي الراهبات أيضاً. رأيت ما كان مكتوباً بين الشموع التي ذابت، وانطفأت كلها. قرأت اسمها، وفهمت أنها ماتت أيضاً.

"متى حدث هذا؟"

زمت شفتيها: "قبل يومين. لم. . . لم نستوعب خسارتها بعد، فهي الأكثر عطاءً هنا". جميعهم يموتون فجأة، وكل هذه الحالات خلال

أيام فقط.

سألها بن: "كيف حدث هذا".

"تقول شقيقتها بأنها سقطت من أعلى السلم. تعتقد أنها كانت تسير أثناء نومها".



"هل تفعل هذا عادة؟"

نفث بصمت، ثم قالت: "إنها امرأة قوية، وذكية. يصعب أن تكون هذه هي نهايتها. لكن... نحن لا نغير القدر في كل الأحوال."

"ماذا عن الشبان الآخرين؟ كيف يمكنني أن أساعدهم؟ إنهم بحاجة إلى مأوى".

قالت لي: "عليهم أن يكونوا هنا، وسندرس حالاتهم. المكان يمتلئ بالفعل، ونحن عاجزون عن إيجاد فرص حقيقية لمنحهم بداية في هذه المدينة. إن دام الحال على ما هو عليه، فإننا سنخسر كل شيء أيضاً". شعرت باليأس، وبقيت واقفة مكاني.

كدنا نرحل، لكنني عدت لأسألها: "أما تزال شقيقتها هنا؟"
"نعم".

"هل لي بعنوانها؟" عقدت الراهبة حاجبها. "أريد أن أقدم تعازي لها". سحبت قصاصة صفراء، ونقلت العنوان إليها. شكرها بن، وهو يلتقط القصاصة، ثم رافقني إلى الشرفة الحجرية الخارجية. وقفنا بصمت نحاول استيعاب هذا التصاعد السريع في الأحداث الغريبة.
"أنا لا أفهم ما يحدث".

أيدته: "ولا أنا. لعنة ما تصيب هذا المكان".

تكرّر شعوري بالإعياء، لكنني تمسكت باستفاقتي، وخطوت نحو السيارة. رميت مفتاحي إلى بن، وتركته هو يتولى القيادة إلى وجهتنا التالية. أعطيته عنوان منزل والدته باتريشيا، وقاد هو السيارة بحرص إلى هناك. كنت في طريقي إلى هناك قد رأيت جانباً آخر من ساوث باي. بدت أكثر شحوباً في هذا الجزء المنسي، بعيداً عن الأبراج الزجاجية القليلة، والشاطئ الذي قتله الشتاء.

"إليسيا". ناداني بن. "إن كنت مرهقة...".

قاطعته: "أنا بخير".

"خرجت للتو من المستشفى، وأنت تجوبين المدينة، بحثاً عن هذه الفتاة".

"لا أريد أن تكون باتريشيا ضحية أي جنون آخر". قطعت السيارة طريقها نحو الجزء العلوي من المدينة، وبدأت أشجار البلوج تحيطنا من كل جانب. "شعوري حيالها، لا يشبه أي حرص عادي؛ هناك غريزة ما، تقودني نحوها... نحو جميع من قابلتهم هنا".

"هذا طبيعي".

"في الوقت ذاته أنا عاجزة عن منح ثقتي لأي أحد".

قال: "لكنني هنا، يمكنك أن تثقي بي". أصبحت تلك اللحظة أكثر غرابة، وطال الصمت بعدها، ثم حاول بن أن يتجاوز هذا الموقف، فقال: "بحثت عن الناشر، وكل ما وجدته هو وريث دار النشر تلك. عرفت أن مالکها الأصلي رجل كهل، مات قبل سنوات قليلة، من دون أن يحاول إعادة إحياء دار النشر".

"هل هناك أي طريقة يمكننا من خلالها التواصل معه".

أوما: "بكل تأكيد، سأقابله بنفسي إن تطلب الأمر، وأسأله عن بوروز". بدت كل الخيوط مترامية، وكل الأدلة بعيدة عن بعضها، لكنني أشعر بالرضا، لأنني أحاول أن أجمع كل أبعاد الصورة أخيراً.

سألته: "هل كنت تعرف أن لفريدريك ابنة؟"

"يحاول وليام أن يخفي هذه المعلومة عن الجميع، لكن كل من يعيش في ساوث باي، يعلم أن للرجل ابنة، لكنها اختفت بشكل مفاجئ".

"وجدت بعض التقارير الخاصة بها في مكتبه، وصورة لها. رأيته في مكان ما، لكنني لا أعرف بعد أين تقابلنا. تعتقد كريستين أن الأب أرسل ابنته إلى خارج البلاد، ولست واثقة من هذه الاحتمالية". لم يفهم بن الغرض من هذه المعلومة، لكن جنون ابنته سيقودنا إلى حقيقة ما، لكنني لا أعرفها بالضبط.

وصلنا إلى العنوان المطلوب، وكان الحي عبارة عن منازل خشبية صغيرة متفرقة، بشرفات ضيقة من دون وجود أي مساحات تتسع للمركبة أمام المدخل. كانت الأعشاب المهمة تحيط بالبيوت، والأشجار تشكل صفاً واحداً أمام كل الواجهات.

"ها هو المنزل". أشار بن، ثم توقف.

أعلنت: "سنتحدث إلى والدة باتريشيا، ومن يعلم، لعلها عادت إلى المنزل؟"

تركنا السيارة، وسرنا عبر الممر الضيق، حتى وصلنا إلى الباب. كان هناك نافذة زجاجية وحيدة مظلة إلى جوار الباب. وقفنا متجاورين في الحيز الصغير، فيما كان بن يترقب أي استجابة. ضُغط على الجرس مرة أخرى، ثم فُتح الباب فجأة.

بدأت المرأة التي استقبلتنا مَرهقة، أكبر من أن تكون أماً للفتاة المراهقة. قلت لأتأكد من ذلك: "سيدة سالاتاري؟"

"أنا هي؟ من أنتم؟" بدت متشككة، كما لو كُنا مندوبي مبيعات.

عزفها بن على نفسه وعلي، ثم سألتها: "هل يمكننا التحدث إليك لبعض الوقت؟ إن المسألة تتعلق بابنتك". أضاف سريعاً: "باتريشيا".

"وهل لي ابنة سواها؟ هل أنتم شرطيان؟"

اعترف بن: "لا".

"إذاً ماذا تريدان؟"

"نريد التحدث إليك، الأمر جاد". قال لها.

"ما لم تكونا شرطيين، فالأمر حتماً لن يكون بالجدية التي أتوقعها، ثم إنني أعلم جيداً بأن باتريشيا لا تجلب معها إلا المشكلات، لهذا السبب ارحلا عن منزلي". تراجعت، وكادت أن تدفع الباب، لكنها قالت قبل ذلك: "لا أملك أي مال أقدمه، ولا أي تعويضات".

دفع الباب قبل أن تغلقه: "أصغي إلي، ابنتك في خطر".

"أي خطر؟"

"أصبح بإمكانك إظهار بعض الاكتراث. دعينا نتحدث بشكل أفضل إذاً". كان التحدي ما يزال ظاهراً في عينيها، وهي ترفض وجودي بشكل واضح. "أنا جارة باتريشيا، وهي بلا أي مأوى فعلي. تعيش مع بعض الأشخاص السيئين، وتحاول الخروج من ذاك المكان، لتتال فرصة أفضل، لكن لا أحد يقدم لها المساعدة".

قالت بتهكم: "وأنت هنا لإقناعي بتقديم فرصة أفضل لابنتي؟".

"لأنها تريد هذا".

تدخل بن: "ولأن ابنتك مفقودة. لا يمكننا أن نعثر عليها". أرخت يدها أخيرًا، وبدأت مستعدة للإصغاء بشكل فعلي: "إن كنت تعرفين طريقة تمكّنا من بلوغها، فإن هذا سيختصر علينا الكثير من الوقت". بدت المرأة أكثر حيرة، فساعدتها بن في التفكير: "أصدقاء؟ أشخاص آخرون يمكنها اللجوء إليهم؟"

"أنا حتى لا أعرف من هم أصدقاؤها".

دعنا إلى داخل منزلها، وبدأ المكان متهاكًا، يُفسر سبب هرب الفتاة منه. لعل باتريشيا كانت تتطلع إلى حياة مختلفة عن هذا المكان. حاولت والدتها أن تفكر في أي حل أو طريقة تقودنا إلى الفتاة، ثم راحت تتحدث بحسرة عن اعتلال الفتاة، وإدمانها.

"كانت موهوبة، عرفت بأنها ستصنع شيئاً مختلفاً ذات مرة، حتى عرض عليها ذاك الرجل مساعدته". حين سألتها عن الرجل، خانتها ذاكرتها.

"وليام فريدريك؟"

هتفت: "هو ذاك اللعين. أقنعها بأنه سيصنع منها فنانة، وحين بدأت التعامل معه ومع أتباعه، لاحظت بعض التغييرات التي طرأت على شخصيتها".

"هل بدأت تشعر بعدم الرضا من حياتها هنا؟"

أجابت: "نعم، لكن ليس هذا ما قادها إلى تعاطي الممنوعات، بل العكس هو ما حدث. حين بدأت باتريشيا بتناول تلك الأقراص الغريبة، كان بإمكانها أن تسيطر على نفسها إلى حد ما، لكنني

اكتشفت وجود تلك الأدوية، وعرفت منها أن شركاءها هم من أقنعوها بتعاطيها".

"هل كانوا مجموعة؟" سألها بن.

"نعم، كل المتدربين عند فريدريك. كان يحاول استغلال مواهب الشباب غالباً".

سألها: "إن كنتِ رأيت تلك الأقراص، فكيف يبدو مظهرها؟"
"أقراص سوداء صغيرة".

عقد حاجبيه: "سوداء؟ هذا غريب!".

كادت السيدة سالاتاري أن تبكي، فيم كانت تستذكر كل التفاصيل المتعلقة بباتريشيا. "كان ذلك العقار يقودها إلى الجنون، وأجدها مستيقظة في الليل، والفرع يسيطر عليها، معتقدة أن شيئاً ما قد اقتحم رأسها، وحين حاولت أن أساعدها على التعافي، رَفَضَتْ هذا، وحين حاولت إرغامها على العلاج من الإدمان، ازدادت قسوة، ثم قررت الرحيل فجأة".

"أل هذا السبب رفضتِ عودتها؟".

"لا. بل لأنها كانت تحاول العودة، فقط لسرقة المال مني، أو لسرقة أي شيء يمكن بيعه هنا. تختفي، ثم تعود بعد أن تتسبب بكارثة كبيرة". تنهدت، قبل أن تعترف: "عرفت أنه يصعب السيطرة عليها، وما كان لدي خيار، سوى أن أتخلى عن هذه المسؤولية".

حاولت أن أبدي تفهمي، وتعاطفي معها. "أعتقد أنها الآن، تريد

بداية جديدة... حقيقة. سأبحث عنها، وأتوقع منك اتخاذ أي إجراء لإيجاد الفتاة، قبل أن تخسريها بشكل نهائي". أرعبتها هذه الفكرة، وأبدت استعدادها هي أيضاً للبحث عن ابنتها.

حين خرجنا من منزلها، خطر بران في ذهني؛ تساءلت ما إذا كان قد استيقظ ولم يجدني، إلا أن الصباح كان ما يزال في منتصفه، ومن المستبعد أن يستيقظ بران خلال هذه الساعات القليلة. احتفظ بن مفتاح السيارة، وقادها عائداً إلى قلب المدينة، وصولاً إلى منزل الأخت سيسيليا.

حين اقتربنا من المنزل سألتني: "هل أنت واثقة من أنك تريدين الذهاب إلى هناك؟"

"فضولي يقودني إلى هناك".

"لكننا لا نعرف شقيقتها، ولا يوجد سبب يقودنا إلى هناك حتى". بالنسبة إلي، كان هناك سبب، لكنني سأعرفه ما أن نتحدث مع شقيقة الأخت سيسيليا.

وصلنا إلى المنزل المتواضع، وعلى الفور، وجدنا المرأة الوحيدة التي تعيش هناك، مستعدة لاستقبالنا. بدت مستهجنة في البداية، لكننا أخبرناها بأننا بحثنا عن الأخت سيسيليا، وحين علمنا بنأ وفاتها، قررنا أن نقدم واجب العزاء لعائلتها.

مع كل خطوة كان جسد المرأة يرتعش، وبالكاد استطاعت أن تبعد ساقها عن الأرض. كان ما تبقى من شعرها قد تحوّل إلى خصلات بيضاء قصيرة ومجعدة. بدت المرأة واعية، على الرغم من أنها

احتاجت إلى أن تضيق عينيها حتى ترى ملامحنا بوضوح. قادتنا إلى قلب منزلها المتواضع، وكانت رائحة البرتقال والقرفة عبقاً في كل ركن من أركان البيت الضيق، المكون من طابقين.

"لم يأت أحد من خارج الدير. هذا مؤسف." قالت بحسرة.

قلت لها: "على الأقل، قدّم لها أصدقاءها واجب العزاء".

سألنا: "هل كنتما تعرفانها؟" أومأنا إيجاباً، وكانت هذه كذبة صغيرة، تبرر سبب وجودنا. "في الواقع، كانت سيسيليا تتوقع أشياء أخرى، ربما احتفاء أكبر، لكن... لكنها راضية حتماً، لما نالته في النهاية." ارتجفت كلماتها بسبب ثقل لسانها.

"أنت هي الشقيقة الأكبر، أليس كذلك؟"

"نعم. بعد ولادتي، لم يرزق والداي بأي طفل طوال ثلاثة عشر عاماً، ثم أتت سيسيليا، وهذا ما جعلني أشعر بأنني والدتها أكثر من كوني شقيقتها." كانت على استعداد للتحدث أكثر وأكثر من دون أي قدرة على إيقافها، ولعل الوحدة تفسر رغبتها في الحديث.

"هل تتذكرين طفولتها؟"

"بالطبع أتذكر. سيسيليا لم تتغير كثيراً، حتى بعد أن شاخت. كانت صبورة، حكيمة، لا تغريها أشياء الأطفال السخيفة. يصعب إدراك مدى طيبتها، لأنها كانت جادة معظم الأحيان، إنها إنسانية عملية، وأرادت تقديم واجبها قبل كل شيء..."

قاطعتها: "هل هناك تاريخ للخرف المبكر في عائلتكم؟"

بدت متفاجئة: "عفوًا".

"اعذريني على السؤال، لكن هل أصيب أحدكم بالخرف. قيل لي في الدير، إن الأخت سيسيليا كانت تتصرف بغرابة، ولعلّ الخرف هو المسوّغ الوحيد لهذه التصرفات". كورت المرأة فمها دهشة، واتسعت عيناها، وأدركت أخيرًا أنهما خضراوان كعيني الأخت سيسيليا في صورتها على المذبح. "لم أقصد أن أكون قاسية، لكن هذا ما قيل". حاولت تصحيح موقفني: "أنا آسفة".

"هذا كل ما تناله منهم، بعد سنوات الكد. أي نوع من الأشخاص هم؟"

ظَلَّ بِنٌ يراقبنا بصمت، ثم أدرك بأنني أحتاج إلى تدخّله، فقال: "هناك سوء فهم حتمًا، إنهم يكتنون لها الحب في ريفر سايد، لكنهم قلقون بشأن موتها المفاجئ. أعتقد أن الصدمة أيضاً تقودهم إلى تحليلات أخرى".

"لديّ بعض الكعك بالقرفة، سأحضره لكم". نهضت المرأة بشكل مفاجئ، من دون أن يظهر عليها تأثير ما قاله لها بِن. سارت بخطوات ثقيلة نحو المطبخ، وعادت تحمل معها طبقاً زجاجياً نصف فارغ. "تذوّقاه". امتنع بِن عن تذوقه وصمت، لكنني جربت قطعة وحيدة قاسية، ولم تكن بجودة رائحتها الواضحة.

"سيدتي، هل كنتِ مستيقظة حين سقطت سيسيليا من أعلى السلم؟"

"لا. أيقظني صوت ارتطام جسدها بالأرض، وحين وجدتُها هناك

ظننت أن الأمر . . مجرد حادث، أو أنها فقدت وعيها. اتصلت بالإسعاف، وحين انتقلنا إلى المستشفى، أخبروني بأنها كسرت عنقها، وساقها بعد أن سقطت".

"هل كانت تتصرف بشكل غريب في الأيام الأخيرة؟"

حاولت أن تفكر في الإجابة. راحت تتذكر، ثم قالت: "لا. لم ألاحظ أي شيء مختلف. كانت أكثر هدوءاً، وأكثر انشغالاً، حتى إنها تغيبت عني أحياناً. أخبرتني بأنها تعمل على شيء مهم، وترغب في مساعدة بعض الأشخاص، واستعانت بالكنيسة لتقديم هذه المساعدة، لكنها لم تنجز ما كانت تخطط له".

عرضت عليّ تناول المزيد من الكعك، لكنني رفضت، وقلت لها: "أشعر بالتوغل". ثم سألتها: "هل بإمكانني أن أستخدم دورة المياه، فأنا حامل". تغير كسلها، وتحول إلى حماس. تقبّلت برحابة صدر استخدامي لمرحاضها، ودلّتني على الطريق المؤدي إلى هناك.

حين تخطّيتها، استدرت نحو بن، وأشارت إليه كي يتحدث معها ويلهيهما. سرت نحو الممر الذي أشارت إليه، ثم انعطفت نحو السلم المكشوف، وصعدت إلى الطابق العلوي. كان هناك حجرتان فقط، وإحدهما حتماً ستكون غرفة الأخت سيسيليا.

رأيت المسبحة السوداء على ساق طاولة الزينة، والصليب على الجدار، وعرفت أنني وصلت إلى هدفي أخيراً. كانت الغرفة منظمة، هناك سرير من الخشب الزان، وطاولة زينة بستة جرارات، ومراة، وخزانة خشبية بسيقان رفيعة. هناك صورة أحادية اللون للأخت سيسيليا وهي شابة، وصورة أخرى للمرأة التي استقبلتنا في هذا

فُتشت كل جزء في الحجرة، وحاولت التنقيب في الجرارَات، ثم فتشت خزانة العياب، حتى عثرت على مجلد جلدي رقيق؛ كان كتاباً عتيقاً بلا أي عنوان. حاولت فتحه، فتناثرت بعض الأوراق التي كانت في قلب المجلد. انحنيت بسرعة لأجمعها. ظهرت أمامي صورة وليام فريدريك، وتقرير مبسط عنه، لكن المعلومات المذكورة كلها كنت أعرفها بالفعل. هناك أيضاً صورة لفيلاسكو، لكنه يظهر باسم اندريس لي في هذا التقرير المكون من صفحة واحدة.

حملت الورقة سريعاً، وتصفحت الأوراق التي كان بعضها مكشوفاً أمامي. كان الكتاب يعود إلى عقود طويلة، وتكشف صفحاته هذا الشيء بوضوح. تركت الأخت سيسيليا علامة واضحة، على صورة الكيان الأنثوي الذي يعتمر تاجاً بأطراف مدببة.

بحبر ممّوه طُبعت كلمة ليثيليا أسفل الصورة. هناك وصف مطول للأسطورة، والقليل من الصور التي تصور الكيان ذاته، ولكن في صورة مختلفة. طويث الصفحة بسرعة، ودسست أبحاث سيسيليا القليلة تحت سترتي، وعدت بهدوء إلى الطابق السفلي.

"هل أنتِ أفضل الآن؟" سألتني المرأة.

قلت: "أنا كذلك".

"مظهركِ لا يفضح حملكِ".

"لأنني في البداية". أومأت متفهمة.

خشيت أن يفضح جلوسي وجود الكتاب، فقررت الرحيل، قبل

أن أجلس من جديد. كان بن قد أبقاها منشغلة طوال هذا الوقت. رافقتنا إلى الخارج، وظلت تراقبنا لبرهة قصيرة، فيم نحن نبتعد نحو سيارتنا. رأيتها تلوح لنا من بعيد، فلوحت لها قبل أن ينطلق بن بسرعة.

أخرجت الكتاب من تحت سترتي، وقلت: "كانت سيسيليا تطارد الشيء ذاته".

"هل سرقت هذا من منزلها؟"

أوماث مؤكدة، لكنني بدلاً ذلك قلت: "ما كانت لتشعر بغيبابه حتماً". فتحت الصفحة على العلامة التي تركتها الأخت سيسيليا، أشرت إلى صورة الملكة في الرداء الأحمر، إلا أنها كانت هنا أحادية اللون، برداء أسود باهت، وبتاج مبهم لا يرى بوضوح. "إنها هنا أيضاً". سحبت الورقة التي تظهر هوية فيلاسكو الحقيقية: "هذه أيضاً مفاجأة أخرى". أشرت إلى الصورة، وقلت: "أعتقد أن أندريس لي، هو الاسم الأصلي لفيلاسكو".

ما الغرض من كل هذه المحاولات؟ لماذا علينا أن نكرر التجارب؟ لا يمكن للحلول الفاشلة أن تغير الحقيقة. كل الأشياء الاعتيادية ستظل على حالها، ما لم يكن هناك عامل أكبر من رغباتنا لإحراز هذا التغيير؛ الرغبة وحدها لا تغير أي شيء، لأنها ليست إلا صناعة للبدايات.

حين عدت إلى المنزل، كان بران ما يزال نائماً. شعرت بالامتنان لهذا، فهو على الأقل لم يكتشف أمر رحلتي الصباحية هذه. كان الأعياء قد عاد ليسيطر عليّ ببطء، لكنني رغم هذا، كنت ما أزال أشعر بغرابة ما. كان هناك عطر غريب في المنزل، وشعور بالاختلاف لكنني لم أعرف ما هو تحديداً. كان إحساسي بوجود شيء ما قوياً جداً، لكنني ببساطة أعجز عن إيجاد أي دليل يقودني إلى التأكد من ذلك.

حاولت أن أفكر في الاحتمالات المنطقية؛ لو أن هناك دخيلاً، لشعر بران بوجوده، إلا أن بران كان نائماً بهدوء. فتشت كل الحجرات الأخرى، ولم أعر على أي دليل على دخول أحد، ولم يلفت انتباهي أي تغيير ملحوظ. وصلت بعد ذلك إلى المخزن الصغير، ووجدت كاميرة التصوير الخاصة بي، متروكة على الرف الخشبي.

أنا واثقة من أنني لم أستخدمها، ولا أتركها عارية بهذه الطريقة حتى.

حين تقدمت وجدت كومة صغيرة من الصور الفورية، سوداء فارغة، لا تظهر أي تفاصيل. وقفت أمام الطاولة الخشبية لوهلة،

أحاول أن أفهم سبب وجود كل هذا. لم أستخدم العدسة منذ أن انتقلنا إلى ساوث باي. أفرغت الصناديق وأخرجت أطباق التحميص، وقمت بسكب بعض الديميثيلامين لأمرر الصور السوداء عبره.

بقاؤها فارغة، يذل على أن أستخدم العدسة لم يعرف كيف يتعامل مع هذه الصور. علقت خيط التجفيف، وتأكدت من إغلاق الستائر السوداء، ثم وضعت الصور أمامي، وترقبت ظهور تفاصيلها. انكشفت التفاصيل ببطء، فيما كنت أراقب في العتمة.

استعنت بالضوء الأحمر، لأرى الوجه الخشبي الذي ظهر أمامي. كانت العدسة قريباً جداً من الوجه الخشبي حتى كادت معالمه كلها تختفي، لكنني ميزت عينيه. إنها دمية المهرج الخشبية، ليتل جون. كل الصور كانت تظهر وجهها.

حاولت الإمعان في التفاصيل السديمية أكثر، ورأيت انعكاس الضوء على عين الدمية اللامعة. ظهر ظل الرجل مبهماً على العين البنية. بدا لي كفتى صغير، إلا أن الظل كان مُحيرًا، ودقة الصورة كانت رديئة لا تظهر الانعكاس بوضوح.

لم يكن الانعكاس مألوفاً، لكنه حتماً لم يكن شبحاً.
إنه شخص حقيقي.

تساءلت ما إذا كان بران هو من فعلَ هذا، لكن يستحيل أن يحاول المراوغة معي بهذه الطريقة، فهو لا يعلم بوجود الدمية حتى.

تركث الصور معلقة، وخرجت بسرعة متجهة إلى مدخل العلبة. حين صعدت، إلى هناك وجدت كل متعلقات جون لازاروس في

مكانها، ووحدة ليتل جون هو المفقود. أحدهم اقتحم المكان وعثر عليه أخيراً، ولعله كان يبحث عنه طوال هذا الوقت، ولم يكتشف وجود هذا الجزء خلف الجدار، حتى حطمته أنا بنفسى.

تركث باب العلية مفتوحاً، وهرعت إلى بران محاولة إيقاظه. كان ما يزال عالقاً في النعاس، حتى قلت له: "أحدهم اقتحم منزلنا". فتح عينيه على اتساعهما.. لم يفهم تماماً ما قلته، أو حتى لم يستوعب حقيقة ما حدث. "أحدهم كان هنا أثناء غيابنا".

"كيف؟ كيف عرفتِ هذا؟"

"رأيت بعض الصور، استخدم أحدهم الكاميرة الخاصة بي، كما أن هناك شيئاً مفقوداً.. دمية خشبية موجودة في العلية".

تنهد. "دمية خشبية".

"الأمر جاد يا بران. سواء أكانت دمية أو شيئاً أئمن. الحقيقة هي أن أحدهم اقتحم المنزل، ويستطيع على الأغلب العودة في أي وقت". اعتدل بران، ثم اتكأ على حافة السرير. فرك وجهه ليبدد النعاس، إلا أن عينيه بالكاد كانتا مفتوحتين.

طلبث منه أن يتبعنى، وبصعوبة انتزعته من فراشنا، وأخذته إلى الحجرة ليرى الصور العشوائية التي كانت معلقة على الجدار. لم يكن فيها أي تفصيل غريب، أو شيء يمكن أن يخيفنى، كانت مجرد لقطات رديئة للدمية الخشبية.

أشرت إلى انعكاس الرجل على عين المهرج، وقلت: "ها هو هنا؟"

"حسناً، سأحدث مع الحارس بهذا الخصوص. المبنى هنا آمن، ولا

يمكن أن يحدث أمر كهذا من دون أي تفسير واضح".

"تفسير؟ هذه الصور أمامك الآن، وأنت بحاجة إلى تفسير؟".
أضفت بانفعال: "أنا أخبرك بأن أحدهم اقتحم المكان، وقد تكون حياتي في خطر، فيم تحاول أنت إيجاد تفسير يبرر جنوني وسوء فهمي؟". أدركت فجأة أنني كنت أصرخ تقريباً.

"اهدئي".

اعترضت: "لا أريد أن أهدأ".

"ماذا تريدین إذا؟"

"أن نخرج من هنا".

قال برجاء: "لكنني بالكاد بدأت".

"بدأت بماذا؟ إن حياتنا عرضة للخطر. لا أشعر بالأمان هنا".

"حسناً. سأتحدث مع ألكساندر، وأطلب منه أن يبدل هذا القفل اللعين، وأن يتأكد مما إذا كانت هناك حالات اقتحام أخرى، هل هذا كافٍ؟"

"لا".

تنهد، قبل أن يقول لي: "إليسيا، ستكونين بأمان".

"إذا خرجت من هذه الشقة، سأكون في مأمن حينها. أخرجني من هنا، وإلا فإنني مضطرة إلى الرحيل وحدي، ما دمت راعباً حقاً في البقاء في هذا المكان". حاول بران بكل الوسائل أن يعيدني إلى حالة الهدوء، لكنني كنت منفعلة، وعاجزة عن الهيمنة على ذاتي.

"حسناً، سنبحث عن مكان جديد، وحتى هذه اللحظة، سأؤكد من أنك في أمان هنا. كل ما عليك الآن، هو أن تثقي بي".

قلت باستسلام: "أنا أثق بك، وآمل حقاً أن تكون جاداً فيما تقوله الآن".

خرج بران من الشقة ليتحدث مع ألكساندر، فيم بقيت وحدي في غرفة الجلوس أترقب عودته. تكورت حول نفسي فوق الأريكة، واستلقيت أراقب مدخل الحجرة في هدوء. لم أشعر بنفسي فيم كان الإنهاك يسرقني من الواقع، حتى غفوت.

رأيت حينها حجرة بيتر القديمة. كانت الدمى المعلقة فوق المهد تدور، والنافذة الوحيدة في حجرته كانت ترسم بريقاً أحمر نارياً يعكس ضوءه في الغرفة التي بدت أوسع من مظهرها الاعتيادي. حين تقدّمت نحو مهد بيتر، وجدته فارغاً، أما خارج النافذة فكانت الأبراج الحجرية البعيدة تغطي الحدود البعيدة للأرض الحجرية السوداء. تكررت الزوايا الصغيرة على الحجر، وراحت تدور حول نفسها ببطء، وتبتلع ذاتها وتتجدد.

سمعت صوت تحطم الأرض، يمتزج بأصوات المعاناة، كما لو كنت أقف على أعتاب الجحيم.

حاولت أن أغلق أذني، لكن تلك الأصوات، كانت تنبع من أعماقي أنا. كل أولئك المعذبين، كانوا مزروعين في ذهني ولا يمكنني الهرب منهم.

راحت الدمى تدور باستمرار بنفس النمط الذي كانت تدور به

الزوابع خلف النافذة، ثم توقف كل شيء بشكل مفاجئ.

فتحت عيني من جديد، وكان الليل قد حلّ في الخارج، والمساء غارق في العتمة.

وجدت وسادة تحت رأسي، ولحافاً يغطي جسدي، فعرفت أن بران قد عاد منذ وقت طويل، ووجدني نائمة هنا. بقيت مستلقية أحاول تجديد المشهد الذي رأيته، وأفكر في الزوابع التي تكرر مظهرها. ربما كانت هذه الصورة انعكاساً للشعار الذي تكرر في رسومات ويلينغ، وفي كل الأبحاث التي تعلقت بالملكة في الرداء الأحمر. ربما كانت وليدة خوفي أو تفكيري.

أو لعلها لعنة تنمو في رأسي أنا أيضاً.

تلاشت نصف أضواء المصابيح، وما تبقى من بريق ناعم، كان يمكنه أن يكشف الممرات القليلة خلف غرفة المعيشة. نهضت من مكاني، وقبل أن أبدأ البحث عن بران، وجدت مدخل الشقة مفتوحاً. لم أفكر في المقتحم، لم أضع في حساباتي وجود أي خطر. قطعنا طريقي إلى الخارج بفضول، ورأيت السلم في حالة السكون الاعتيادية.

خلا الباب من مقبض أو رتاج، ولعل بران قد عكف على تغيير قفل الباب أثناء نومي. كان الهدوء يدل على أنني كنت هنا وحدي. وقفت في نهاية الممر، أتأمل الباب الآخر في الجهة المقابلة. فكرت في جوليا ماكنيل مرة أخرى، وكل الأسرار التي كانت تحيط بها. حديثنا لم ينته، ولا أعلم بأي طريقة كان بإمكاننا أن نتحدث مرة أخرى. تذكرت حنقها في آخر مرة التقينا فيها، ولعل اعتذاري سيكون

مناسباً للتسلل إلى عالمها من جديد.

قطعتُ طريقِي تحت المصابيح المرهقة، ووصلت إلى باب شقتها. حين طرقت الباب، تردّد صدى ضرباتي الضعيفة. كررت العملية، وبدأ صوت الضرب الرقيق أكثر وضوحاً مما أتصور. سمعت أحدهم يناديني: "إليسيا". حين التفّث رأيت ألكساندر وبران يقفان عند باب المصعد، الذي لم أشعر بوصوله حتى.

سألني ألكساندر: "عَمّ تبحثين يا سيدة روزوود؟"

"عن السيدة ماكنيل".

"من؟"

"جوليا ماكنيل".

شرح له بران: "جارتنا هنا". ولم يتطلب الأمر أي شرح، فوجودي أمام الباب، يوضّح من تكون. لمحت الرتاج الذهبي في يد ألكساندر، وما زالت الحيرة بادية في عينيه.

"أخشى أن هذه الشقة فارغة منذ وقت طويل".

أطلقت ضحكة بلهاء، لا معنى لها. "أنت مخطئ أيضاً. كل الجيران يعتقدون أن جوليا ماكنيل تركت ريد ستون قبل مدة طويلة، لكنها هنا".

أكد لي: "ما يعتقدونه صحيح. أنا من أشرف على رحيل السيدة ماكنيل. أشرفت بنفسي على إخلاء شقة تلك المرأة قبل أكثر من خمسة عشر شهراً". كان هذا غير معقول، إلا أن إصرار ألكساندر كان

قوياً، ومقنعاً. حين حاولت الاعتراض، قال بهدوء: "سيدتي، أنا أعمل هنا لثلاث سنوات، وأعرف من يعيش خلف كل باب من هذه الأبواب. السيدة ماكنيل، رحلت منذ وقت طويل، ويستحيل أن تكون هنا".

"هذا أمرٌ يستحيل تصديقه".

قَطَّبَ جبينه. "عفوًا! أضاف. "أنا لن أكذب عليك".

"عزيزتي، لنعد إلى الداخل الآن، وسنتحدث عن هذا في وقت لاحق. لا بد من وجود التباس في هذه المسألة". مَدَّ يده لي، كما لو كنت طفلة يحاول إقناعها بالعدول عن أي تهور قد تقوم به. "هيا، سنتحقق من هذه المسألة لاحقاً".

قال ألكساندر بإصرار: "ما من شيء تتحققان منه". بدا عليه الإحراج، وحاول أن يضيف شيئاً آخر على إجابته. "أولاً، لا يمكننا قبول تصرف السيدة روزوود، فلو كان أحدهم يعيش هناك، فهي لا تستطيع أن تتسبب في إزعاج الجيران من دون موعد أو دعوة واضحة. هذه مخالفة مرفوضة في ريد ستون يا سيدي. أما فيما يتعلق بشأن الشقة، فأنا أجزم لك، بأنها خالية. عُرضت على ثلاثة مستأجرين خلال عام ونصف، ولم تقبل إدارة ريد ستون بأي من هؤلاء المستأجرين".

عمَّ الهدوء. أردت أن أصدق، وأن أنجرف وراء الحقيقة التي باح بها ألكساندر؛ إلا أن هذه ليست هي الحقيقة التي يجب عليّ تصديقها. "جوليا هنا. يمكنك أن تستخدم مفتاحاً وتفتح هذا الباب اللعين، لتتأكد من أنها على الأقل عاشت هنا".

لا يمكن أن تكون جوليا خفية بهذا الشكل عن الجميع.

"أنا آسف، لكن استكشف الشقق، ليس من صلاحياتي، وإن كنت أنا حارس المبنى، هناك قوانين تمنعني من القيام بهذا".

"اللعنة على هذه القوانين، افتح هذا الباب، وإلا فإنني سأكون متيقنة من أن أحدكم ألحق بجوليا ضرراً، وأنت تحاول التكتّم على هذا الأمر". ابتلع ألكساندر ريقه، وحاول إيجاد أي تبرير، إلا أن حروفه خائته. طلب مني بران أن أنسى الأمر، لكنني أصبحت أكثر إصراراً.

"ألكساندر، إنَّ إليسيا لا تقصد أي إساءة". التفت نحوي بحزم أكبر. "دعينا نرجع إلى الداخل".

"ليس قبل أن تفتح هذا الباب".

قال ألكساندر أخيراً: "حسناً. حسناً، سأجلب المفتاح الأساسي، وأعود إلى هنا. أنا لا أفعل هذا بسبب رضوخي لرغبتك، لكنني أريد أن أثبت لك بأنك واهمة يا سيدة روزوود". عاد الحارس إلى المصعد، ثم رأينا المقصورة السوداء تهبط بسرعة.

"ما الذي تحاولين القيام به؟"

رفعت إصبعي في وجهه: "أنت أكثر شخص يدرك أن جوليا كانت هنا، والآن تتصرف كما لو أنك متحالف مع الجميع ضدي أنا".

"كنت تريدني مني أن أغير هذا القفل اللعين، والآن، أنتِ تخلقين حكايات أخرى. إلى أين سنصل؟ ماهي نهاية كل هذه الأفكار التي تخلقينها من العدم". وقف بران عند حافة الدرابزين الحديدي،

وراقب البهو حين كان ظل ألكساندر يبتعد.

"أفكار؟ اقتحام أحدهم للمنزل، يعدّ فكرة مجنونة بالنسبة لك؟"

أوماً بانفعال: "نعم أفكار. أهنت الرجل الذي حاول مساعدتك، ولا يوجد سبب واضح لكل هذا الغضب". دسست أصابعي في رأسي، لأزيح كل خصلات شعري عن وجهي. إنه يعتمد إظهار هذه اللامبالاة؛ يستحيل أن تكون هذه الحقائق مجرد حدث عابر بالنسبة إليه.

"ما هي مشكلتك تحديداً؟"

قال بغضب: "مشكلتي هي أنت. أي جنون أصابك؟"

ما من كلمة كانت ستشفي غليلي. شعرت باليأس حين سمعت إجابته. وقفت على الجانب الآخر من الممر، عاجزة عن إيجاد أي رد. لأول مرة أشعر بأنني وحيدة بشكل حقيقي، فحتى بران عاجز عن تصديقي، أو الوقوف في صفّي.

سمعت صوت المصعد يتحرك، وبعد لحظات ظهر ألكساندر.

"جلبت المفتاح الرئيسي، لنأمل أن أحداً لم يغير هذا القفل قبل رحيله". دسّ المفتاح وحاول بصعوبة أن يدير القفل، ثم دفع الباب، وكشّف عن بهو الشقة. كانت كل الأرجاء مظلمة في الداخل. تقدّم الحارس وأنار المصابيح، وراحت عيناه تمسحان الشقة، كما لو أنه يحاول استكشافها أيضاً.

لا ورق جدران أصفر، ولا قطع أثاث عتيقة.

لا يوجد أي رسومات لجوليا.

لا شيء... لا أحد هنا.

"هذا مستحيل". خرج صوتي ضعيفاً. كنت أحدث نفسي، وأحاول استيعاب هذا الاختفاء. كررت ما قلته لبران: "هذا مستحيل". كان يقف إلى جوار ألكساندر، وكلاهما يشفقان على حالي. "لقد كانت هنا. رأيتهما، وتحدثت معها".

"دعينا نرجع إلى شقتنا". سار بران، ولم ينتظر مني أي استجابة.

لحقت به، وحين عدنا إلى منزلنا لم يتحدث معي إطلاقاً، بل كان منشغلاً في تركيب الرتاج الجديد مع ألكساندر. جلست وحدي في تلك الأثناء، أحاول استيعاب ما حدث الآن.

ما إن رحل ألكساندر حتى قلت لبران: "لقد كانت هنا قبل أيام قليلة. رأيتهما... خرجنا معاً".

"أين هي إذا؟ لماذا لا يراها أي أحد سواك أنت؟ إن كانت موجودة فلماذا لا يتحدث الجيران عنها، أو يقابلها ألكساندر طوال هذه المدة. يستحيل أن تكون في شقتها طوال هذه السنوات".

لعلّ تواريتها عن الأنظار، هو ما جعل ألكساندر يعتقد بأنها رحلت منذ وقت طويل؛ لكن هذا لا يفسر اختفاء كل متعلقاتها. شعرت بالضيق، وبالرغبة في البكاء. أحدهم كان يكذب، شخص ما أراد أن يخفي جوليا ماكنيل لسبب ما.

موت الأخت سيسيليا بعد بدئها بالبحث عن فيلاسكو.

انتحار هيلينا ستون.

انتحار كالفن ويلينغ.

اختفاء باتريشيا.

رحيل جوليا بشكل مفاجئ.

أي مؤامرة ثحاك؟ أي خداع يحيط بي؟ وأنا عاجزة عن فهم سبب
تلاشي كل الأشخاص الذين يحملون إجابات على تساؤلاتي؟

في صباح اليوم التالي، اتصلت بي ماريان من مقصورة هاتف عمومية، وقالت لي بأنها في طريقها إلى ساوث باي. كانت هذه رحلة طويلة بالنسبة لها، ورغم هذا لم يحمل صوتها أي مفاجأة. سألتها عن دافع الزيارة بطريقة وقحة، فقالت لي: "هل أنا بحاجة إلى سبب واضح، حتى أرى شقيقتي؟".

منعتني زيارتها من الذهاب إلى عملي في اليوم التالي، وفي الحقيقة ما عدت أبالي بشأن العمل هناك حتى، لكنني فكرت في بن معظم الوقت. حين وصلت ماريان برفقة سارا، بدت شقيقتي أكثر تألقاً من المعتاد. كانت الحياة قد دبت فيها بشكل كبير، وهذا تطور لم أشهده، فهي تواجه صعوبة في تنظيم حياتها طوال السنوات التي تبعت ولادة الطفلة.

سألتها حين التقينا أمام مدخل شقتي: "هل بران هو من اتصل بك؟"

"نعم، وكث الأحدث الذي أطلعني عليه، جعلني أشعر بصعوبة في فهم ما حدث بالضبط". خلعت معطفها الرقيق، وجرت سارا معها إلى داخل الشقة. كانت الطفلة ما تزال تشعر بالغربة من المكان، وتحاول فهم التغيير الذي طرأ على منزلي السابق.

"هل أعجبك المكان؟" سألت سارا، لكنها ظلت صامتة، ثم توارت خلف والدتها سريعاً.

علقت ماريان: "ما تزال خجولة".

"هي لا تراني كثيرًا حتى". قلت.

"المكان هنا جميل بالفعل، كيف عثرتما عليه؟"

قلت لها: "كانت فكرة بران، وهو من بحث عن المكان". قلت هذا من دون أي رضا، وفهمت ماريان سبب استيائي، لكنها لا تعرف الأسباب الحقيقية له.

"متى كنت ستخبريني بشأن حملك؟"

ضربت جبيني برفق: "لقد نسيت الأمر كلياً".

سألتنى بتهكم: "نسيت أنك حامل؟". ضحكت، ولم تطلب مني توضيحاً لما قلته، فالإنهاك كان جلياً علي، وماريان تحديداً يمكنها قراءة ملخص مشاعري من خلال النظر في عيني حتى.

سرنا معاً إلى المطبخ، وخرجت كل الوجبات الخفيفة الجاهزة، وتركتها أمام سارا، فانهمكت الطفلة بشيء آخر غير النظر إلي.

جلسنا أنا وماريان حول الطاولة الخشبية، ثم سألتني: "أين براندون؟"

"لا أعرف، خرج باكراً".

قالت: "لعله تعمّد أن يمنحنا هذا الوقت وحدنا. حين اتصل بي، بدا قلقاً حيالك". احتضنت يديّ ودنت مني، ثم قالت بصوت خافت: "يقول بأنك كنت تتصرفين معه بغرابة، وهو يعتقد بأنك تتعمدين هذا حتى تخرجا من هذا المكان".

"أنا لا أتعمد".

"أعرف، فهذه ليست طريقةك في رفض الأشياء". راحت ركبتني ترتجف، فيما أحاول أنا إخفاء قلقي. سحبث أصابعي من قبضة ماريان. "ما الأمر؟ يمكنك إخباري بما تفكرين فيه". لا يمكن أن تقطع كل هذه المسافة، لتسمع شكواي، فقط.

"لن أهدر الوقت في إخبارك عن مخاوفي".

قالت: "هذا ما نفعله عادة، أنتِ أختي يا إيسيا". أخفيت ضعفي، ورغبتني في البكاء. تماسكت بكل ما أوتيت من مقدرة. "حسناً، لن أضغط عليك ما دمت لا ترغبين في التحدث عن الأمر". دفعت خصلات شعرها خلف أذنها. "عادة يحدث هذا حين لا نشعر بالرضا عن أي تجديد. لا نستطيع إشهار رفضنا بصورة واضحة، فنتصرف بطريقة ليست اعتيادية، نحاول الاعتراض على التفاصيل غير المعنية بالمعضلة الحقيقية، وأنا أفهم رفضك هذا، ولعل الإحساس بالوحدة كفيل بتفسير كل شيء أيضاً".

كذبت: "أنتِ محقة. ثم إن مسألة الحمل، تثير خوفاً". أضفت بصدق: "أنا فقط أتوق إلى حياتي القديمة، ومنزلنا السابق. أتوق إلى زحمة المدن الكبرى، والحياة وسط ذاك الضوضاء".

"ساوث باي مدينة ضخمة أيضاً، وهي مطلة على الساحل مباشرة".

قلت معترضة: "هذا لا يكفي. كل هذه المظاهر زائفة. الحياة هنا لا تشبه أي شيء عرفتته في السابق. كل ما أريده هو العودة إلى كل شيء. كنت ممتلئة بالحزن، لكن حتى حزني ذاك يبدو مألوفاً ومريحاً بطريقة ما".

ترنحت ماريان وهي تضحك. "متى أصبح الحزن مريحاً؟" بقيث صامتة، وجادة. "أصغي إلي، الحياة ما تزال أمامك. هناك طفل آخر في طريقه إلى هنا". لمست بطني. "ما يزال الأمر في بدايته".

"كذلك كان الأمر مع بيتر، وسارا حتى. تبدو البدايات بعيدة وبطيئة، ثم من دون أي إدراك تجددين الأمور قد حدثت من دون أن تتوقعيها. ستشعرين كما لو أن أياماً قليلة فصلت بينك وبينه". كانت ماريان تحاول إيجاد حلول موضوعية، ومباشرة؛ إلا أن كل هذه الكلمات لم تواسني. في النهاية أبدت إعجابها بساوث باي، وقالت إن المكان يشبه ما كنت أصفه قبل انتقالي، وأن ريد ستون مبنى أخاذ له طابع غريب.

"أتفهم لماذا يجد براندون الراحة هنا".

قالت بلهجة تهكمية: "إنه يتناسب مع خياله".

علقت الطفلة: "المكان مخيف". تداعت كل محاولات ماريان لطمأنتي، فتنهدت بياس، ودست رأسها بين يديها، ثم أطلقنا ضحكيتين عاليتين. راقبتنا الطفلة، ولم تفهم سبب ضحكنا، لكنها ضحكت ببلاهة وهي تحقق بي.

علقت وأنا أحاول الوصول إليها: "لقد كبرت كثيراً".

"هل اعتقدت بأنها ستبقى طفلة؟"

"لا، لكنني أشعر بأنها شخص مختلف. إنها لا تشبه الفتاة التي رأيتهما آخر مرة. أشعر بأن دهرًا انقضى منذ التقينا آخر مرة يا ماريان". نهضت شقيقتي، واحتضنتني وهي تؤيد ذلك.

خلا المنزل من أي وجبة حقيقية يمكنني تقديمها لهما، وبعد أن تأخر وقت الغداء، واستهلكت الرحلة طاقة ماريان، عرضت عليها أن تستمر في مقاومة التعب، وأن تمنحني فرصة لأريها جزءاً ضئيلاً من ساوث باي. لم أكن راغبة في التجول في الطرقات الشاحبة، لكن هذا أقل ما يمكنني تقديمه للتسلية على الأقل. حين حاولت الاعتراض، أخبرتها بأنني أفعل هذا من أجل الطفلة على الأقل.

"إنها بحاجة إلى بعض التسلية، لا أريدها أن تتذكرني كصورة نمطية لأي حالة".

هفت ماريان بارتداء معطفها وهي تقول: "سيكون لديك المزيد من الوقت لتغيير هذا، فهي على الأغلب كالقطط، ستتناول طعامها، ولن تتذكر من أطعمها". رمتها سارا بنظرة سريعة، كما لو أنها انتبهت إلى الكلام، إلا أن ماريان مشدت خصلات شعرها المجددة المماثلة لشعر والدتها.

تناولنا البيتزا في أحد المطاعم المغمورة على جانب الرصيف الخشبي، ثم حلت غيوم نهاية أكتوبر على السماء فجأة، وغطت الضوء. أخذ الظلام يزداد كثرة مع مرور الدقائق. انتشرت الأضواء على الرصيف، وصولاً إلى الكرنفال في نهاية الممر الخشبي البعيد.

"أمي، انظري". أشارت سارا إلى المنظر اللامع خلف نافذة المطعم. حاولت الأم تجاهلها، لكنني قلت: "تناولي طعامك، وسأصحبك إلى هناك".

"ليس عليك...".

اعترضت قائلة: "هيا، أنا بحاجة إلى هذا أيضاً. يبدو لي من الغريب أن أرى وجهاً مألوفاً في هذا المكان، كما لو أن الجميع مجرد أشباح".
"أشباح". كررت سارا.

"لا شيء يا حبيبتي". اتسعت عينا ماريان، وهي تحذرنى.
"أنا آسفة". همست.

تناولنا طعامنا، وبعد إلحاح من الطفلة، قررنا الخروج سريعاً لمواجهة لسعات الرياح. كان صوت الأمواج قوياً، ممزوجاً بأصوات الصراخ البعيدة الآتية من الكرنفال، وبعض من أصوات المركبات والمارة. وحدة عبور الهواء القوي، هو الذي بدا كنغمة بعيدة طبيعية وسط هذا الصخب.

لمحت الأضواء تحت السماء الرمادية التي لوّحتها حمرة آخر أضواء الغروب. وصلنا إلى نهاية الرصيف، وقطعت بنفسي ثلاث تذاكر لنا، وتركنا سارا تتجول بحرية بين الألعاب، فيما كنا نتجول أنا وماريان ببطء. أرادت هي أيضاً أن نتحدث عن حجم مسؤوليتها تجاه الطفلة، ومدى خوفها من العجز.

"أنتِ أمٌ رائعة، لا يمكن أن يعتريك الشك حيال قُدراتك".

قالت: "الفشل يرعبني. لا أريد أن أفسل".

"ومن يريد هذا؟"

"يبدو الاستسلام أحياناً أسهل. إنني أرعى الفتاة وحدي، ووالدها يلهو بحرية. يمكنه أن يقدم بعض العون". أزعجتني فكرة المساومة،

فغريزة الأم، لا تدخل ضمن معادلة المساواة، والواجبات. ما يمكن تقديمه سيتم تقديمه خلال هذا الرابط القوي، وإن كانت ماريان لا تنال الدعم من والد سارا بشكل ملائم.

"الأمومة لا تقبل المقايضة".

قالت والملل يخترق صوتها: "أنت مُحقة".

جلسنا على مقعد خشبي مقابل لأرجوحة كهربائية محاطة بمصابيح ملونة، وتركنا سارا وحدها تصرخ مع الأطفال الجالسين في المقاعد الصغيرة. تحركت عينا ماريان خلف الطفلة. "انظري إلى هذا الحرص في عينيك، هو وحده ما يؤكد لي، بأنك لن تفشلي في تقديم أمومة مناسبة للطفلة، وإن كنت وحيدة".

رَبَّت على ظهر كُفِّي، ثم قالت: "أنا هنا من أجلك، لكنني تحدثت عن خوفاً فقط".

"وجودك هنا يبذل كل مخاوفي". أدركت أن هذا حقيقي، ولم يكن مجرد مزحة. اختفاء جوليا ماكنيل، منعني من النوم؛ كل الأحداث الأخيرة، كانت تستنزف وعيي، إلا أن وجود ماريان، جعل كل المخاوف تتبدد بشكل مفاجئ، كما لو أن هذه التساؤلات تطاردني.

حين تضاءل الزحام حول الرصيف، تحثَّم علينا نحن أيضاً أن نرحل. كانت المسافة الفاصلة عن البيت بعيدة، إلا أن انتعاش الهواء أجبرنا على السير بين المباني العريضة من دون الإحساس بالتعب. سارت المركبات بمحاذاتنا، وبعض المارة كانوا مثلاً يسيرون عائدين إلى منازلهم.

سرنا تحت أضواء الإعلانات الضخمة، واقتحمنا الممرات الضيقة، حين كانت المركبات تعبر بئدرة. تضاءلت المصابيح، وتموّهت وجوه الغرباء المحيطين بنا. هناك رأيت طيفً باتريشيا يتحرك نحو عتمة زقاق ضيق. توقفت في مكاني وتأملتُها.

"ماذا بك؟" سألتني ماريان.

"باتريشيا". ناديتُ.

"من هي؟ إيسيا..". تقدمتُ بسرعة نحو طيف الفتاة الشابة.

"ماريان، ابقى هنا". أضفتُ: "سأعود حالاً، فهذا بالغ الجدية".

هرولتُ خلف شبح الفتاة الذي تبدّد. كان هناك بقايا من ظلها تنحسر عند منعطف الزقاق. سرّث متجاوزة بعض الرجال المنهكين بسبب الشرب والجوع. غلفني الظلام وأنا أحاول بلوغ باتريشيا، لكنها ركضت بإصرار أكبر.

أمرتها: "توقفي، أنا هنا لمساعدتك".

ركضت مبتعدة.

تبعثها بسرعة أكبر، والهواء البارد يخترق رئتي ويخنقني. "تحدث مع والدتك". شككت في أنها سمعت هذا، لكنني تجاوزت ظلال المارة وصولاً إلى الفتاة. أرادت أن تبتعد، فكررت: "إنها على استعداد لمساعدتك. فقط توقفي".

التفتت نحوي أخيراً. "ماذا تريد مني؟"

"والدتك وافقت على منحك بعض المساعدة". راحت تفكر، ثم

قالت إنها لا تريد هذا. "أنت من طلب مني أن أتحدث إليها".
"سيؤذونها. سيحدث لي ما حدث مع كالفن".

"لا". قلت بغضب. "سأحرص على أن تكوني في أمان. إن والدتك،
تدرك جيداً، بأنك لست في أفضل أحوالك، لكنني عليك أن تعديني،
بأنك لن تتسبب لها بخيبة أخرى". أومأت، وارتجف جسدها الهزيل
تحت المعطف الواسع.

"الأخت سيسيليا ميتة". بدرت منها شهقة دهشة، وحزن.
"كيف حدث هذا؟"

"لا أعرف، يقولون بأنها وقعت من فوق السلم".
ضحكت، وترنحت في مكانها. "ولم تدركي بأنهم سيلحقون الأذى
بي أيضاً؟"
"من هم؟"

زمجرت: "لا أعرف. كل شيء يتعلق بتلك اللوحة ينتهي إلى
الموت".

"اللوحة أم الكيان المرسوم فيها؟"

قالت: "لا فرق بينهما".

"هل هي طائفة؟" سألتها، لكنها لم تمنحني إجابة واضحة. كل
شيء في أوراق الأخت سيسيليا يوحي بأن هناك مجتمعاً سرياً يتبع
ليثيليا، أو المرأة في الرداء الأحمر، لكنني لا أعرف أي شيء عنه.
تذكرت الأوراق التي سرقتها من منزل سيسيليا، فأنا لا أتذكر إن كنت

قد تركتها حتى.

"ابتعدي عني، فقط... ابقى بعيدة، وسأكون في مأمن".

دسست يدي في حقيبتني بحثاً عن المال، ثم منحتها ما يكفي فقط لأجرة سيارة. "الخيار لك، هذا المال يكفي لأن تعودني إلى منزل والدتك، وإن أنفقته على ما هو سواه، فأنا لن أتمكن من مساعدتك. سأتي غداً إلى منزلك، وأرى ما إذا كنت هناك أم لا".

جعدت الورقة ودستها في جيبها.

"اذهبي الآن، وسنلتقي غداً، إذا أردت أن تساعدني في إحباط هذا الشر". هرولت الفتاة مبتعدة، عني، ولم يكن في أعماقي أي أمل في أنها قد تعود إلى منزلها، لكنني أردت أن أجرب. رأيتها تبتعد، ثم تلاشت في الزحام الصغير.

حين عدت رأيت الاستياء على وجه ماريان. "أين ذهبت؟"

"حدث أمر ما. إنها مسألة يطول شرحها". فركت كلتا يديها لتتخلص من البرد، فيما الطفلة كانت تقف بملل تنتظر عودتي.

"هل أوقعت نفسك في مشكلات مع متسولين؟"

"لا".

اقتربت وسألت: "هل تتعاطين أية ممنوعات؟"

قهقهت. "ماذا؟ لا".

"أخبريني الحقيقة، وسأساعدك".

صحث: "ماريان، هذا يكفي". تجددت ضحكتي بعد ذلك.

استأنفنا السير نحو المنزل بعد ذلك، وحين وصلنا إلى ريد ستون، كان البهو قد وقانا من البرد الذي حلّ في المساء. صعدنا نحن الثلاثة إلى الشقة بعد يوم شاق. وجدنا بران خلف آله الكاتبة، لكننا لم نتحدث عن سبب غيابه المفاجئ. بحثت عن الأغطية والوسائد من أجل ماريان، وتركت لها غرفة الضيوف التي كانت شبه فارغة، لتنام فيها.

قررت ماريان العودة باكراً، وكنت أشعر بتناقض كبير في مشاعري تجاه رحيلها. جزء مني أراد العودة إلى الحرية والغفلة التي منحني إياها بران؛ فيما كان الجزء الآخر عالقاً مع الألفة التي منحني إياها الليلة المنصرمة. لم أتمالك نفسي، أو دموعي حتى حين رافقت ماريان إلى البهو.

"كان عليك البقاء في الأعلى."

"أريد اغتنام كل لحظة يمكنني فيها رؤيتك". أضفت: "هذا اليوم، لا يمكن احتسابه، وأعلم أن بران هو من أصرّ عليك لتكوني هنا رغم كل مشاغلِك". رفعت كتفيها من دون منحي إجابة واضحة. "تعالى إلى هنا كلما سنحت لك الفرصة". غمزتها وأنا أقول: "هذا ما لم أرحل عن هذا المكان".

تنهّدت: "لقد انتهينا من هذه المسألة يا إيسيا. أريد العودة وأنا واثقة من أنك هنا بأفضل حال". أرخت يدها التي كانت تحمل الحقيبة، وقالت: "أنا حتى الآن لم أفهم ما حدث أمس أثناء عودتنا إلى المنزل، ولن أضغط عليك بالسؤال، لكنني واثقة من أنك ذكية بما يكفي لكي تكوني بخير".

"بكل تأكيد". احتضنتها، ثم وقفت مطوقة خاصرتي. فيما كانت ماريان تجر سارا نحو المرآب رحلت من أمامي، وتلاشى إحساسي بالحزن بسرعة، وكل ما فكرت فيه هو بن في تلك اللحظة.

حين صعدت إلى شقتنا، تركت رسالة إلى بران، أطلعه فيها بأنني

قررت العودة إلى مقر الصحيفة، ثم خطفت مفتاح السيارة، وانطلقت متجهة إلى مكان عملي، وأنا أتوقع منهم أن يوقفوني عند المدخل. حين وصلت أدركت أن غيابي لم يلفت انتباه أي أحد.

"إليسيا، حاولت الاتصال بك بالأمس". هتفّ بن ما أن رأيّ أتجاوز باب المكتب.

انقبضت معدتي، فهذا ليس الاستقبال الذي توقعته. "كنت في الخارج معظم اليوم. زارتني شقيقتي، وقضيت يومي كله بصحبتها".

"لكن أحدهم أجاب على الاتصال، أعتقد أنه أنت، أو براندون".

وقفت في مكاني فجأة. "لم نكن هناك بالأمس، لا أنا ولا هو حتى". شرّد ذهني، ورحت أفكر في احتمالية الاقتحام الأخرى. لقد غيّرنا الرتاج، ولا يمكن لأحد أن يدخل هناك. "هل تحدثت؟ هل قلت أي شيء؟" سألته واستغرق لحظة ليفهم سؤالي.

"عرّفت عن نفسي، حين وجدت أن الصمت قد طال، ثم انتهت المكالمة بشكل مفاجئ".

قلت محدثة نفسي: "لن يفعلها بران حتماً، ولا يمكن لأي أحد أن يقتحم شقتنا بعد أن غيّرنا الرتاج. هناك شيء لا أفهمه!". لم يكثر بن لهذه الجزئية، وبدا مندفعاً تجاه أمور أخرى. أخرج من جيبه قصاصة ورقية، وقال لي بأنه عمر على هدفنا الجديد.

"هذا عنوان وريث الناشر الوحيد. إنه يدعى آدم سولومون".

سألته: "هل تعرفه؟"

"من المؤسف أن أكون كذلك. أنا أعرفه، لكن ليس على المستوى الشخصي، فسولومون رجل انعزالي أيضاً. حين جربت أن أطلب رقم هاتفه من السنترال، رفضوا هذا لأنه شخصية عامة، وقممت بالتواصل مع بعض الأصدقاء، حتى أنال رقم هاتف منزله".

"لكنك لم تتصل به بعد".

قال: "بل جربت الاتصال به، وأجابت ابنته. لقد رفضت حتى الإصغاء إلي. اعتقدت بأنني صحفي، وكان اعتقادها في محله في النهاية. إنها ترفض منحي لحظات أشرح من خلالها سبب اتصالي". تأملت به بياس، فما من طريقة أخرى للوصول إلى هذا الرجل.

"هل حديثنا معه مهم إلى هذا الحد؟"

قال: "إنه حلقة الوصل بيننا، وبين بوروز الذي سيقودنا إلى جون لازاروس". تذكرت أن هذا التسلسل هو الحل السليم، والوحيد. "لم أشعر بالياس، فأنا ما زلت أمتلك بعض الحلول الأخرى، لكننا بحاجة لأن نتحدث مع كريستين، فهي التي تدير شبكة العلاقات السيئة هنا".

"علاقات سيئة؟"

لم يشرح لي بن هذا، لكننا حين وصلنا إلى كريستين، وشرح لها بن المسألة، كانت لديها بعض الحيل المتعلقة بأمور كهذه. "أنتما تعلمان، بأن مهنتنا تصنع من المرء محتالاً في نهاية المطاف، وإلا ما كنت سأسحب كلمة واحدة من أفواه الآخرين".

سألها بن: "ألديك حل إذا؟"

"بالطبع". هتفت. "هل تعتقد بأنه هو الوحيد الذي رفض التحدث مع الصحافة؟" رفعت سماعة هاتفها، ثم اتصلت بشخص آخر، وقالت: "كلاوس، أنا بحاجة إلى المحرك الخارجي المتعلق بالبريد الصوتي". بعد صمت قصير قالت امرأة: "أنا بحاجة إليه، أحضره حالا". طرحت السماعة وسألت بن: "هل جربت الاتصال بهاتف منزله من قبل؟"

"نعم، لكن ابنته هي التي أجابت".

عصّت كريستين على باطن كفها: "لنأمل أن يتحول الأمر إلى بريد صوتي". أعطاه بن الرقم، وقامت بإيصال الهاتف الأرضي بجهاز التسجيل الخاص بها. بدت كريستين تعمل كجاسوسة حقيقية، فهي معتادة على العمل هنا أكثر من أي شيء آخر.

استمرّ الرنين لوهلة، ثم تحوّل إلى بريد صوتي.

ظهر كلاوس فجأة، ومعه المحرك الإضافي للحاسوب. نهضت كريستين وتركت الشاب ذا الشعر الأحمر المجعد يقوم بعمله، ثم منحتة ملف التسجيل الصوتي لملف آدم سولومون.

عدّل من وضع نظارته ثم سألها: "هل ستحتالين على آدم سولومون؟"

"مع الأسف".

"لكن...".

قالت له: "الأمر جاد، وبن هو من سيتحمّل تبعات هذا الأمر". نقل الشاب بصره إلى بن، ثم ضاقت عيناه وهو يتأملني لأنني كنت

جديدة بالنسبة إليه. تغيّر لون شاشة الحاسوب، ومن ثم فُتِح نظام عمل آخر، ونقل من خلاله الملف الصوتي، وحاول التلاعب به، والتقاط بعض العبارات من الرد الآلي الخاص بآدم سولومون. قام كلاوس بتغيير ترتيب الجملة.

قال له بن: "نريد من آدم أن يخبر ابنته بأن أحد الصحفيين اتصل به. اطلب منها أن تعاود الاتصال به، وأن تلبي له طلبه".

استغرق الأمر أربعين دقيقة كاملة، حتى يقوم كلاوس بتنظيم درجة الصوت، مع الكلمات التي وردت بصوت آدم الأصلي، ثم أضاف عليها صوته، ليغيّر ملف الرسالة. أرفق مع الطلب رقم هاتف مكتب بن، حتى تعاود الاتصال به، ثم عاودنا الاتصال بمنزل سولومون، وتركنا رسالتنا حين آلت المكالمة إلى البريد الصوتي.

لازمنا المكتب طوال اليوم، وخلال الظهيرة، اتصلت بنا جينا سولومون.

"مرحباً".

أجاب بن: "مرحباً".

"أعتقد بأن هناك سوء فهم قد حدث بالأمس. لقد حاولت الاتصال بي، لكنني اعتقدت بأنك تحاول التطفل على والدي. أنا آسفة".

"لا عليك". أرغم بن نفسه على الضحك. "أتفهم حذرك، فوالدك حتماً كثير الانشغال".

"وهو لا يقبل أي حوارات صحفية". نبهتنا جينا.

صَحَّحَ لها بِن: "نحن لا نسعى إلى أي حوار صحفي؛ في الواقع نحن نبحث عن معلومة ما، ولا أعتقد بأن أي شخص سواكما يمكنه أن يقودنا إلى حقيقتها. الأمر يتعلق بدار النشر التي أقفلت قبل سنوات".

"حدث هذا منذ وقت طويل جدًا".

سألها بِن: "هل تعرفين يا سيدتي سبب الحريق حينها؟"

"لم تتوصل الشرطة إلى أي شيء واضح، هذا ما أتذكره. كان الأمر غريباً حينها وأعتقد أن والدي وجدي أرادا التكتّم على الأمر أكثر، وهذا حتى أبعدهما عن مجال النشر، ليخوضا بعد ذلك مهنة الطباعة. إن والدي الآن أكبر مالك لمطابع الأوراق في الجنوب".

أكّد لها بِن: "هذا صحيح". لعلّ هذه كانت محاولة لإرضاء غرور الفتاة.

"ألم يعتريهما الفضول لمعرفة سبب الحريق الحقيقي؟".

قالت بريّة: "لا. ولا أفهم سبب اهتمامك بالأمر حتى. هذه المسألة قديمة".

"أنا أبحث عن كاتب يُدعى كلارك. س. بوروز. لقد أنتجَ هذا الكاتب إصداراً وحيداً مع دار النشر الخاصة بكم، ولعلّ هذا هو النشاط الوحيد والأخير للكاتب". تلاشى صوت جينا، فنادها بِن: "سيّدة سولومون، هل تعرفين أي شيء عنه؟"

"نعم، لقد كان بوروز صديقاً لوالدي... لنا، للعائلة".

"هل من طريقة يمكنني من خلالها التحدث معه؟"

قالت: "لست واثقة". أصبح صوتها أكثر سكوناً وجدية. رماني بن نظرة خاطفة. "اختفى بوروز منذ وقت طويل، وما عاد يستقبل أي زوار. . أنا أشك بأنه موجود في ذاك المنزل حتى. بدا أكثر حزناً بعد أن أخبره والدي بأن دار النشر ستغلق أبوابها، وما من طريقة لنشر الكتاب مرة أخرى، إلا عن طريق التعامل مع ناشر آخر".

"وما الذي منعه من النشر من جديد؟"

قالت: "معظم دور النشر، رفضت العمل لسبب غير مفهوم. في كل الأحوال، ما كان للكتاب هدف حقيقي، وحين قرأته بدا لي أنه ليس إلا مجموعة خرافات، وقصصاً مرعبة، لكنها لا تناسب الأطفال إلى حد ما". بدت حائقة وهي تقول هذا. "إن ذاك الرجل لا يمكن توقع أفعاله، أو حتى أوقات ظهوره وغيبابه. مزاجيته هي التي قادت به إلى هذه النهاية".

بدا لي أنها تعرف أكثر مما تقول. سألتها بن: "هل لي بعنوان منزله، أو رقم هاتفه؟"

"دونه". أملت العنوان، فدوّنته أنا. "إذا عثرت عليه، أرجو أن تطلعي على هذا، فأنا أيضاً أشعر بالقلق حياله من حين إلى آخر".

"سؤال أخير".

"ماذا؟" قالت بنفاد صبر.

"هل كنت تعرفين أي شيء عن أبحاثه المتعلقة بالكتاب؟ أم أنك اطلعت عليها بعد الطباعة؟".

أصدرت جينا همهمة، تنث من غرقها في التفكير، ثم قالت: "ما

أعرفه فقط، هو أنه كان يطارد حكايات خرافية. كانت هذه القصص تعجبني قبل سنوات طويلة، حين يرويها عليّ، لكنني الآن حين أعود إلى تلك المقالات، أجدها مضحكة وبعيدة عن الواقع كبعدنا عن رُحل".

"شكرًا لك". أراد بن الهرب من غضبها المتدفق.

ما إن طرح السماعه حتى قلت له: "إنها تعرفه جيدًا".

قال لي: "هذا واضح، لكنها لا تريد الاعتراف بذلك، ولعلها كانت على علاقة به، وهذا ما منعها من قول الحقيقة لنا". كان تخميناً منطقياً.

خرجنا معاً أنا وبن، من دون أن ترافقنا كريستين، أو حتى تتساءل عن السبب الذي دفعنا إلى طلب مساعدتها. قاد سيارته بحثاً عن العنوان المدون بدقة، وتطلب منا هذا أن نتوة مرتين. أخبرته حينها بأنني عثرت على باتريشيا بالصدفة، وكنت أتوقع من الفتاة أن تعود إلى منزلها، وهذا سيتطلب مني زيارتها هي أيضاً.

"جوليا ماكنيل اختفت أيضاً".

لم يكن بن يعرفها معرفة حقيقية بطبيعة الحال، فكل ما يعرفه هو أنها فنانة، لكنه لم يقابلها بالفعل، وهذا يقوده إلى نفس النتيجة التي وصل إليها بران. أخبرته بشكوكي، وبطريقة اختفائها، وبمحاولتها جعلي أعتقد بأنها ليست موجودة في الواقع.

"أحدهم أخفاها؟"

"لست واثقة. قُلت، هَرَبَت، أم اختطفت. لا أعرف ما هو مصيرها

حتى". فكَرَّ بِن فِي الْأَمْرِ، وَقَرَّرْتُ أَنْ أَتْرِكَ مَسْأَلَةَ الْبَحْثِ عَنْ جُولِيَا
مَآكِنِيلِ فِي الْقَائِمَةِ أَيْضًا.

حِينَ وَصَلْنَا إِلَى الْعَنْوَانِ أَخِيرًا، وَجَدْنَاهُ مَنْزَلًا مَكُونًا مِنْ طَابِقٍ
وَاحِدٍ، تَحِيطُ بِهِ الْأَشْجَارُ مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَتُحْجِبُ الشَّمْسُ عَنْهُ
بَشْكَلٍ كَبِيرٍ. كَانَ مَكَانًا فَارِغًا، وَالطَّلَاءُ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَغْطِي أَلْوَا حِ
الْخَشْبِ الْخَارِجِيَّةِ، كُلُّهَا أَشْيَاءٌ قَدْ بَهَتَتْ وَتَأَكَلَتْ.

"الْمَكَانُ فَارِغٌ حَتْمًا".

أَخْفَضَ بِنُ رَأْسَهُ وَتَحَرَّكَ ببطءٍ حَوْلَ الْمَبْنَى. "أَنْتِ مُحَقَّةٌ، لَا أَعْتَقِدُ
بِأَنَّ أَحَدًا يَعِيشُ هُنَا". لَمْ يَكُنْ هَذَا الْحَلُّ الَّذِي أَرَادَ بِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ.
تَقَدَّمَ وَتَجَاوَزَ صَفَّ الْمَنَازِلِ، ثُمَّ تَرَكَ السَّيَّارَةَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، حَتَّى
لَا يَوْجِي لِأَيِّ مِنَ السَّكَّانِ بِأَنَّهُ هُنَا، لِيُزُورَ هَذَا الْمَنْزَلَ.

سَأَلَتْهُ: "أَنْتِ لَا تَفَكِّرُ فِي اقْتِحَامِ الْمَكَانِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ".

تَرَجَّلَ وَهُوَ يَقُولُ: "سَنَطْرُقُ الْبَابَ أَوَّلًا".

تَبِعْنَاهُ إِلَى الْخَارِجِ، وَسَرْنَا تَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ الْعَارِيَّةِ، عَلَى طَوْلِ
الرَّصِيفِ الْفَارِغِ. تَخَطَّيْنَا سِيَاحَ الْمَنْزِلِ الْأَبْيَضِ الصَّغِيرِ، وَوَصَلْنَا إِلَى
الْمَدْخَلِ. طَرَقَ بِنُ الْبَابَ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَجِيبَ أَيُّ أَحَدٍ إِلَى هَذَا النِّدَاءِ،
دَارَ حَوْلَ الْمَنْزِلِ بَحْثًا عَنْ أَيِّ مِفْتَاحٍ.

"مَا تَفْعَلُهُ هُوَ مَا سَيَلْفَتُ الْإِنْتِبَاهَ".

لَوْحٌ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَأْسٍ: "مَا مِنْ حَلٍّ آخَرَ".

سَرَتْ حَوْلَ الشَّرْفَةِ، وَصَوْلًا إِلَى النَّافِذَةِ الْمُطْلَةِ عَلَى الْحِجْرَةِ

المقابلة لمدخل البيت. "حسناً، هناك حيلة تعلّمتها في صباي، لعلّها تنجح حتى هذه اللحظة". عقدَ حاجبيه، فيما أمرته: "ساعدني في هزّ الإطار الخشبي للنافذة. حاول أن ترفعه، وقم بتحريكه يميناً وشمالاً، حتى يتداعى القفل الداخلي".

"هل ينجح هذا؟" قبل أن أجيبه، كانت محاولتنا قد حطّمت قفل النافذة الذهبي العتيق.

تدفقت رائحة العفن والغبار، وشيء ما لا يمكنني تمييزه. تلقّتنا حولنا لتؤكد من أنّ أحداً لم يكتشف أمرنا، ثم سبقني بنّ إلى الداخل، وساعدني في تجاوز الفسحة المكشوفة. وقفنا على الأرضية الخشبية الباهتة، وكان الغبار قد نجح في بلوغ جوف المنزل، وهذا يُعبت لنا أن بورون، لم يكن هنا منذ وقت طويل.

فتّشنا حجرة المعيشة، وقبل أن نصل إلى حجرة النوم، وجدنا ما يلفت انتباهنا أكثر من أي شيء آخر في المنزل. كان مكتب بورون، عبارة عن حجرة ضيقة، بنافذة صغيرة، تطلّ على الفناء الخلفي، ولا تعزز وصول الضوء إلى الداخل. ما تسرّب من ضوء كان يكفي لأن يكشف لنا الجدار الصغير الذي تغطى برسومات هزلية وطفولية لأزورا، أو يدرا، أو حتى الكيان المعروف باسم ليثيليا.

الملكة في الرداء الأحمر. كُتبت هذه الكلمات القليلة فوق الصورة.

وُجدت العديد من الرموز التي كانت مكتوبة بطلاء أسود عريض جفّ وأتلف الأوراق التي طُبِعَ عليها. كانت هناك صور مرسومة بقلم رصاص، تظهر فيها بعض الملامح الأكثر وضوحاً من الرسومات السابقة. كانت الصور تشبه ما رأيته في مذكرات جون لازاروس.

العديد من التقارير، والمذكرات، وأوراق الصحف التي تفاوتت تواريخها.

"إنه بحث يشبه بحثك".

وقف بن أمام الأوراق، وهمس متعجباً: "لكن هذا يفوقني قدرة على التنقيب. هذا الرجل كان يبحث عن إجابات أيضاً". تقدّم بن نحو الأوراق، وقال: انظري إلى هذا: "سالي ثورنر، تبلغ من العمر ٢٤ عاماً، انتحرت في مصحة هيل روك قبل اثنين وعشرين عاماً. كانت الفتاة، تردد: "زلزلاً سيصيب المدينة، وهذا يتبع صحوتها" في التقرير المذكور عن حالتها، يُذكر أنها نحرت عنقها بنفسها، وهذه أصعب محاولات الانتحار، وأقلها نجاحاً في النجاة؛ لكن الفتاة تمكّنت من ذلك".

أشرت إلى الورقة المرافقة للمقال: "زلزال أصاب ساوث باي، بالكاد كان الأمر ملحوظاً، لكن هذا تبع موت سالي بأربعة أشهر فقط". أضفت: "لا يوجد أي ضحايا". كانت هناك مقالة أخرى تتعلق بزلزال آخر حدث قبل ٤٣ عاماً. أشرت بإصبعي إلى الكلمات المكتوبة.

جاورني بن ليقراً الكلمات المكتوبة. "سبعة وعشرون شخصاً يراودهم المنام ذاته، في إحدى المدن الغربية. لم يذكر اسم المدينة، ولا يوضح المقال ما إذا كانت ساوث باي أم لا".

"سبعة وعشرون شخصاً يحلمون بالشيء ذاته". تساءلت عن مدى فعالية هذا الأمر، وبدا لي أنه ضرب من الجنون. "انظر إلى هذه المقالة، إنها تتحدث عن التجارة البحرية لساوث باي، إلا أن بورون،

قام بتحديد سطر وحيد من هذه المقالة. (تفادياً لتكرار حادثة التخريب وإغراق جميع السفن التي وصلت إلى ميناء ساوث باي في الأول من مارس عام 1912م) يبدو لي أن بوروز أراد فقط الوصول إلى هذه الحقيقة، فالحادثة قديمة، ويصعب إيجاد أية صحف تتحدث عن الأمر، لكن هذه المقالة تعود إلى الخمسينيات، وهي تتحدث عن حادثة حصلت في مطلع القرن".

لدى الرجل طريقة ذكية في تتبع التفاصيل.

قرأنا مقالة أخرى متعلقة بأستاذ جامعي، أقدم على قتل زوجته وعلى الانتحار بعد ذلك، وكل ما عثرت عليه الشرطة هو شعار لزوبعة كبيرة على جدار الحجرة، كانت مرسومة بدماء الزوجة. وجدنا حوادث أخرى لا تقل غرابة عن هذه، وكلها ظلت مبهمة من دون أي تفاصيل.

وجدنا أخيراً ورقة مصفرة تعود إلى بداية عشرينات القرن الماضي، وهي تتحدث عن احتراق عذبة ريد ستون، ورأيت الصورة الضبابية أحادية اللون، التي كانت تصور قصراً كبيراً يشتعل بنيران بيضاء انعكست على عدسة التصوير.

"لماذا يبحث خلف ريد ستون؟" تساءلت.

"لأنه منبع كل الشرور التي نطاردها، ولأنه المكان الأغرب هنا".

قلت لـ: "لكنه كان قصراً في السابق". هناك نبأ آخر لكنه هامشي وأقل أهمية من مسألة الاحتراق، يوضح افتتاح مبنى ريد ستون الحالي، وهذا بعد سنوات قليلة من احتراق الأقصر. كان المبنى مبنياً

على أطلال القصر.

انحنى بن ليقرأ المقالة المكتوبة على الورقة. "انتحار مالك مبنى ريد ستون".

دنوث من الورقة وحاولت قراءة التفاصيل الصغيرة مستعينة بضوء الشمس. سيباستيان ستون عن عمر يناهز الثالثة والخمسين. كان في سن يبعده عن اليأس المتوقع للحياة، فهو على الأقل يمتلك سنوات أخرى ليحيها وسط هذا النجاح. أقدم الرجل على قتل نفسه في نهاية الثلاثينيات.

"هل تعتقد أن هذا يشمل نوعاً من أنواع الطقوس؟ أم أن لعنة تتسبب في قتل كل الأشخاص الذين تقاطعت حياتهم مع المبنى؟" انتزع بن كل الأوراق، ثم قال: "أخشى أنني لا أملك أية إجابة".

كل تلك الأوراق احتوت على أخبار تدور حول المبنى بطريقة أو بأخرى، وكل شيء ذكر فيها كان أكثر من أن نستوعبه أو نطلع عليه كله. جمع بن الأوراق، وعزى الجدار من دون أن يكثرث لعودة الرجل إلى المنزل مرة أخرى، كما لو أنه واثق من تلاشي بوروز.

استمرّ تفتيشنا في المنزل، وكل ما عثرنا عليه بعد ذلك، هو قطعة معدنية كانت مخبأة أسفل سريره في علبة ورقية، تغلفها قطعة من القماش الأسود المهترئ. نُقشت على القطعة بعض الحروف الرومانية، كانت تلك العلامات مماثلة لما رسمه ويلينغ، لكنها كانت محفورة على المعدن بدقة عالية. كانت القطعة عبارة عن طبق معدني دائري، جوفه فارغ.

"أنا أعرف هذا الشيء".

"حقاً؟" سألني بن.

"ليس تماماً، لكنه يشبه الطلسم الموجود في العلية، في صندوق جون لازاروس". أخذت القطعة من يده وقلت: "إنها قطعة مكملة لما كان بحوزتنا... هذا ما أتصوره". أخفيثها في حقيبتني، وكان حجمها يضاعف القطعة التي وجدتتها في العلية، ثم خرجنا بسرعة من المنزل، بنفس الطريقة التي دخلنا بها.

ملأت سيارات الشرطة شارع مالكوم، وحين وصلنا إلى العقار 34، عرفت بأن السيارات كانت تطوق المنزل الصغير. كانت شمس العصر تلمع فوقنا، وكل ما بي من طاقة، قد تبدد قُبيل وصولنا إلى منزل والدّة باتريشيا. أثارَ وجود السيارات خوفاً، وحين توقفنا هرعث جرياً إلى المدخل، إلا أن رجال الشرطة منعوني من التقدم.

"ما الذي حدث هنا؟" سألت الشرطي، لكنه دفعني برفق خلف الشريط الأصفر. "أنا أعرف المرأة الموجودة هناك". عقد حاجبيه، وسألني ما إذا كنت حقاً أعرفها، وأن هذه ليست مجرد محاولة لإرضاء فضولي. "أنا أعرفها، علي أن...".

تلاشى صوتي، حين رأيث والدّة باتريشيا تخرج يجزّها رجلاً شرطة، والدماء تغطي منامتها البيضاء. راقبَ بن المرأة من خلف الشريط الأصفر، ثم سأل الشرطي: "ما الذي يحدث هنا؟ نحن نعرف هذه المرأة". كانت العجوز تتمتم بكلمات غريبة، وتهذي بصوت يسمعه كل الموجودين.

انتبهت إلى وجودنا أنا وبن، قبل أن ينقلوها إلى الشاحنة الواقفة أمام الباب. "ها أنتِ ذا، ليحرر الشيطان نفسه، ويطلق كل الشرور". جزّوها بعناد أكثر، لكنها حاولت أن تفلت منهم، وهي مكلبة اليدين. "أنا أراك، لكن هل ترين ذاتكِ؟"

صوّبت الأعين كلها علي.

"أي نوع من المعرفة تجمعكِ بها؟" سألني، ثم أضاف: "لعلكِ بحاجة

إلى رؤية المحقق". وافق على هذا، فقط لأنني أريد أن أعرف ما حدث.

"أخبرني أولاً ماذا حدث معها".

قال لنا الشرطي، فيما هو يراقب المرأة حتى أغلق الباب عليها. "أثارت الضوضاء انتباه الجيران، وسمعوا صراخ الابنة، لكن حين وصلنا، كان الأوان قد فات". كتمت فمي. "قتلتها والدتها. يقولون بأنها كانت تتسبب لها بالمتاعب، ودائماً ما اشتكت منها أمامهم".

"لكنها لن تقتلها حتماً". قلت. التفث نحو بن. تشبث بذراعيه. "أنا السبب في هذا. حذرتني، لكنني أرغمتها على العودة". بكيت، واستسلمت لهذه الرغبة. "حذرتني من أنها لا تريد هذا، وقالت إن مصيرها سيكون مثل مصير كالفن".

طوّقني بن بذراعيه، وأبدى استعداداً لمواساتي. لم أستغرب من طريقته المفاجئة، لأنني أردت أن أتداعى فقط. "اهدئي يا إيسيا. ليس لك ذنب في هذا".

"أرجوك، أحتاج لأن أرى ما حدث".

"لا يمكنني، فهذا موقع جريمة. ثم إنني لا أنصحك". رأيث المحقق يحاول تجاوز الشريط الأصفر فناديتة، ورجوته أن يطلعني على موقع الجريمة.

سألني الرجل: "ومن تكونين؟"

قلت: "أنا صديقة لهما. أنا من أعادت الفتاة إلى المنزل".

"حسناً، يبدو أن هناك تفاصيل يجب أن تُقال". رفع حاجباً واحداً، وحكّ ذقنه بسبابته. طلبت منه أن يطلعني هو على موقع الجريمة، فسألني: "ما أهمية هذا بالنسبة لك؟"

قلت: "أريد فقط رؤية الفتاة. أشعر بالذنب لأنني تسببت بهذا".

حذرني بن: "إليسيا، لا تتفوهي بهذا الغباء. سيؤخذ كلامك على محمل الجد". أدركت حجم المخاطرة التي أقدمت عليها، إلا أن المحقق الشاب تفهم هذا، ورفع الشريط. تبعتني مايرز، رغم أن نظرات المحقق كانت توحى برفضه لوجود شخص إضافي. لحقت بنا أعين رجال الشرطة، وفي الداخل ومضت أضواء عدسة التصوير الخاصة بالفريق الجنائي.

حين وصلت، وجدت جمّة الفتاة مغطاة في حجرة الطعام، وآثار العنف تظهر بوضوح على الطاولة البنية. ثم على الجدار الوحيد العاري، وجدت زوبعة أخرى من الدماء. التفّث نحو بن، وقلت: "انظر إلى هذا. الأمر يتكرر".

"إليسيا، كفى". لم أفهم سبب إسكاته لي، إلا أن المحقق حين سألني عن معنى هذا التكرار، شرحت له مسألة موت كالفن ويلينغ وتكرار العلامة في رسوماته. لا يوجد رابط واضح بين انتحار الرسام وجريمة القتل، إلا أن الرمز هذا يتكرر.

"لقد كنت هناك، في يوم الحادثة، لكن الرمز...".

قلت: "كان موجوداً في شقته". اعتصر الألم قلبي، حين رأيت اللحاف الأبيض ملوثاً بالدم. أنا السبب في هذا، ولا أستطيع منع

الإحساس بالذنب من التفاقم.

"أعتقد بأننا التقينا من قبل أيضاً". علّق المحقق. "أنا أدعى دانيال هولم بالمناسبة". شرح لي هولم: "التقينا من قبل في ريد ستون، حين سقطت تلك السيدة من فوق الدرايزين".

صححت له: "ألقت بنفسها".

ردّد هو: "هذا صحيح، ألقت بنفسها".

"انتحرت المرأة في كل الأحوال".

تقوّست شفته، وفي عينيه ظهر شيء من المرح الغريب. "عاصرت محاولة انتحار، وانتحار فنان شاب، والآن جريمة قتل. ألا يبدو أن هذا كثيرٌ عليك". بحثت عن الشك في عينيه، ولم أعر سوى على المكر. إلى أين يستدرجني؟

"حسناً، هناك الكثير من العمل ينتظرك". علّق بن لي دفاع عني.

ابتسم المحقق بشكل صريح هذه المرة. "أنت محق. أنت محق يا...".

"بنجمن مايرز".

التفت المحقق نحوي، وقال: "أنت... سأذكر وحدي".

"إليسيا روزوود". اختصرت عليه وقت المحاولة.

عرض علينا: "ما رأيكما، لو انتقلنا إلى خارج هذا المكان، وستحاولان أن تشرحا لي شكل علاقتكما بهذه العائلة، وكيف آلت الأمور إلى هنا". لا شيء سيفسر وجود جريمة القتل، لكن الاعتراض

لم يكن خياراً مطروحاً في هذه الأثناء.

تعيّن علينا أن نستأنف حديقنا في الخارج، ولحسن الحظ كان الشعاع الذهبي يمدّنا ببعض الدفء، لأن أسئلة دانيال هولم تعددت. أراد أن يعرف كل شيء، وأصبح علينا أنا وبين أن نخلق كذبات صغيرة لتفادي الحقائق الجنونية، التي لن يصدقها أحد.

"هل قلتَ بأنها تعيش في ريد ستون؟"

"كانت كذلك، لكنها هربت بعد انتحار ويلينغ. حدث هذا قبل أيام، وكانت ستعيش مشردة من دون أي مأوى، لهذا السبب لجأت إلى والدتها". شرح الأمور بدقة بالغة، وذكرث كيف نلث عنوان هذا المنزل من باتريشيا. "رحبت والدتها بعودتها، إذا ما كانت الفتاة ستغفر حقاً".

"هل كانت متهورة؟"

"لم أقابلها في ريد ستون إلا مرة واحدة، والثانية كانت مساء أمس".

قال لي: "رغم هذا أنتِ تحاربين للوصول إليها، حين منعكِ من ذلك رجال الشرطة".

"لأنني أنا من عرضَ عليها العودة. أشعر بأنني أتحمل مسؤولية ما حدث. لو أنني تركتها تتصرف بحرية، لما تهمت عليها والدتها". أضفت بسرعة: "ثم إنني أشك بأن والدتها ستقدم على شيء كهذا. يستحيل أن تقتل الفتاة، بعد أن رُحبت بعودتها".

"من تعتقدين سيكون الفاعل إذا؟"

هدوء صوته كان يغضبني. "لا أعرف. أنا. . أنا عاجزة عن استيعاب الأمر".

"إنها في حالة صدمة". قال بن. "سنكتفي بهذا القدر من الأسئلة، وإذا ما أردت شيئاً فيمكننا أن نتحدث لاحقاً حول الأمر. ليس لدينا أي شيء حقيقي من شأنه أن يساعدك في التحقيق يا سيدي". أراد هولم المزيد، لكن بن قال بحزم: "استغرق الأمر ما يكفي من الوقت بالفعل".

انخفضت الشمس بشدة، تمددت الظلال على الأرض، حتى كادت كل المعالم تمتزج ببعضها، وتختفي خلف النور الذهبي الذي غطى السماء. سرنا معاً نحو السيارة، وحين جلسنا منحنين بن بعض الوقت حتى أستوعب ما حدث للتو.

"لم أر شيئاً. كانت الدماء تغطيها".

علق: "هذا أفضل".

"لو أنني تركتها ترحل".

"ليس عليك أن تلومي ذاتك. إن الجانية والدة الضحية، وهي لا تكثرث لما حدث حتى". أخبرته بأن المرأة لم تكن بوعيها، وعليه أن يتذكر شكلها حين خرجت من المنزل. لا يمكن أن يكون الأمر حدث بإرادة الأم.

انطلقت السيارة مبتعدة عن زحام الشرطة. كنت أشك أن هولم سيتركنا في حالنا بعدما حدث، وسيظهر أمامي مرة أخرى، لأنه يعتقد بأنني حلقة أساسية في هذه الجريمة.

*

"لقد تأخرت". علّق بران ما أن رأي.

"كان لديّ المزيد من المهام". طرح حقيبة يدي الثقيلة على الأريكة، ثم جلست متجاهلة وجود بران. كان عليّ إخباره بالحقيقة، قبل أن يظهر هولم ويفضح الأمر بطريقة ما، لكنني لست مستعدة للقيام بهذا الآن. لا يمكنني أن أتحمّل المزيد من لوم براندون، أو حتى سماع تعليماته.

"كدت أنهي الرواية". قال بانتصار.

سألته متعجبة: "أبهذه السرعة؟" عقد حاجبيه، فبدوث كما لو كنت أحسده على إجادته في العمل. "تستغرق عادة وقتاً أطول في الكتابة".

"تبقي الربع الأخير من المسودة، وسيكون كل شيء كما توقعث. أنا أيضاً أتعجب من نفسي لأنني أنجزت هذه المهمة بسرعة. كنت أتوقع أن يطول الأمر، لكنني على الأقل اختصرت الوقت الآن". أصبح وجهه طفولياً، وهو يتحدث بحماس عن مخططاته القادمة.

"ماذا عن لامبير؟"

"ماذا عنه؟ هو أكثر شخص يريد هذه الأوراق". خلعت معطفي، واسترخيت فوق الأريكة. "ما من سبب يقودك إلى العمل كل يوم، إن كنت تشعرين بالإنهاك. يمكنك ببساطة البقاء في المنزل، فأنا لا أريد أن أعرض حياة الجنين إلى الخطر".

قلت معترضة: "أنت تعرف أن هذا غير ممكن. لا شيء يواسيني هنا إلا العمل".

"لماذا تحملين نبرة التأنيب في صوتك دائماً؟ كل ما أقدمه لا يعجبك".

"أنت محق. سيعجبني الأمر، إن وجدت مكاناً آخر".

نهض بران من مكانه، وابتعد عني. "سأخرج لبعض الوقت. سأكون مع مارك". شعرت بالخوف من هذه الفكرة، وحاولت الاعتراض مرة أخرى.

"أنتما صديقان الآن".

أكد لي: "نعم نحن صديقان، وفيلاسكو يقدم لي أكثر مما أطلب حتى".

قلت: تتحدث كما لو أنني كنت سأنتقده".

"لأنك ستفعلين". كان محقاً، وقبل أن أعبر عن مخاوفي تجاه فيلاسكو المزيف هذا، رحل بران، وتركني. تساءلت عن الوقت الذي يقضيه برفقة ذاك الرجل، وعن سبب وجوده معه معظم الوقت. لا يمنحني بران أية تفسيرات لهذه المسألة، ولا أعرف أين يكون حتى. لا يمكنني الوثوق في ذاك المعالج، أو حتى الإحساس بالأمان، فيما بران يقضي الوقت معه.

بحث بين أشيائي، وعثرت على القطعة المعدنية التي كانت هنا، لكن ما لم أجده هو الكتاب الخاص بالأخت سيسيليا، والهوية المزورة الخاصة بمارك فيلاسكو. أحدهم سرقها، لكن الدهشة لم تنل

مني هذه المرة، لأنني كنت أتوقع الأسوأ. لو كنت أبقيت الأسطرلاب المعدني في مكان واضح، لكان قد شُرق أيضاً.

وضعت الحلقة المعدنية الكبرى على طاولة الزينة في غرفة نومي، وقمت بتثبيت الأسطرلاب في قلب الساعة، ثم حركت الحلقات الداخلية، حتى توقفت عن الحركة فجأة. رأيت الرموز المحفورة تتحرك تلقائياً، ثم لم يحدث أي شيء على الإطلاق.

رحت أجدق في القطعة المعدنية طويلاً على أمل أن يتغير هذا العبات، ثم سمعت صوت الهسهسة وراء باب الحجرة. تغيرت الأصوات، وتحولت إلى وقع خطوات سريعة، ثم ضربة قوية على الباب. تلاشى نور الممر المتسرب من الأسفل، وتحول إلى بريق فيروزي غريب.

حين فتحت الباب، وجدت أمامي رواقاً حجرياً على جدرانه الجانبية نُحتت بعض العلامات الغريبة، وفي نهايته وجدتُ مخرجاً يقودني إلى سلم حجري قصير. قطعْتُ طريقي إلى هناك، وتبدل إحساسي بالواقع، كما لو أنني كنت أسير في حلم. أنا واثقة من أن هذا مجرد منام، لكنه اقتحم الواقع بطريقة ما، فكل هذا العالم لا يمكن أن يقبع خلف باب حجرتي.

وصلتُ إلى نهاية السلم، فاندفعت رياح دافئة، وحين صعدتُ وجدتني أقف في بهو حجري ضخم. كان المكان أشبه بأبرشية عتيقة، وبدلاً من أن أجد أمامي مذبحاً، كان هناك مجسم ضخم لفتاة بدت حقيقية. لم يكن هذا مجسم العذراء، بل كانت فتاة في منامة من الدانتيل الأبيض، وشعرها الأسود ينسدل على كتفها. كانت

جميلة، وبيضاء بشكل شاحب، كما لو أنها تجمدت هناك.

أردت أن أقرب منها، وأن أرفع يدي لألمسها. كانت بعيدة، والأغصان تمسكها في الجدار وتطوق كل أطرافها، كما لو أنها هي ذاتها نمت على هذا الحائط.

"لا تفعلي هذا". أمرني أحدهم.

حين التفث، وجدت امرأة غريبة تقف خلفي بعياب الراهبات، لكن شيئاً مختلفاً كان يشوبها، فهي لم تكن راهبة، فرأسها مكشوف جزئياً.

"من أنت؟ ما هذا المكان؟"

أجابت بسؤال: "كيف وصلت إلى هنا؟ لا أحد يبلغ هذا المكان إطلاقاً". تقدّمت نحوي، وتركت مسافة جيدة بيننا رغم هذا. كانت قلقة من وجودي.

"هذه ليست إجابة سؤالي".

قالت بصبر: "أنت هنا، وتساأليني من أكون. هذا غريب! أنت هي الدخيلة، ولست أنا، فهذا المكان ليس لك، ولا يجب أن تكوني فيه. أمالك يعيشون هناك، على الجانب الآخر". لا يوجد ما يدعى الجانب الآخر؛ هناك جزء حقيقي، أتيث منه إلى هذا المكان الغريب.

"أخبريني أولاً، أين أنا؟" اهتزّ جسدها، ثم حاولت إخفاء ضحكتها، لكنها لم تبذل جهداً لذلك، لأنها أرادتني أن أشعر بالسخرية من جهلي. كنت غاضبة بسبب هذا العجز، وأردت أي تفسير واضح. "أنا لا أحلم، أليس كذلك؟"

"إن تكرار الأسئلة يُعَبِّت الخوف".

"أنا لا أحلم... هذا حقيقي".

"أنه يعتمد على ما تؤمنين به. بالنسبة لك هو وهم. . . منام".
أولثني ظهرها، ثم رددت: "بالنسبة لي، هو عالمي الذي أعرفه". لم
تطلعني على هويتها، أو سبب وجودها هنا، أو حتى الطريقة التي
نقلتني إلى هذا المكان. كانت الشرفات المكشوفة تنقل إلى الداخل
بعضاً من ضوء شبيه بضوء الغسق، وخلف المرأة كانت النجوم تلمع
من أقرب مخرج إلى الشرفة.



حين خرجت نحو الجهة الوحيدة المكشوفة، رأيت السماء تبرق بضوء مريح، وهو مزيج من حمرة الغروب، والزرقة الداكنة، مع لمعان ساطع للنجوم. سرث بمحاذاة الدرايزين الحجري، حتى وصلت إلى

مدخل حجري آخر. كان مقوَّساً، وعليه نُحتت صورٌ للشمس.

دلفث إلى الداخل، وبدا المكان كحجرة واسعة، كل شيء فيها مبعثر، ورغم الفوضى بدا المكان جميلاً. كان هناك شيء يجعلني راغبةً في البقاء هنا. هذا الإحساس بالراحة المتواصلة، كان يتدفق من دون توقف، حتى بثّ أشعر بالألفة سريعاً.

وجدتُ قنديلاً وحيداً يضيء الغرفة من الزاوية البعيدة عن النوافذ الضخمة، التي كانت تطلُّ على ساحة مليئة بجداول الماء، وسعف النخيل الذي تمايل مع الرياح العاتية. ظهرَ أحدهم من خلف خيوط الظلال العريضة. كان رجلاً ثيابه سوداء أنيقة.

انكشفَ وجهه تدريجياً، فسألتُه: "أنت جون لازاروس، أليس كذلك؟ أنا أعرفك".

"ما كان عليكِ القدوم إلى هنا".

"هل تعرفني؟"

قال لي: "لقد تحدَّثنا سابقاً. أنتِ تبحثين عن الإجابات، والظلام لا يمنح أحداً إجابة. ما كان عليكِ الخوض في كل هذا، لأنكِ ببساطة تدمرين ما فعلته من أجل الجميع".

"ماذا فعلت من أجل الجميع؟"

تقدَّم نحو الشرفة، وانعكس ضوء الغسق على محياه. "أحميهم. أحاول القيام بهذا على الأقل".

"تحميهم ومم؟"

"الملكة القرمزية، لقد قطعث معها عهدًا، يبقئها بعيدة عن الآخرين، لكنهم يريدون عودتها بأي طريقة، وهذا ما لا يمكنني القبول بحدوئه. أولئك الأوغاد يسعون إلى موت الجميع، وما كنت لأفرط بحياة أخرى، بعد أن خسرت روزالي إلى الأبد".

"تلك الفتاة في المذبح... هي روزالي؟" أوما برأسه. "ومن تكون؟"
"أنتِ تطرحين العديد من الأسئلة يا إلسيا، وهذا أكبر من أن تفهميه. حين قررث القدوم إلى هنا، كانوا جميعاً ينوون القضاء علينا أنا وهي. لقد قتلوها بالفعل، لكنني سأستعيدها. الملكة القرمزية وعدتني بأن تعيد كل شيء إلى ما كان عليه".

قلت بانفعال: "لا وجود لها".

"صه. سثغضبئنها بهذا القول".

"أئن هي؟" اتسعت عئناه بسبب الخوف.

"ألم يكفئك ما حدث؟ لقد برهنث لك بأنها موجودة، وكان من الصعب علي أن أقنعها بالعودة إلى هنا. كلانا حبئسان في هذا المكان، من أجل استمرار وجودكم أنتم، لكن أي منكم لا يستطيع أن يفهم مقدار التضحية التي نقدّمها".

"هل هي من قتلت هئلئنا ستون؟"

قال: "هذا ما أرادتة تلك المرأة في الواقع".

"لم تكن تلك إرادتها، أو رغبتها حتى. هناك من يحاول التلاعب بها، والتلاعب بالجميع. لا يمكن لهذا الشيء المزئف أن يقتل كل هؤلاء

الناس".

ابتسم لازاروس: "حسناً، هذا هو اعتقادك أنت".

كاد ضوء الغسق أن يتبدد حين عبرت موجة أخرى من الرياح رفعت الستائر الحريريّة. "إن كان هذا الشيء موجوداً، فهو بطريقة ما ما يزال يحاول القضاء على الآخرين. هناك شيء ما يحرق عقولهم على الجانب الآخر، ويجب إيقافه".

"لا يمكن إيقافها. لقد قطعنا عهداً معها".

"لا بدّ من وجود طريقة ما".

سألني بانفعال: "لماذا تريدون أن تعثري على أي حل. إطلاق هذه القوة سيدمر كل شيء، وأنت لا تريدون حدوث هذه الكارثة في عالمك. أنا أنال انتقامي بهذه الطريقة، ولا يمكن أن أسمح للفوضى بأن تتجدد". التقط أنفاسه، ثم استعاد هدوءه تدريجياً.

تلاشى ضوء الغسق مع تطاير الستائر الحريريّة. عبرت الرياح بقوة من الخارج، وشئت انتباهي، ثم رأيت ظلّ أحدهم يندفع نحوي، ويسقطني أرضاً. ارتطم جسدي بالأرض الخشبية، ثم رأسي. شعرت بأن كل تفاصيل عالمي تتداخل، ولم أعرف من هو المتسبب بهذا.

تلاشى لازاروس من أمامي.

حين فتحت عيني من جديد، وجدت نفسي في حجرة غريبة، فيها سرير فردي مجاور للنافذة، والشمس تشرق بوهن خلفها. في الخارج واجهني دهليز قصير أفضى بي إلى باب خشبي ضخم. ما إن تجاوزت الباب حتى كنت أمام بهو واسع.

انتبه الرجل الجالس في البهو إلى وجودي، لكنه لم ينهض من مكانه.

سرت نحوه متماسكة بكل ما أوتيت من قوة. "أين أنا؟"
"أنت في لونيور."

"هل هذا المكان حقيقي؟"
"بالنسبة لنا، إنه كذلك."

رفضت هذه الفكرة، ودرت حول نفسي لأرى تفاصيل المكان الذي علقث فيه. "لا يمكن أن يكون كذلك، هذا ليس إلا وهماً."

"ذاك الشيء". التزم الصمت فجأة، ثم نهض من مكانه، واقترب مني ليهمس: "إنها هنا، وهي... هي قادرة على صنع هذه المعجزات. أعرف أن هذا الأمر يصعب فهمه، لكنه موجود في نهاية الأمر، ولا يوجد أي مهرب من حقيقته". أضاف: "لقد أبرم لازاروس اتفاقاً مع هذا الشيء، وما من حل لإنهاء هذا الاتفاق هنا. عليك إيجاد الأوراق التي أبرم هذا الاتفاق من خلالها، لا بد من وجود ميخاق. لقد قرأت عن هذا في السابق، وأعرف أن هناك ميخاقاً مكتوباً بالدماء، هو ما يجعل الملكة القرمزية تؤدي هذه الخدمة لهذا الوغد لازاروس."

"كيف تعرف هذا؟"

"لأنني أعرفه". قال بتهكم.

"أنت هو بورون، أليس كذلك؟"

رفع حاجبيه متعجباً. "هناك من يعرفني بالفعل."

"لماذا أنت هنا؟"

"لأنني عالق. يعرف لازاروس بأنني أشكل خطرًا عليه، وحين كتبث ذاك الكتاب، أراد أن يكتسب بعض المعلومات مني، لكنني لم أتصور بأنه سيستخدمها لخلق لنفسه هذا المعبد البعيد عن جماعة اليعسوب". فهمت أنه كان يقصد الشبكة الخفية في ريد ستون. "أراد أولئك الناس تسخير قوة ازورا. . . أو أياً كان هذا الشيء، ليؤدوا أشياء تخدمهم. إنهم يبجلونها، لكنهم رغم هذا لم يفهموا كيفية تسخيرها".

"وأنت أجريت بحثك حول الأمر، وقمت بتقديم المفتاح الحقيقي للازاروس. استخدم الرجل البوصلة المعدنية لينقلك وينقل نفسه إلى هنا".

"أنت سريعة البديهة". أدهشتني غرابة الأمر. "لازاروس يعرف جيداً بأنني أستطيع أن أعيد، وأن أعثر على ميثاقه، وأقوم بتدميره، لهذا السبب حبسني معه هنا".

"وخطف روزالي. . . تلك الفتاة هناك".

"روزالي مايرز كانت ضحية من ضحايا جماعة اليعسوب. انتقلت مع لازاروس إلى ريد ستون، وهناك قرروا أن يقتلوها بطريقة ما".

"مايرز؟" تحمل الفتاة نفس الاسم الأخير لـ "علي العودة".

"أنت من استخدم المفتاح، وبإمكانك العودة إن أردت، لكنني لا تسأليني عن الطريقة، لأنني لو عرفتها لتمكنث من العودة إلى حياتي". حاول أن يشرح الأمر بطريقة معقولة. "سيمكنك المفتاح

من العودة إلى أي مكان تفكرين فيه، هذا ليس إلا خيال لازاروس... فقط فكري في الواقع، وستعودين."

"سؤال أخير: كيف يمكنني إيقاف كل هذا؟"

هز كتفيه: "لا أعلم، إن العهد المكتوب منحة لازاروس إلى أحدهم حتى يخفيه عن الجميع. هناك شريك يساعد لازاروس. اعصري على توقيع لازاروس في مكان ما، فهو ذكي، ويعرف كيف يخفيه".

"لكنني لا أعرف من هم شركاؤه".

قال: "تلك المرأة الغريبة. رودريغيز، إنها تعرف شيئاً ما، لكنها لا تبوح لأحد بما تعرفه. تحدثي إليها، فهي أكبر مخاوف لازاروس في الماضي".

أغمضت عيني، وحاولت التفكير في آخر مكان كنت فيه. تخيلت حجرتي، وحين فتحت عيني من جديد رأيتهما تتقدم نحوي. كانت عبارة عن ظل مغطى بعباءة حمراء. تقدمت نحوي بسرعة. تمتعت بكلمات غريبة، وأرادت مني أن أخرجها من ذاك المكان هي أيضاً.

أغمضت عيني، حتى أتخلص من هذا الخوف، ثم استيقظت أخيراً. كنت ما أزال في حجرة نومي، والشمس تكاد تتلاشى خلف النافذة. رفعت جسدي بصعوبة، كما لو أن هذا الحدث السريع استنزف كل قواي. لا وجود لبران في المنزل، والبوصلة المعدنية كانت ما تزال في مكانها فوق الطاولة.

أزلت الأسطرلاب عن الإطار، وأخفيتهما في حقيبة يدي.

بدا أن بن لم يتوقع ظهوري مرة أخرى. وقف أمام مدخل شقته الصغيرة. قادني الخوف إلى هنا، والغضب، وحتى الفضول. "من هي روزالي مايرز؟" سألته. ظل واقفاً أمامي، فاغراً فاه. "هل هي سبب بحثك عن جون لازاروس طوال هذا الوقت؟"

"نعم. . . أعني، إنها شقيقتي".

قلت أخيراً: "لقد عثرت عليها، لكنني أعتقد أن الأوان قد فات".

لم يفهم بن معنى هذا، وحين دعاني إلى شقته، كانت الفوضى قد تفاقت، وكل الأوراق التي تبعثرت على أريكة الطاولة، كانت تتعلق بتحقيقاتنا أنا وهو. جلسنا، ولم يسعَ هو إلى أن يعزز الضوء في الحجرة، لأن المصباح الجانبي المعدني، كان وحده كفيلاً بأن يمدنا ببقعة صغيرة من الضوء.

"ما معنى هذا؟"

قلت: "أخفاها جون لازاروس في مكان ما".

"أي مكان؟" سألني بلهفة.

"لن تصدق هذا، وإذا ما شرحت الأمر لك، فإنك ستعتقدني مجنونة". ظل بن يتوقع مني المزيد من الشرح. "هذه الوصلة الغريبة". أخرجتها من حقيبتني. "هي مفتاح يعمل بطريقة ما، ويمكنه أن ينقلك إلى بُعد شبيه بالحلم، لكنه حلم جون لازاروس".

رفع بصره نحوي غير مصدق ما أقوله، ولم تظهر أي بوادر لإيمانه

بحقيقة الأمر حتى. "هل تقصدين بأنها هنا، في هذا الشيء؟"

"لا، بل هذا هو ما قادني إليها، لكنها كانت ميتة".

طوّق جبينه بكلتا يديه. "ميتة. روز ميتة. كل هذا البحث، من دون أي نتيجة فعلية!".

"لقد رأيته بنفسه".

"هذا غير ممكن". نهض من مكانه، وبدأ بركل كل الأوراق التي جمعها، ثم قلب الطاولة بقوة، وزاد من حجم الفوضى في بيته. "حسناً، يجب أن أتأكد بنفسه، إن كان هذا الشيء حقيقياً، فليأخذني إليها إذاً". تقدّم نحو المفتاح، لكنني منعتة.

"المكان هناك ليس آمناً".

"عليّ أن أتأكد". زمجر.

"توقف يا بن". قلث بحزم.

"اللعنة على لازاروس. اللعنة عليه. هو السبب في هذا".

"لا أعرف كيف ارتبط أمر شقيقتك بلازاروس، لكنه ليس السبب في هذا. أراد حمايتها ببساطة. صنع هذا المكان في مخيلته، لينقل روزالي إليه، لكنه لم يتمكن من إعادتها إلى الحياة. إن قاتل الفتاة، ما يزال موجوداً في ريد ستون على الأغلب، وهو يتبع طائفة اليعسوب التي تستولي على المكان". كان هذا كل ما فهمته من حوار القصير مع لازاروس، وبوروز.

"لقد أحببته. أعرف أنها فعلت ذلك، وأرادت أن تترك كل شيء من

أجله".

"أحبت لازاروس؟"

أطرق بيأس مؤكداً ما قاله. "حضرنا أنا وهي أحد عروضه. حدث هذا قبل أكثر من عامين، قبل أن يختفي لازاروس فجأة، وهناك سنحت لنا الفرصة بأن نتحدث معه، ولم أعلم بأن روزالي كانت معجبة به. التقيا عدة مرات بعد ذلك، وحين علمت بالأمر، حاولت أن أمنعها لأن ذاك الرجل كان... فاشلاً، لكنها قررت أن تمضي معه إلى هناك... ريد ستون".

"ثم اختفيا، وأعتقد بأنها هربت برفقة جون".

"بحثت عنهما في كل مكان، استخدمت كل وسائلتي في البحث، ولا وجود لأي أثر لهما، ثم بدأت الشائعات تنتشر حول ريد ستون، وحول جون لازاروس واحتمالية موته". هذا يعني أن ما قاله لي جون كان حقيقياً. عاشا معاً هناك، وبدأت المؤامرة تُحاك حول روزالي، لكنه لم يتمكن من إنقاذها لأنهم قتلوها بالفعل. "لو لم تكن معه، لكانت الآن على قيد الحياة".

"حسناً، الاحتمالات تُضاعف من حجم الألم، لأن ما حدث قد حدث. كان هذا اختيارها هي، ولم يعرف أحد أن روزالي كانت ستموت هناك". أضفت بسرعة: "لكن السؤال الحقيقي هو: من قتلها؟" إن كان جون لا يعرف، فلن نعرف هذه الإجابة نحن أيضاً.

"ألا يمكننا استخدام هذا الشيء؟"

قلت له: "لن نجازف من جديد".

"يجب أن أحاول".

استسلمت، ومنحته الأسطرلاب، وعلمته كيف يمكنه أن يدير العلامات المحيطة بالبوصلة. بدا على بن الخوف، وحين حاول استخدام الساعة لم ينجح الأمر معه. "لم ينجح الأمر معي أنا في البداية، لكنني حين حاولت الخروج، وجدت نفسي في بُعد آخر".

"لكن. . . لا شيء يتغير الآن". لم أكن أعرف السبب في فشل التجربة هذه المرة. ازداد غضب بن وحاولت مواساته، فحتى الانتقال لن يكون آمناً بالنسبة إليه.

"أصغ إلي. علينا أن نبحث عن جوليا ماكنيل، هي غالباً تعرف الإجابة، ولهذا السبب أرادوا. . .". ومضت في ذهني صورة ما. "أنا أعرف من تكون".

"ماذا تقصدين؟"

"جوليا ماكنيل، أعرف من تكون". رحث أتذكر الصور الموجودة في مكتب فريدريك، وعرفت أين رأيت وجه الفتاة المراهقة التي كانت برفقته. "إنها انجيلا فريدريك، ابنة وليام فريدريك". ضاقت عيناه، وبدأ التشكيك واضحاً عليه. "أنا واثقة من هذا".

"هذا يفسر حيازته على لوحة الملكة في الرداء القرمزي". تحدثنا عن اللوحة وأهميتها بالنسبة إلى فريدريك، ثم تذكرت تحذير بورون، من أن لازاروس يخفي توقيعه في مكان ما، ولعلّ للوحة إشارة أو ارتباطاً بذلك. أخبرته بعد ذلك عن رودريغيز، وأهمية لجوئنا إليها، لأنها على الأغلب تعرف شيئاً لا نعرفه نحن.

لحسن الحظ، كان بن يعرف عنوان تلك المرأة. ولم تنتظر طويلاً؛ بل خرجنا معاً تحت جناح الليل، متجهين إلى منزلها.

حين ضغطنا على الجرس، سألنا أحدهم: "من هناك؟"

"أنا بن مايرز، هل السيدة رودريغيز هنا؟ علينا التحدث إليها."

قالت المرأة: "السيدة كاثرين رودريغيز، لا تستقبل أحداً في مثل هذا الوقت. من الغريب أن تأتي من دون أي موعد مسبق، وبعد حلول المساء، لذلك رجاءً..."

قاطعها بن: "فقط أخبريها، بأن بن مايرز موجود هنا". سمعنا صوت إغلاق الهاتف الموصول بالجرس، وبعد انتظار دام لأكثر من سبع دقائق، سمعنا أزيز البوابة، فدفَعَ بن الباب، وسرَّث خلفه إلى مدخل المنزل. كان المكان عبارة عن بناء فيكتوري قديم، متواضع الحجم، تحيط به من الجانبين مباني أكبر، فهو لا يشبه المنازل الخشبية المتفرقة على حدود ساوث باي.

"لم تخبرني بأنكما اثنان".

كانت العاملة تراقبني بفضول، فقال لها بن: "وما الفرق؟"

لم يكمل حديثهما، لأن السيدة رودريغيز، ظهرت عند نهاية السلم، ترتدي منامة بيضاء من الحرير، بأكمام طويلة، وطوق ضيق عند الخاصرة، يوضِّح شكل جسدها. تحرَّكت برشاقة نحونا، والجديَّة العالقة في ملامحها، لم تغير من جمالها شيئاً.

"بنجمن مايرز، لقد التقينا من قبل".

"هذا صحيح يا سيدتي".

"لكن ما سبب زيارتك الغربية في مثل هذا الوقت؟".

قال: "الأمر يرتبط بأشياء عديدة، وأولها جون لازاروس. يصعب شرح هذا بوضوح، لكنني أعتقد أنكِ تملكين إجابة واضحة على هذا السؤال".

دعنا إلى غرفة الجلوس، وأمرت الخادمة بأن تسكب لنا ثلاثة أكواب من العصير. "اعذروني، فنحن لا نشرب المنبهات في الليل". وضعت ساقاً فوق الأخرى، وعقدت يديها. كانت مستعدة للإصغاء، لكن أنا وبين لم نعرف الترتيب المناسب لهذه الحكاية.

"رأيتك في معرض فريدريك. . . كنت غاضبة بشأن محاولة الاحتيال، وقرأت رسالة تهديدك له أيضاً، لكن من دون علم وليام فريدريك".

رفعت حاجبيها: "هذا فعل شائن".

"كلاهما فعل شائن، التهديد، والتلصص".

"أنت جريئة".

"لا. لست كذلك. أنا. . . آسفة".

"لا عليك، فهذا يعجبني في النساء أكثر، لأنني أكره الضعيفات منهن. هل تعلمين بأن والدتي بذلت جهوداً واسعة من أجل حقوق النساء هنا في ساوث باي؟ أكثر مما عملنا على إيضاح حقوق المهاجرين والعاملين في هذه المدينة القاسية".

"لم أعلم".

أشاحت بيدها: "لا عليك، لم يتذكرها أحد. لو أنا قتلت أحدهم، لأصبحت ذكرها خالدة. كم هو غريب هذا العالم! لا يتذكر سوى الأشرار". ضحك، لكننا لم نضحك. "أخبراني الآن، ما سبب هذه الزيارة بالضبط؟"

"إليسيا قابلت جون لازاروس". أعلن بن.

"حقاً؟ أين؟"

"في لونيور".

"لونيور؟ أهي بلدة؟"

"لا، إنها مكان من صنع خيال لازاروس".

التفتت نحو بن، ثم أشارت إليّ مطولاً من دون أن تتفوه بحرف، وأخيراً قالت: "أهي جادة؟ لأن هذه الأمور لا تحدث في الواقع". أراد بن أن يفسر، لكنها قالت: "إن كنتما تتعاطيان ذات المخدر الذي يوزعه فريدريك، فأنا لا أرغب في أن أهدر وقتي وأناقش هذه التفاهات".

"لا لسنا كذلك". قال بن، ثم راح يشرح لها. "وجدنا ساعة فلكية غريبة في منزل جون لازاروس، حيث تعيش إليسيا الآن، وهناك قطعة أخرى متممة لها في منزل وليام بوروز، والذي اختفى هو أيضاً. كلا الرجلين يحملان جزءاً من أحجية، وكلاهما اختفيا؛ ألا يفسر هذا أي شيء؟"

"لا". قالت.

"بالنسبة لي، هو كذلك. تقول إيسيا، لأنها تمكنت من التحدث إليهما. وبوروز، هو من نصحتها بأن تزورك هنا، لأنك تحملين مفتاحاً يساعدنا على التخلص من مطاردة المرأة الغريبة التي تظهر في صور جوليا ماكنيل، وكالفن ويلينغ".

"حسناً، هذه المسألة بالغة الجدية، بالنسبة لي، فأرجو ألا تتلاعبا بي، وإلا فإن عاقبة الأمور ستكون بالغة".

"هل أنت معتادة على حل الأمور بالتهديد؟"

أومأت وهي تقول: "نعم. . . وهذا ينجح دائماً".

"حسناً، هذه المرة عليك اللجوء إلى الطرق العقلانية والمنطقية".
بدا أن ما قلته قد أهانها، لكنها استجمعت رباطة جأشها، وأخفت تأثير كلماتي عليها. "هناك معاهدة غريبة أبقت بوروز عالقاً في لونيور، وتركت تأثير هذا الكيان على الآخرين يتقدم بشكل سلبي. علينا أن ننهي الأمر بطريقة ما".

"وأين هو هذا الميعاق؟" سألتني.

"لا نعلم. طلبت مني بوروز أن أبحث عنه". أضفت: "لكن علينا أن نعلم أولاً على جوليا ماكنيل، والتي هي أيضاً أنجيلا فريدريك".

"غالباً ستكون الفتاة مع والدها".

"هل هو من اختطفها؟"

"لست واثقة من ذلك. إن فريدريك أبقاها محتجزة في ريد

ستون، لأنه أراد أن يستمد من خيالها ربحاً مادياً، وأيضاً كان يتوقع، أن خيالها سيعزز وجود ذاك الكيان الغريب الذي يتبعونه، ويحاولون إحياءه". لم أفهم ما إذا كانت الصور تعزز وجوده، إلا أن كاثرين قالت: "كل فكرة تعزز قوة ذاك الكيان. الرسومات، الأفكار الخيالية... حتى الحديث عنها. إنهم يستخدمون كل عنصر حي في ريد ستون ليعمل على تعزيز مكانة ذاك الكيان الغريب".

وقعت الصدمة عليّ بشدة. "لهذا السبب هي موجودة في رواية بران الجديدة".

"ماذا؟" سألاني في صوت واحد، فشرحت لهما أمر المسودة الأخيرة لبران، وكيف أن هذا الكيان يحمل تلميحات واضحة عن وجوده بين تلك الأوراق. "إنها هناك أيضاً، وهي تنمو في أفكاره".

"هذا مستحيل". قالت كاثرين ساخرة. "إنها لا تولد من الفراغ. لا بد من وجود دافع أو شيء يدفعها لأن تشكل جزءاً من خياله. إن زوجك على الأغلب يعرف بأمرها، وشيء كهذا، يحمل وعوده أينما حل، ويمكن لهؤلاء الأشخاص أن يحققوا نجاحاً غير مسبوق لروايته إذا ما كانت تحمل تلميحات لهذا الشيء الذي يتبعونه".

"مهلاً، مهلاً... أنا بحاجة إلى شرح واضح".

اعتدلت كاثرين في مكانها، وبدأت أكثر استعداداً لتفسير الأمر. "تلك الجمعيات السرية، تحاول أن تنمو بطريقة ليست ملحوظة، كالسرطان تماماً، لا يمكن أن تشعري بوجوده، حتى تظهر أولى صور تمكّنه منك؛ حينها فقط تصبح مسألة التغلب عليه مخيفة. ظهور الطائفة الآن سيقحمهم في حرب قوية، لأن العالم ما يزال في بداية

فكرة تخلّيه عن الأديان الحقيقية التي نتبعها".

"فهم يحاولون السيطرة على الصور الإعلامية". أضاف بن. "إنهم يريدون أن يكون لهم وجود غير مباشر في الطب والإعلام والأدب والفن...".

"وكل شيء نعرفه، ونحتاجه في حياتنا. أنت محق". أضافت: "لهذا السبب كنت أقتني تلك اللوحات، وأحاول إخفاءها".

"وهل هذه الأشياء هنا؟"

"نعم، إنها في قبوي. الصور التي رسمتها جوليا موجودة هناك".

"لماذا رسمت جوليا تلك الأشياء؟"

قالت: "لأنها كانت تسمع نداء هذا الشيء، قبل أن تدرك بأن عائلتها تحاول إقحامه في رأسها. الأمر كله يرتبط بذاك الطبيب، فهو ووالده، كانا دائبين على صنع هذه الأفكار، على إحيائها في عقول الآخرين. إنه على الأغلب يخفي شيئاً ما في شقيقته".

"لست واثقة. بران يزوره، لكنني لا أذهب معه عادة".

"لو أُتيحت لك الفرصة لاقتحام شقيقته، ستجدين بعض الإجابات حتماً. حين أتى ذاك الرجل". أخبرتها عن الهوية الحقيقية التي عثر عليها بين أوراق الأخت سيسيليا، فقالت لي: "على الأغلب هو هارب من مدينة أخرى، لأن أحدهم اكتشف جرائمه. لن يدهشني إن اكتشف بأنه صنع مجازر غريبة في مصحات أخرى".

سألتها: "وكيف سأقتحم شقيقته؟"

"ألم تقولي بأن زوجك يذهب إلى هناك؟ يمكنك زيارة المكان معه، ومحاولة سرقة المفتاح". قالت لي، لكن إن كان يملك خطة أخرى.

"سأمنحك صلصالاً يمكنك وضع المفتاح فيه، ومن خلاله سنصنع نسخة مطابقة له، وتنتظرين وقت خروجه، ثم ستتمكنين من اقتحام الشقة والتفتيش فيها". بدت الفكرة معقولة وممكنة، إلا أنني أعرف بأنني لن أستطيع القيام بهذا وحدي في الواقع.

"قلت إن لوحات جوليا ماكنيل هنا، فهل يمكنني رؤيتها؟"

نَهَضَتْ من دون أن تمنحني إجابة. اختفت لبرهة قصيرة، ثم عادت حاملة بيدها حلقة مفاتيح، بها أربعة مفاتيح برونزية قديمة. صلصلت المفاتيح مع كل خطوة. "تعالا معي". قالت، واتجهت نحو بيت السلم، واختفت خلف الباب.

سرنا في الظلام، حتى أنارت قنديلاً كهربائياً صغيراً. قطعنا ممراً قصيراً، ثم استخدمت مفتاحها لتفتح الباب الخشبي السميك المقابل لنا.

"عادة أحاول إبقاء المكان معزولاً عن الأضواء حتى لا تتلف هذه اللوحات".

سألتها: "لماذا لا تلتفينا ببساطة؟"

"لست واثقة من النتيجة. إنها هنا حتى تصبح منسية. لن يعثر عليها أحد". بدت هذه الإجابة مُراوغة وخادعة. وحدها النيران كانت ستقتل كل اللوحات الغريبة التي طوقت القبو. لم تكن كل الرسومات متعلقة بالملكة في الرداء القرمزي، إنها كانت كلها حمراء بخيوط

نارية غريبة.

"لا تنتمي كلها إلى جوليا".

"لا". أضافت بتعجب: "أنت تميزين فنها بالفعل. كان هناك أشخاص آخرون تأثروا بهذا الفن، لكنني ساعدتهم على تجاوز الأمر، والابتعاد عنه".

"لماذا لم تساعد جوليا إذا؟" سألها بن.

التفتت، وانعكس ضوء القنديل على نصف وجهها. "لأن والدها يتحكم في كل شيء هنا. وليام فريدريك أشد أعدائي، وهو الشيطان متجسداً على هيئة إنسان. يمكنه أن يبقّيها حبيسة في ريد ستون، طالما أنهم أصدقاؤه". سألها عن سبب غضبها في المعرض، فقالت: "لأن تلك اللوحة، لا يجب أن تظهر إلى العلن، إنها أول إشارة إلى حقيقة هذا الكيان الغريب، وهو يحاول الترويج لها". بعد صمت قصير قالت: "سأطلعكما على سري الصغير؛ لقد قمث بالفعل بسرقة بعض الصور منه، ولهذا السبب هو حذر تجاهي".

"لماذا لا يلجأ إلى الشرطة". سألها.

أجابت: "لأنني أخفي مسروقاتي، وهو لا يمتلك أي دليل". جذدت نظرتها من فوق وجهها، ثم قالت: "لكن لا تخبرا أحداً بهذا". كانت تسخر منا، والجدية تملو من كل كلمة قالتها حتى الآن.

قادتنا إلى الساحة الضيقة الفارغة، بين الصور المعلقة على الجدار. كان هناك صورة وحيدة تشبه تلك المعروضة في معرض وليام فريدريك، لكنها أقل جودة، وأكثر دقة في بقعة الوجه. بدت الصورة

بشعة وليست مناسبة للزينة أو للعرض حتى. قادتني خطواتي نحو الصورة المعلقة للملكة عديمة الوجه، ذات التاج الذهبي والعباءة القرمزية.

تأملتها بإمعان، سمعت همسها في رأسي. قالت لي: أخرجيني من هنا.

دنا مني ذاك الشيء في الصورة، فتراجعت جزعة مبتعدة عنه. كادت أن تخرج من خلف الإطار الخشبي، وتقفز نحوي، إلا أن كاثرين اقتربت مني وحملت القنديل أمام وجهي. "أنها تسيطر عليك من خلال أوهامها، وهذا يعني بأنها تسعى للنيل منك".

"ما معنى هذا؟"

"معناه، أن هذا الشيء يريد السيطرة عليك لسبب ما".

"كيف تعرفين هذا؟" سألتها بن.

"لأنك تحملين شيئاً ينتمي إليه. أنت تنتمي إليه".

قلت: "لست أنا". لمسّ بطني. "لهذا السبب قالت لي كاميلو لوكهارت، بأن عليّ أن أختار الجانب المناسب للطفل. إنه هو الهدية التي يتوقعونها".

"هل أنت حامل؟" أومأْتُ موافقة، فقالت لي: "هذا يؤكد ظنوني. أراد زوجك أن يقدم هذا الطفل كوعاء لتلك الروح، وإنه على الأغلب سيضحي بك لإحيائه، أو يضحي بالطفل، لكي يحيي الكيان في أعماقك أنت". خُيِّلَ إلي أنها ابتسمت. "أنت ضحية في كل الأحوال".

قلت مرتعدة: "بران ليس الشخص الشرير هنا".

"من هو إذا؟"

"لا أعلم. ربما أقنعه أحد. . ."

"أقنعه أحد بأن يكون هو الشرير، والمقابل هو حياتك أنت أو حياة الطفل". فكرت في بيتر، وفي موته الصامت. لا يعقل أن يكون بران قد قتل بيتر كنوع من أنواع التضحية، لأننا حينها لم نكن في ريد ستون حتى. بران لن يكون غيباً كي يوافق على هذه الفكرة.

"أريد الرحيل من هنا". تراجعت كاثرين، فتبعناها إلى الأعلى.

ما إن وصل المصعد إلى الطابق الأخير في مبنى ريد ستون حتى رأيت الظل ينتزع نفسه من الظلام، ويقف أمام بوابة المصعد. اتضحت ملامح الفتى المراهق الذي وقف أمامي. كان يتحرك بنشاط غريب، ويحرق في بطريقة مريبة جعلت كل حروفي تختنق.

أردت أن أصرخ وأستنجد ببران، لكنه بدا خائفاً. "ما الذي تفعله هنا؟" ارتجف وتوارى من جديد نحو الظلام الذي ادلهم في زاوية الممر. علمت بأنني هنا الطرف الأقوى، فسرث نحوه. "من أنت؟". توقف عن الحركة وراح يحرق في.

"ارحلي من هنا".

"لماذا؟"

"لأن ليتل جون يعيش في هذا المنزل".

سأله: "أنت إذاً من اتصل بي أليس كذلك؟" راقبني بصمت، ثم أطرق مستسلماً ومؤكدًا ذلك. "لماذا فعلت هذا؟"

"لأنه منزل ليتل جون". لم يكن سوياً، وهذا بحد ذاته أخافني. "الجميع يكرهونك هنا، لأنك لا تشبهين أحداً. ذاك العفن الغريب، ينمو في أجسادهم، لكنه لا ينمو هنا". مَدَّ يده وقبض على رسغي بنعومة. "لا ينمو هنا، لا ينمو هنا".

"عفن؟" دنوث منه. "أين تعيش؟" أشار إلى الأسفل. "في أي طابق؟".

"لا أتذكر".

"هل تهت؟"

"لا. أتيت لأحذرك".

"مم؟"

"من العفن الأسود". قال.

سألته: "ما اسمك؟". ظل صامتاً، ثم بدأت أتذكر أين رأيته. "أنت تريفور، صديق جون لازاروس، أليس كذلك؟" أطرّق مرتعباً. "لقد رأيته في أفلام لازاروس القديمة". سألته: "هل كنت تعرف روزالي؟" توارى، ثم تكوّر حول نفسه.

"أعرفها. لقد قتلوها".

"من قتلها؟"

"لا يمكنني...". قاطعنا صوت مارثا، وهي تنادي في الأسفل. "إنها والدتي". كنت واثقة من أن شيئاً ما يدور حول مارثا، لكنني لم أتصور أن يكون الأمر بهذا الحجم. لقد أخفت صبيّاً آخر في منزلها، بعد أن قالت لنا بأنه ليس لها إلا ابن وحيد.

همست برجاء. "أخبرني، من قتلها؟"

"أمي". لم أفهم ما إذا كانت تلك إجابة، أم أنه نداء ينم عن خوف.

"تريفور". نادت مارثا في الأسفل. تجاوزني الفتى، وراح يركض على السلم، ثم اختفى أخيراً. سمعت مارثا توبّخه بغضب، وبدأ صوتها مختلفاً كلياً عن النبرة اللطيفة التي كانت تتحدث بها معي.

سمعت صوت صدى الباب يتردد في هذا الهدوء.

حين التفث، فتح بران الباب، وغير إضاءة الشقة المعتمدة في الممر.
"أنتِ هنا؟ متى وصلتِ؟"

"وصلتِ تَوّاً".

"هل أنتِ وحدكِ؟"

"نعم".

"سمعتُ أصواتاً مختلفة". عقدتُ حاجبي، حتى أظهر له مفاجأة مزيفة. كنتُ أشعر بالخوف من بران أيضاً، وشكّي تجاهه يكبر، لكنني لا أملك القوة على المواجهة الآن. كان بإمكانه أن يرحل، رغم كل الرعب الذي واجهته هنا، لكنّ بقاءه لا يمنحني مسوغاً آخر سوى أنه حقاً أراد البقاء لسبب خفي.

دخلنا الشقة معاً، فسألته: "هل بحثت عن مكان آخر؟"

"ظننتكِ تخليتِ عن هذه الفكرة".

التفثُ نحوه وقلتُ بهدوء: "أنتُ محقٌ لقد كنتُ أبالغ في أفكاري، و... فكرتُ في أن الحل موجود هنا. ربما كان بإمكانني التحدث إلى فيلاسكو أيضاً، لعلّ هذا يقلل من حدة قلقي. سينجح الأمر معي، كما نجح معكِ أنتِ".

كُشفت أسنانه وهو يبتسم. "أنا واثق من أنه سيبدد خوفكِ هذا".

شعرتُ بالقلق من وجوده إلى جوارِي، وإحساس قوي بداخلي أخبرني بأنني أسير بالفعل نحو النهاية، لكن عليّ أن أتجاوز هذه

الأوقات القليلة. خلعت معطفي، وتجاهلت وجود بران الذي كان يحاول أن يقول شيئاً ما.

"أين كنت طوال هذا الوقت؟"

قلت له: "كان لدي بعض الأعمال". لم يحاول أن يكشف حقيقة إجابتي، بل تجاهلني.

في تلك الليلة، وجدت صعوبة في النوم إلى جواره، وما إن غط بران في نوم عميق حتى حملت وسادتي وأخرجت لحافاً إضافياً، ونمت على الأريكة.

في الصباح استيقظت قبله، وقبل صوت المنبه. كانت الشمس بالكاد قد أشرقت. تركت له ملاحظة أخبره فيها بأن ينتظر عودتي في المساء حتى نقابل فيلاسكو، ثم خرجت من الشقة بمواجهة أضواء الشروق. بقيت لبعض الوقت في مقر الجريدة قبل وصول كل الموظفين.

سألني بن ما أن ظهر: "منذ متى أنت هنا؟"

"ما أن بزغ الفجر."

"تبددين منهكة".

قلت له: "لا أشعر بالأمان في المنزل. ذاك المكان...".

جلس على كرسيه: "لم أنم أيضاً". أشاح بوجهه عني، ثم أضاف: "لا يمكنني تقبل مسألة موت روز. كان لدي بعض الأمل بأنها قد تعود، حتى وإن طالت مدة اختفائها، أما موتها... فيبدو الأمر غريباً!".

"أعلم. لن تستوعب الأمر، حتى يمضي وقت أطول، لكنك على الأقل تعرف مصيرها، وهذا سيكون مريحاً أكثر من التساؤلات التي كنت عالماً بها".

"أنت محقة". أخرج علبة معدنية ومنحني إياها. "يمكنك أن تنسخي المفتاح من خلالها، فقط اضغطي كلا الجانبين برفق على هذا الصلصال، حتى تري الصورة واضحة، ثم سنلجأ إلى أحد ما ليصب المعدن في الفراغ، لنحصل على نسخة أخرى منه". أخفيث القطعة في حقيبتني. "هناك أخبار جديدة عن التحقيق مع والددة باتريشيا"

"آية أخبار؟"

قال لي: "تحدث مع أحد الأصدقاء المقربين، وأخبرني بأنهم على الأغلب سينقلونها إلى مصحة ساوث باي، ليتأكدوا من أن المرأة ليست في حالة نفسية تسمح لها بخوض أي تحقيق، لأنها رفضت التجاوب معهم. إنها على الأغلب لم تستوعب ما حدث".

"لكنهم يعتقدون أنها قتلت باتريشيا بالفعل".

قال لي صديقي: "بأنها ظلت تردد، بأنه دفعها للقيام إلى ذلك. لم تفصح عن هوية هذا الشخص، أو عن الدوافع. كانت خائفة، وكل ما قالته إنه هو من دفعها إلى القيام بذلك".

"آه! هذا غريب. هل تعتقد أن هناك دخليلاً في المنزل كان موجوداً أثناء الجريمة؟"

هز كتفيه. "لست واثقاً، لأنهم وجدوا كمية كبيرة من مخدر غريب

في دماء المرأة، وهو ما تسبّب لها بالهلوسة، ودفعها إلى قتل الفتاة".
"مخدر غريب؟ ألا يقودنا هذا إلى فريدريك مرة أخرى؟"

"أنت محقة". أضاف: "هذا بالفعل ما كنت أفكر فيه، حين علمت
بالمسألة. ماذا لو أن أحدهم تلاعب بعقلها، وقادها إلى القيام بذلك؟".

"هل تعتقد أنها هي ذات الطريقة التي دفعت ويلينغ إلى قتل
نفسه؟ لا يمكن أن تقدم هيلينا على الانتحار لنفس السبب. فهي
لم تتعاط أي شيء، لأنني كنت معها معظم الوقت". ازدادت حيرتنا
حيال هذه المسألة، لأن هيلينا قادها جنون ما للإقدام على الانتحار.

*

حين عدت إلى المنزل، كان بران مستعدًا لأن نقابل فيلاسكو معاً،
لكن هذا الاستعداد لا يمكنه أن يقودني نحو اليقين المطلق بأن بران
متعاون في هذه المسألة. جزء مني أراد أن يقتل كل هذه الشكوك،
لكنها تظل عالقة في كل مرة.

لم يتغير أي شيء في فيلاسكو. ثقته بنفسه وسكينته، وحتى
غرابة المنزل... كل شيء كان على حاله. استقبلني الرجل وكان على
استعداد لأن يسمع مخاوفي قبل أن يتحدث مع بران حتى. لم أجد
ما أخبره به سوى القلق بشأن طفلي القادم.

"بران أيضاً، قلق بشأن هذه المسألة، لكننا تحدثنا عنها مطولاً".

التفت نحو زوجي، وسألته: "هل أنت قلق أيضاً؟ لكنك لم تخبرني
من قبل".

"لأن هذا الخوف يخضه هو. إنها مشاعره تجاه طفله وتجاه نفسه. لا يتعلق الأمر بك أنتِ هذه المرة. نحن هنا لتحدث عن مخاوفك فقط". لمست بطني برفق. ما يزال هذا الشيء خفياً وبعيداً عن الواقع بالنسبة لي. أشك أحياناً بأنني حامل فعلاً.

"نحن عائلة". قلت.

"لكنك هنا إليسيا فقط. لست جزءاً من عائلة، ولست جزءاً من أي شيء". للمكان رائحة عطر غريب، وفي وجه فيلاسكو وداعة لا توحي بأنه قادر على قتل أحد. نظرت إليه مطولاً وأنا عاجزة عن خلق أي كذبة، فرحت أتحدث عن الماضي، وعن بيتر لكي أهرب من مسألة الجنين الجديد.

"كل الأشياء الجديدة تفاجئني الآن. لا أريد العودة إلى ألم الماضي".

قال لي: "لا شيء سيقودك نحو الماضي، لهذا نسميه ماضياً. إننا هنا اليوم. . . الآن. كل شيء يتعلق بهذه اللحظة فقط يا إليسيا". التفت بران نحوي وحملت نظراته مواساة. "إن كنت بحاجة إلى بعض الصمت، فأنا أفهم هذا كلياً".

بقينا صامتين لبرهة. تظاهرت بالألم، وفي أعماقي لم يكن هناك إلا الحقد.

"مشكلتي الوحيدة، هي أنني عاجزة عن الكلام؛ أما عن الصمت فهناك الكثير منه، ما يكفي لأن أعني بأنني فقدت الكثير، وها أنذا أضيع كل الفرص من بين يدي يا سيد فيلاسكو". كنت جادة وحائقة،

وهو لم يفهم هذا التغيير المفاجئ.

"اهدئي يا سيدة روزود".

سألته: "هل يمكننا تأجيل هذا الحديث إلى وقت آخر؟ أنا بحاجة إلى بعض الهواء". أوماً، فنهضت. حاول براندون اللحاق بي، فقلت له: "وحيدي. فقط وحيدي إن كان هذا ممكناً".

"بالطبع". عاد إلى الجلوس، وهو يراقبني بتساؤل.

اتجهت نحو باب شقته، وأخرجت علبة الصلصال من حقيبتني، وقمت بنسخ المفتاح العالق في الباب. لم يكن لمكتبه أي مدخل، وهذا ما اختصر علي جهداً كبيراً. أخفيث العلبة، وخرجت من الشقة متجهة إلى البهو السفلي. خرجت من هناك بسرعة متجهة إلى أقرب مقصورة هاتف من ريد ستون.

*

بعد عشرين دقيقة، كنا أنا وبين نواجه الهواء البارد أمام مرآب تصليح سيارات. التقط الرجل العلبة، وأخفاها في جيب سترته. أخرج بين بعض المال، ثم أمره: "سنحتاج إلى هذا الآن".

"لا يمكنني...".

"لن أعود إلى هنا مرة أخرى. أنا بحاجة إلى المفتاح حالاً". لم أفهم سبب هذه العجلة، إلا أن إصرار بنجمن نجح مع الشاب.

"بعد ساعة من الآن".

سرنا مبتعدين عن مركز ساوث باي، وصولاً إلى البحر من جديد. لم

أكن أتوقع أن يبحث عني بران، ولا أعرف مدى التساهل الذي وصل إليه معي أنا. إنه لا يكثر حقاً ما إذا كنت أشعر بالغضب أو الحزن حتى.

"لست مستعدة لهذا!"

سألني بن: "ألسيت مستعدة للتسلل إلى مكتب فيلاسكو؟"

"لا، ولست مستعدة لاكتشاف أي حقيقة أخرى."

قال: "يمكننا التراجع الآن. يمكنك التخلي عن زوجك، والرحيل ما إذا كنت لا تشعرين بالأمان. أنه هذه الحياة المقلقة، وارجلي من هنا ببساطة. لا يوجد أي دافع يقودك خلف الحقيقة". كان محقاً. لا يوجد شيء يجبرني على هذا التحقيق، فكل الأشخاص الذين ماتوا، يبدو لي أن هذا كان اختيارهم.

"لا أستطيع."

"ما الذي يمنعك؟"

"ما الذي سأخبر به طفلي، حين يسألني؟ أي نوع من القصص الخرافية؟ أنا لست واثقة من أن بران مذنب حتى، ولا أستطيع الابتعاد عنه بهذه البساطة والسير خلف شكوكي. سيحتاج هذا الطفل إلى والده إن كان حقاً بريئاً."

"كل هذه احتمالات بعيدة."

قلت معترضة: "ماذا لو كان بران ضحية؟"

"سيكون هذا اختياره، كما كان اختيار ويلينغ. لم يجبره أحد على

خوض هذا كله، ما لم يرغب هو حقاً في التجربة". لعله كان محقاً، لكن ما زلت أشعر بالارتباط بهذه الحكاية، ولا أستطيع الانسحاب، وأنا أكاد أبلغ نهايتها الآن.

"هل تشعرين بالقلق تجاه بران، أم أنتِ قلقة من الفشل؟"
"كلاهما معاً".

اتكأنا على سور معدني مواجه للرصيف الخشبي الضخم. ذكرني المكان بماريان وسارا. "أتفهم الأمر". ردّ بن، ثم وقفنا صامتتين نحدق في أضواء الألعاب. هذا المكان يشعرني بالحنين إلى الحياة القديمة، ويذكرني بأنني حتى وإن فشلت، فهناك فرصة أخرى حتماً.

"ماذا لو كانت هذه اللعنة مرتبطة بطفلي أيضاً، فكيف سأحميه؟"

"أنتِ قوية بما يكفي لحماية هذا الطفل. لا تفكري في المستقبل البعيد، بينما نحن نواجه مسألة حقيقية الآن". راح يتأملني وضوء الغروب ومصابيح الألعاب تنعكس على وجهه.

"لن أقترح مكتب فيلاسكو وحدي". قلت أخيراً.

عرض علي: "إن أردتِ، فيمكنني أن أكون هناك أيضاً، لكن عليك إيجاد طريقة ما لإقحامي في ذاك المبنى الغريب".

"لن يمانع الحارس وجودك، لكن علينا أن نتأكد من أن بران رحل". لم يظهر الرضا على محياه، ودائماً ما كانت نظرتة تتغير حين يؤول الحديث إلى براندون. "أنا آسفة، إن كانت روزالي بالفعل ميتة. لا يمكننا الاستناد إلى ما حدث معي حين اعتقدت بأنني كنت في لونيور...".

"إنها ميتة". قال أخيرًا.

"أنا آسفة لهذا".

"لا عليك. ما حدث قد حدث". تجدد الصخب أمامنا، وصراخ الأطفال. "كان الأمر غير ذي معنى طوال هذين العامين، إلى أن أتيت يا إيليسيا. كان هناك شيء ما يدفعني إلى رفضك، ولعل هذا بسبب قوة حضورك". بالكاد كان ين يجمع كلماته. "شعرت بالخوف".

"مني أنا؟"

"من أني أواجه كائناً حقيقياً للمرة الأولى. كنت مندفعة وهذا لا يشبه تصرفات الآخرين. . . كنت غريبة، وعرفت بأن هذا سيقودني إلى مرحلة أخرى من حياتي". مَرَّ الهواء وطير خصلات شعري أمام وجهي. "حين علمت بأنك مرتبطة بريد ستون شعرت بالخوف والحيرة أكثر، ثم. . . رأيت إصرارك على إيجاد الحقيقة؛ كل هذا يبدو غريباً علي".

سألته: "هل هذا أمر جيد بالنسبة لك".

"هو كذلك بالفعل". ظلت عيناه تراقباني، حتى شعرت بالخوف. "لو أننا التقينا في توقيت آخر، لكانت الأمور. . . أعني بالنسبة لي أنا". كنت أصغي، لكنه استسلم. طَالَ الصمت، وكنت أراقبه فيما هو عاجز عن إيجاد التعبير المناسب. "إن كان بران يخطط لأي مسألة سيئة، فهو أحمق. . . ما كنت لأخاطر بك". شعرت بالخجل، فأزحت ظهري عن السور المعدني.

"أشعر بالبرد، سأشتري القهوة". تبعني بخطى بطيئة، واشترت

كوبي قهوة لنا. سرنا عائدين نحو المدينة، حتى تلاشى صخب
الرصيف خلفنا.

إبان عودتنا، كان الشاب يقف أمام واجهة المحل، والمفتاح
المنسوخ في يده.

راقبت بران يبتعد سيراً على الأقدام بمحاذاة الطريق. كان برفقة فيلاسكو، ورجل ثالث أراه للمرة الأولى. بعد أن اختفى كنت أتوقع ظهور بنجمن، لكن الأمر استغرق منه سبع دقائق حتى اتصل بي ألكساندر، وأخبرني بأن هناك ضيفاً يتوقع مقابلتي لأمر ضروري.

سألته: "من هو؟" متظاهرة بالجهل، حتى لا أثير شكوكه.

"ما اسمك؟" تحدّث معه، ثم أعلن: "بنجمن مايرز". أخبرته بأن يسمح له بالدخول، وبعد ثلاث دقائق خرج بن من المصعد الذي ظلّ واقفاً عند الطابق الخامس للمبنى. حمل معه بعض الأوراق وحقيبة جانبية متظاهراً بأنه هنا من أجل العمل.

هبطنا معاً إلى شقة فيلاسكو، ولم أكف عن مراقبة الممر طوال الوقت، فيما كان بن هو الأكثر اندفاعاً. تمكّن من فتح الباب بسهولة، وحين دخلنا كان المكان بمثل تنظيمه المعهود، والرائحة الغريبة ذاتها. بدا كل شيء مريحاً ومناسباً لعيادة معالج، إلا أنه لا يستخدم هذا المكان عادة لاستقبال الحالات، فمن الصعب إقحام أي أحد إلى ريد ستون.

اتجهنا إلى مكتبه فوراً، وهناك بدأنا بالبحث عن أي دليل يدين مارك، أو يضمّه إلى الجرائم التي حدثت في السابق. كان المكتب مكشوفاً من دون باب، وحين فتشنا الجرارات كانت كلها مفتوحة، وتحمل تقارير ودراسات لحالات مرضية من خارج المبنى، وبعضها كان من مصحات مختلفة.

"إنها تجارب". همس بن. "تجارب اختبارات نفسية على المرضى".

هل أجراها بهويته السابقة، قبل أن يضطر إلى تزوير اسمه؟ قلت لبن: "يبدو أن كاترين كانت محقة. لا بد من أن لهذا الرجل سجلاً إجرامياً".

وجدنا المزيد من التقارير المتعلقة باختبارات فيلاسكو، وتجربة دواء محدد تمت تسميته بالمولدون، وهو عبارة عن أقراص سوداء، كان مارك يحتفظ بكمية كبيرة منها. كانت الأقراص بيضاوية دقيقة، ذات غلاف أسود لامع وغريب.

في التقارير تمّ التلميح إليها على أنها أقراص مخدرة، ذات تأثير قوي على العقد، وتسبب هلوسات طويلة الأمد، لكنها لا تؤثر على أفعال الشخص بشكل مباشر، إنما تتلاعب بواقعه بصورة دقيقة، وتجعله يرى بعض الرؤى.

في بعض التقارير صرح المرضى، بأنها مكنتهم من رؤية المستقبل. بعضهم قالوا بأنهم رأوا لمحات من الموت. هناك مريض واحد ذكر بأنه تمكن من التواصل مع عوالم أخرى خلال الأسبوع الأول من تجربة الأقراص. كل تلك الأشياء بدت صامدة بالنسبة إلى إيسيا وبن.

"هل تعتقد بأنه دس هذه الأدوية في أجساد المقيمين هنا؟"

قال: "ولعلّ الهلوسة والهذيان هما ما يتسببان في الجرائم السابقة. حين لا يكون المريض في كامل قواه العقلية، فلا بد من وجود طريقة للسيطرة على عقله، ودفعه إلى تنفيذ ما يُطلب منه. لعل هذه

هي الطريقة التي دفعت والدة باتريشيا إلى قتلها أيضاً".

"لكن كيف وصل فيلاسكو إليهم؟"

قال بن: "لا أعلم".

تكرر أمامي شعار الزوبعة، ووجدت مذكرة كاملة تتحدث عن تجربة الوهم الجماعي. كان هناك شرح تفصيلي لهذه التجربة، حيث يستطيع المرء أن يوحد وهم مجموعة من الأشخاص في آن واحد، ويترك فكرة وحيدة في أذهانهم. كانت الحرب هي أحد أبرز الاستخدامات لهذه التجربة، لكنها أيضاً ذات تاريخ عريق وطويل، حيث إنها كانت تخدم عدة طوائف وحركات دينية، لتعزيز القدرة على إثبات مقومات هذه الطائفة، واستخدمت لخدمة حركة بعض الطوائف الجانبية التي انتشرت بعد الحرب العالمية الثانية في الولايات الغربية؛ لكنها الآن تجربة مغمورة وممنوعة على الأغلب. كانت هذه الاقتباسات مرفقة من كتاب ما، إلا أن أبعاد التجربة وتأثيرها، ونتائج الاختبارات المذكورة، كانت كلها من مجهود فيلاسكو شخصياً. يحاول المعالج أن يصنع وهماً يوحد أفكار كل الموجودين هنا ليعزز فكرة ما، وعلى الأغلب هي فكرة ليغيليا.

"هل هذا يعني، أن الأسطورة موجودة؟ أم أنها مجرد وهم من صنعها حتى يقنع الناس بوجود كيان قوي يجب أن يتبعوه؟" سأل بن. ثم حاول التفكير في كلا الاحتمالين.

قلت له: "كل الجرائم المذكورة، هناك احتمالية تدخل قوى بشرية وراءها. التلاعب بالأفكار، زراعة الأوهام في رأس الآخرين. ويلينغ كان يعيش هنا وباتريشيا كذلك". أضفت بسرعة: "هيلينا ستون كانت

تتصرف بغرابة، وهي على صلة بمالك المبنى المباشر، أما الأخت سيسيليا، فهناك من قتلها بالفعل".

أضاف بن: "ووالدة باتريشيا، كان هناك نسبة من دواء غريب في دمائها". أشرقت عينا بن: "هناك من أقدم على قتل كل هؤلاء الأشخاص بالفعل، وعزز فكرة وجود كيان خارق يتحكم بهم". هذا وحده يفسر تكرار علامة الزوبعة التي كانت تمكّنه من اختراق عقول الآخرين.

"تبدو هذه طريقة تنويم مغناطيسي تقليدية وقديمة".

اعترض بن: "ربما تكون هذه الإشارة كمفتاح ما، لكنه لن يسير الجميع طوال هذا الوقت. هناك تقبل لفكرة فيلاسكو. لا بد من أنهم سمحوا له بالقيام بهذا".

سألته: "أنت ترفض أن تُظهر بران كضحية. لماذا قد يكون شريكاً؟" لأنه قد يكون كذلك. لا يجب أن تمقي بأحد في هذه اللحظة".

وقفنا لبرهة لا نعرف ماذا نفعل. كانت الشمس تلمع خلف النوافذ الفرنسية العريضة، والأوراق ناصعة البياض تلمع تحت النور القوي المتدفق. رأيت صف الكتب، وميزت الكتاب الأسود الوحيد المختلف. بدا لي كمفتاح سري، وحين اقتربت منه وسحبته، كنت على حق.

انكشفت الحجرة المظلمة خلف رف الكتب، ثم رأيت البريق يتدفق منها كفسق قوي. رأيت الممر المؤدي إلى لونيور. "هل ترى هذا؟"

حاول بن إيقافي، ثم علّق: "لا يوجد أي شيء هناك".

تجاوزتها ببطء، واقتحمت الحجرة. كنت أقف من جديد في الممر الذي قادني إلى بوروز في السابق. حين التفث، لم يكن بين إلى جوارى. لسبب ما لم يتمكن من أن ينتقل إلى هنا معي. قطعت طريقي بسرعة نحو نهاية الممر، وهناك وجدت بوروز مرة أخرى.

إلا أن المكان كان قد تغير. كانت مكتبة غريبة لا يصلها نور الشمس المشرفة في الخارج. تناثرت الكتب السوداء على الأرض، وامتلات الأرفف الضخمة بها. ظهر بوروز أمامي فجأة، وهو يعي أنني هنا. "أنت تعرفين حجم المخاطرة بالفعل، لكنك عدت من جديد."

"هل هذا هو تأثير المفتاح، أم الحجرة السرية؟"

"كلاهما معاً. لولا المفتاح، لما تمكنت من العودة واكتشاف الممرات الخفية". أضاف: "المفتاح يتيح لك فرصة اكتشاف الأبعاد الحقيقية للأشياء. مرة واحدة من استخدامه ستكفيك لرؤية كل الأبعاد الحقيقية. هذا المكان رغم أنه من صنع خيال جون، إلا أنه أيضاً امتداد أثيري لذاك المبنى".

"إذا نحن في ريد ستون؟"

"ليس المبنى الذي تعرفينه بالضبط، لكننا في العالم الذي يخلقه اتحاد خيال جون لازاروس بالمبنى". سمعت ضوضاء تنبعث من وراء أرفف الكتب. "إنها هنا، عليك الرحيل".

"لماذا لا تظهر، وتحدث إلي مباشرة".

"لا تحاولي أن تتحديها، لأنها أقوى منك".

"أنا عاجزة عن إيجاد الميعاق. اختفت جوليا ماكنيل أيضاً، ولا

أعرف أين قد يكون فريدريك أخفاها". غرق بوروز في التفكير، ثم ظهرت فكرة سريعة في ذهنه.

"الميناء. تلك المستودعات، لطالما كانت مخبأ بالنسبة لهم". رحث أفكر فيما اللجة الغربية كانت تقترب منا أكثر فأكثر. "أنت لا تريدين الذهاب إلى هناك. لا تفكرين في هذا الآن، أليس كذلك؟" كنت بالفعل أفكر في المضي إلى هناك، لاكتشف ما يمكن أن يكون موجوداً فيه. "ما مشكلة ذاك المكان؟"

"كل الشريدأ من هناك مباشرة". أشار إليّ بإصبعه، حتى ألحق به، فسرنا بين رفّي الكتب الشاهقين. "سأطلعك على أمر غريب، لعل كل أبحائي لم تتوصل إلى هذه الحقيقة، على الرغم من وضوحها التام". ثلها بين أكوام الكتب، ثم توقّف بوروز عند مجلد أسود، وسرقه بخفة من بين الكتب.

راح يقلب صفحات الكتاب بصبر. راقبته، ثم سألته: "هل أنت حقيقي؟"

توقف فجأة، ورفع عينيه نحوي. "حقيقي بالنسبة لك؟ أنت من عليه أن يقرر هذا ولست أنا. ما هي الأشياء الحقيقية؟ لا شيء يمتلك واقعية فعالة في هذا العالم، فالأشياء الحتمية بالنسبة إليك، ليست إلا خرافات في حكاية أحدهم. ألا تعتقدين هذا؟"

"لكن هذه ليس إجابة سؤالي".

"أخبريني إذأ: ما الذي عليّ أن أقوله لك. كل الأشياء ليست موجودة بالفعل. هذا الوجود كله وجودك أنت. إنه حكايتك وحدك.

إما أن تنهيها، أو تُنهيكَ". شعرت بنبضات قلبي قوية، في هذه اللحظة الشبيهة بالحلم. وصل بوروز إلى الصفحة المقصودة، ثم منحني الكتاب. "هنا يبدأ كل شيء". رأيت صورة تعود إلى السنوات الأولى من القرن، والسفن تملأ ميناء ساوث باي. "هنا بدأت حكاية عائلة ستون التي انتقلت إلى الجنوب، وحاولت صنع بصمتها الخاصة في الساحل. كانت السفن كثيرة الترحال، تصل إلى بقاع كثيرة في العالم، وبعضها لم يسمع الأولون بها حتى. حين ظهر ماريك ستون لم يعرف أحد من أين أتى هذا الرجل". تحركت مبتعدة عنه خطوة إلى الوراء، والكتاب بيدي. "آمن الرجل بالأبعاد الأخرى، وكان على ثقة من أنه سيتمكن من صنع معجزته الخاصة، وسافر ثم عاد كشخص آخر، كما ورد في الأخبار القديمة. كان معه حجر غريب، ذو رائحة كريهة".

قلب الصفحة، ورأيت صورة للحجر.

"لم يكن حجرًا حقيقياً، إنما هو نوع من الأعشاب القاسية، والتي ما إن حاول زراعتها حتى حصد جذورًا لا نهاية لها، وكانت تتسبب في إذهاب عقل من يتعاطاها، وهكذا ازدهرت تجارة ستون أكثر فأكثر، وتمكّن من السيطرة على المنطقة من دون الحاجة الفعلية إلى الإبحار". قرأت ما تبقى من الشرح، فالأعشاب السوداء لا يعرف أحد مصدرها، أو حتى ماهيتها، لأن الكتب لم تذكر حقيقتها بشكل علمي، لكنها وجدت في بعض المعابد في شرق آسيا، بالقرب من الهند. كان منها معبد أزورا، وقد انتشرت العشبة السوداء بأسماء مختلفة في عدة حضارات مختلفة. كان ماريك ستون يؤمن بوجودها بطريقة ما، ولأنها قدمت له العروة، فقد قدم الرجل لها فروض الطاعة، وشيّد

هذا المنزل فوق جذورها لكي يحييها، ويشيد لها معبده الخاص بها. لم يدرك أحد حقيقة ما حدث، حتى احترق المنزل، وغالباً تسبب السكان الأصليون بهذا الحريق، لأنهم شكوا بأن الرجل ينقل معتقدات غريبة إلى ديارهم. قام ماريك بترميم المبنى، وشيد أول مبنى مرتفع في ساوث باي، وكان هذا ما جلب التقدم تدريجياً إلى المنطقة.

تمكن الرجل من فرض سيطرته وجنونه وتحدي السلطة، في ضم العديد من الأشخاص إلى مفاهيمه، وعلى الأغلب كانوا كلهم يتعاطون المادة السوداء ذاتها. رأيت صوراً لمزيد من البشر تنمو بداخلهم جذور سوداء، وتدمر عقولهم، وعلى وجوههم أمارات النشوة والألم أحياناً.

رأيت صوراً حية لماريك ستون في ساوث باي. ثم رأيت الجذور التي تشابكت، وتداخلت في متاهة حجرية أسفل قصره العتيق. كانت ليعيليا هناك ترقد في الظلام أسيرة تلك الجذور التي لا تحيا إلا على الأوهام والأفكار، تنمو وتموت في أعماق الرجال البؤساء.

"اهربي يا إيسيا". رأيت الخوف في وجه بوروز.

التفت لأرى سبب خوفه، وكانت المرأة في الرداء القرمزي تقف خلفي مباشرة. برداء من قماش غريب عالي الجودة مؤطر بخيوط ذهبية، وتضع تاجاً شبيهاً بعباد الشمس. كانت أطول مني، بفارق مخيف، واضطرت إلى أن أرفع رأسي حتى أرى بوضوح هيئتها الكاملة.

التقطت الكتاب من يدي، ثم تراجععت. "أنت تلبيّن النداء بالشكل المطلوب". تسلل صوتها في العدم، واخترق أعماقي.

"لماذا تفعلين هذا؟" ضحك حينها، وحولت الكتاب إلى رماد بين أصابعها.

"اهربي، هيا". حاولت الابتعاد عنها، ولحقت ببوروز. ركضنا في متاهة الكتب، لكنها وجدتنا في كل مرة. تطايرت الكتب حولنا، فيما كان الكيان الأحمر الطويل يضحك، كما لو أنه رمانا في قلب المصيدة، ويحاول أن يلهو بخوفنا. افترقنا أنا وبوروز، ووصلت إلى معبر آخر وجزء أكثر عتمة من المكتبة. هناك انتشرت عتبات السلالم الضيقة بين أرفف الكتب، وتكونت أحجية ضخمة على شكل زوبعة، يضيق جوفها أكثر فأكثر.

شعرت بالخوف يملؤني، ما كان أمامي خيار آخر سوى أن أهرب منها، وأهبط في الزوبعة عبر السلم الضيق، إلا أنها كانت تتحرك باستمرار. شعرت بالهلاك يدنو مني، وفقدت كل أمل في العودة إلى عالمي السابق، مع اقتراب الملكة القرمزية، ثم سقطت في هوة الزوبعة، وابتلعني الظلام، ثم تلاشت متاهة الكتب.



"إليسيا". ناداني أحدهم.

أنا على قيد الحياة.

تنفست، ولم أجرو على فتح عيني. شعرت بالراحة وبرودة الهواء. لم أرغب في أن أواجه أي شيء آخر. كان كابوساً. انتهى الآن هذا الخوف. انتهى كل شيء بالنسبة لي. سمعت صوت بكاء بيتر، كان عالياً قريباً مني. لعله أرادني بالقرب منه، لكنه أصغر من أن يفهم من أكون. لكن ماذا لو أنه يشعر بي، يعرفني، يحتاج لأن أكون قريبة منه؟

"إليسيا، أفيقي". طلب مني، أو ربما أمرني هذا الصوت.

بيتر ميت، لم يكن هذا صوت بكائه. ماذا لو أنه جنيني. . . يشعر بالخطر. أنا أيضاً أشعر بالخطر معه تماماً. لا تفتحي عينيك أبداً. دعي هذا الظلام الدائم يُبقيك آمنة. لم أتحرك، لكنني شعرت بخطوات أحدهم تقترب أكثر فأكثر.

"حبيبتي. هل تسمعينني؟"

"نعم". أجبت بصعوبة. فتحت عيني بعد ذلك.

غابت الشمس، والضوء الجانبي كان يلمع على جبين بران. أدركت فجأة كم كان محياه جميلاً. أحببت ملامحه قبل أن أقع في حبه هو. التفث حولي. إنها لا تطاردني. "أين هي؟" قلت. "تلك المرأة. . . ذاك الشيء كان يطاردني. إنها حقيقية".

"أنت بخير". لم يكن هذا صوت براندون.

التفت إلى الجانب الآخر، ورأيت فيلاسكو. لا وجود لـين. هل كشف مارك أمري؟ شعرت بالخزي، لكنه لم يكن غاضباً، ولا حتى بران. عرفت أبعاد حجرتي، ولا أعرف كيف غدت إلى المنزل حتى! حاول بران أن يطمئنني، لكن قلقي كان يزداد.

"ماذا تفعل هنا؟"

"أنا هنا للمساعدة يا سيدة روزوود".

التفت نحو بران: "أنا لا أحتاج إلى مساعدته. لنخرج من هنا فقط. دعنا نرحل، سننام في أي مكان آخر، ونعود لأخذ كل شيء في وقت لاحق".

"سيدة روزوود، أنت تعانين من نوبة هلع".

"هذا ليس هلعاً، لا تعتقد بأنني جاهلة. أنا أيضاً ذكية يا سيد لي". لم تظهر الدهشة على تعابير وجهه، كان يجيد التحكم في نفسه. "حسناً أنت تجيد أداء دورك".

"أنت تهذين". حاول بران إيقافي. "اهدئي فقط".

"يجدر بالدواء الذي حقنتك به أن يبقيك هادئة".

صحت: "بماذا حقنتني؟ أهو الشيء ذاته الذي قاد أتباعك كلهم إلى الموت؟". كاد بران أن يوبخني، لكنني كنت أكثر إصراراً: "ابتعدا عني. كلاكما ابقيا بعيدين عني".

"إننا نحاول المساعدة".

قلت لبران: "إذا كنت تحاول مساعدتي حقاً، فقط ابقَ بعيداً عني. اتركني وحدي الآن". بعد صمت قصير سألته: "أين بن؟"

ظهرت علامات الاستغراب عليه، ثم تحوّل التعجب إلى غضب. "كيف لي أن أعرف أين هو؟ لماذا تسألين عنه حتى؟". هل يتظاهر بالجهل؟ هل عليّ الاعتراف بما حدث؟ كان هناك إحساس غريب في أعماقي. بن كان برفقتي، وهو الآن غير موجود.

"سأرحل". قال فيلاسكو بهدوء. حاول أن يخفي الإهانة المزيفة التي رسمها سريعاً على وجهه. راقبتهما يخرجان معاً، وكنت عاجزة عن استجماع طاقتي، أو حتى تركيزي. راقبث الممر الخارجي، حيث اختفى ظل بران أخيراً، ثم عاد بعد برهة.

"ما الذي تحاولين القيام به؟"

سألته السؤال ذاته: "ما الذي تحاولان القيام به؟"

"نحاول إنقاذك، هل هناك أي خطأ في هذه المسألة؟"

"إنقاذي؟ ومَ تنقذانني؟"

"حين عدنا إلى المنزل، وجدت ملقاة على الأرض. كان هذا آخر ما أنتظره في هذه الأثناء، وحين تستيقظين تعودين لتصرفي بغرابة، وتتفوّهين بأشياء جنونية لا معنى لها. ما الذي تحاولين القيام به تحديداً؟ إرهاب الجميع حتى نضطر إلى الرحيل؟"

"لا أحتاج إلى القيام بهذا، لأنني راحلة سواء معك أو من دونك". دار حول نفسه بغضب. "لا أعلم أي سر يخفيه هؤلاء الأشخاص، لكنني لا أشعر بالأمان. يملؤني الخوف تجاهك، وتجاههم أيضاً".

"أنا؟ تخافين مني أنا؟" أومأَتْ برأسي بوهن مؤكدة ذلك، ثم حاولت استجماع طاقتي للنهوض.

"كل شيء يُدينهم كان بحوزتي". بعجز سرث بخطوات مترنحة بحثاً عن الأشياء التي عثرت عليها في منزل الأخت سيسيليا، لكن الكتاب كان مفقوداً، ومعه هوية مارك فيلاسكو الحقيقية. بحثت عن المفتاح المعدني الذي استخدمته من قبل، ولم أعر عليه.

"عمّ تبحثين، فقط أخبريني؟"

استدرت نحوه، وسألته: "أين أخفيتم كل الحقائق؟ تلك الأدلة كانت هنا. هويته الحقيقية، والكتاب الذي يُعبت كل شيء". رحّث أفكر في حلول أخرى، وتذكرت بن فجأة. "امنحني فرصة أخيرة، وسأثبت لك بأن كل ما خفت منه، كان حقيقياً".

راحت الأوهام تعبث برأسي، والأصوات تعلو.

قبضت على رأسي وأنا أحذر نفسي: "كفّي عن هذا، توقفي الآن". لم أتوقف عن البحث، وكلما واصلت استكشاف المكان، أدركت أن هناك تفاصيل أخرى قد اختفت. الصور التي التقطت لدمية جون.. لم تكن موجودة في حجرة التحميص.

تذكرت تريفور.

سرث نحو باب الشقة، إلا أن بران لحق بي، وحاول أن يعرقل خروجي. "إلى أين أنت ذاهبة؟ لن تخرجي وأنت على هذا الحال". دفعته بعناد، إلا أنه هو من منحني فرصة الخروج، لكنني كنت أضعف من التغلب عليه.

هبطت إلى شقة مارثا، وطرق الباب بعنف.

أجهل التوقيت الآن، أو كم مضى على اقتحامي لشقة فيلاسكو.

سمعت وقع خطوات سريعة، ثم ظهر أمامي السيد فارنوورث. نقل بصره بيننا أنا وبراندون، ثم سألنا وحاول بلطف أن يعرف سبب وجودنا أمامه.

"أين هو؟" سألته، وأنا أحاول التقاط أنفاسي. كان الخوف يشلني.

"من؟"

"تريفور. إنه هنا."

"تريفور؟" ابتسم بتوجس. "لا يوجد أي أحد هنا يدعى تريفور."

"أنت تكذب". أردت أن أدفعه، لكنه منعني، فيما كان بران يجزني إلى الخلف. حذرني بران من أن هذا سيوقعني في مشكلات أكبر.

"توقفي حالا". أمرني بران، ثم ظهرت مارثا من وراء زوجها. رأيت الحذر على وجوه الثلاثة. كان بران معهم أيضاً، غريباً عني، لا يمكنه أن يعق بي، أو بأي كلمة أقولها. "إنها ليست على ما يرام". رمقتني مارثا بنظرة أمومية.

"أين هو تريفور؟"

"لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه". قالت.

"أنت تعرفين".

وجهت حديثها إلى بران: "ما لم تكن زوجتك بخير، فعليك أن

تبقيها في المنزل، أو أن تضعها في أي مكان يناسبها". حاول بران إرغامي على العودة، لكنني كنت مصرة على أن تريفور موجود في تلك الشقة. أمرتني مارثا بغضب: "ارحلي من منزلي حالا".

جرت زوجها، وأغلقت الباب في وجهينا.

"ما تقومين به يُسقى الجنون. لا يوجد أي مسوغات ستعثرين عليها هنا، لأنك تتصرفين بجنون، وكل ما تعتقدينه موجوداً، ليس إلا وهماً في رأسك المريض هذا". تجاوزني بران، وعاد إلى شقتنا. حين تبعته قال من دون أن ينظر إلي: "ستخبر مارثا الجميع بأنك قمت بهذا، وستكونين في نظرهم هيلينا ستون أخرى".

"هيلينا ستون هي أكبر دليل على أن ما أخبرك به حقيقي. فيلاسكو يقتلهم بطريقة ما، ولا أعرف لماذا أقدم على قتل هيلينا، على الرغم من أنها قريبة مالك المبنى. ربما لم توافق تلك العجوز على خطط صديقك المزيف هذا".

"ها أنت تهذين من جديد".

"ما الذي حدث لي؟ كيف عثرت علي؟"

"وجدتك راقدة على أرضية الشقة".

اعترفت بالحقيقة: "هذا كذب، كنت في شقة فيلاسكو. تسلفت إلى هناك بحثاً عن المزيد من الحقائق، وثق تماماً أن هذا المبنى ليس كما يبدو تماماً. إنه متاهة أكبر، وهناك أشياء أخرى خفية في هذا المكان". رمقني باستغراب، لم يصدق ما قلته، أو أنه تعمّد تجاهل هذا.

"لماذا تتجاهلني في كل مرة؟ أنت تتعمد القيام بهذا".

تراجع بضع خطوات، وقبض على رسغي، وحاول جرّي معه إلى المصعد. "ستأتين معي الآن، وستكفين عن هذه الترهات حالا". جرّني معه وهو ما يزال يحاول التظاهر بأنه لا ينتمي إلى كل هذا الخداع. حاولت أن أسحب يدي من قبضته، لكنه كان قوياً.

ضربت صدره، وصرخت: "اتركني". تردد صدى صوتي في ريد ستون كله.

"تحركي". أمرني، وحين قاومته، لكم وجهي فترنحت، وكدت أسقط، لكنه جرّني على الأرض بقوة. "سئمت من جنونك هذا. هل تعتقدين بأنك حقاً بطلة هذه الحكاية؟ هل اعتقدت بأنك دائماً الجانب الصحيح؟ أنت بلا أي قيمة".

فتح باب المصعد، وكاد أن يقذفني بداخله.

لم يكن بران هو من تحدّث معي. تلك ليست كلماته، ولا هذا هو صوته. رفضت الدخول، لكنه دش أصابعه في خصلات شعري، وجرّني بقوة.

رفعت يدي، وحاولت غرس أظفاري في وجنته لكنه تراجع. حاولت النهوض، ودفعته هو إلى الداخل، وحين تقدّم تراجعحت مبتعدة عنه، لكنه تبعني بسرعة، وجرّني لئسقطني أرضاً. سمعت أصواتاً تتردد في كل مكان، لكن أحداً لم يظهر بالقرب مني.

تشبّث به، فسقط معي.

"أفلتني". زمجرث كوحش عاجز.

جَرّني معه إلى شقتنا، وحاولَ أن يقفل الباب، لكن مقاومتي له كانت قوية، وهذا ما منعه من الالتفات إلى الباب الأمامي والتأكد من إغلاقه. دفعني نحو الممر المقابل للمدخل، وكنت ما أزال أحاول استيعاب هذا التحول المفاجئ.

إذا لم أخرج الآن، فأنا لن أخرج إطلاقاً.

لن يحبسني هنا.

رأيت مفتاح سيارتنا على الطاولة الخشبية، وكانت هي أنسب وسيلة للهرب من هنا. تقدّم بران، وحاول أن يقنعني بأن غضبه قد تبدد فجأة. خطفت المفتاح من فوق الطاولة، وما إن دنا مني حتى حاولت ضربة بنصل المفتاح. أصبث وجنته، لكنه تراجع قبل أن تكون الإصابة بليغة.

رأيت الغضب يتجدد في ملامحه.

اندفعت بكل ثقلي وحاولت إسقاطه.

تدحرجنا معاً على الأرض، وحاول أن يطوق عنقي بيده. كانت عيناه تحملان شيئاً أراه للمرة الأولى. "حاولت أن أصنع كل هذه المعجزات من أجل حياتنا معاً، لكنك لا تفهمين هذا إطلاقاً". ضربت أنفه بباطن كفي، وكان هذا كفيلاً بأن يخل بتوازنه. نهضت بسرعة، وقبل أن يستوعب ما حدث له، ركلت وجهه بقوة.

تلوّى في مكانه، فيما ركضت إلى الخارج، ثم اتجهت إلى السلم.

كل ما خطر في ذهني، هو الهرب من ريد ستون من دون عودة.

أردت الخروج من هنا ثم التفكير في أي حل آخر. رأيت ظل بران يلحق بي. كان مجرد طيف رجل يركض على السلم، فيما أنا عاجزة عن حمل نفسي بقوة كافية. قفزت ثلاث درجات تباعاً، وبقيت أقفز على السلم وصولاً إلى البهو.

إخفاقة واحدة كانت ستودي بحياتي، وتوقعني فوق عتبات السلم الحجرية. تمكنت من الوصول، ورأيت وهج الليل الخافت عبر البوابة الكبيرة. هرعت إلى المرآب، وبحثت عن سيارتنا بين السيارات القليلة الموجودة. قذفت نفسي في السيارة، فتلاشت كل الأصوات.

حل صمٹ تام.

تلفٹ حولي، قبل أن أدير المحرك.

لكم بران الزجاج فجأة، ورأيت وجهه الدامي خلف النافذة. فتح الباب، ولكنني حاولت جزه بسرعة، ثم تأكدت من إقفال كل الأبواب.

أدرت المحرك، لكنه ضرب الزجاج بقوة أكبر. حركت السيارة، على الرغم من أنه حاول التثبيت بالمركبة، لكنني تحركت غير آبهة بوجوده حتى وقع على الأرض. تحركت عبر المخرج، وانتظرت البوابة لتفتح، لكنها توقفت فجأة عن الحركة.

رأيت ظل ألكساندر خلف المخرج، وهو يشير إلي حتى أبقى مكاني، لكنني اندفعت واصطدمت بالبوابة، حطمتها، وكدت أدهس ألكساندر، لولا أنه ابتعد بسرعة. خرجت إلى الطريق المقابل لريد ستون، وقدت سيارتي نحو زحام المدينة الصغيرة، ثم قطعت طريقي إلى منزل بن.

تركت المركبة على جانب الطريق، وهرعت إلى الداخل جرياً.

التفت المارة عند الطريق الخارجي إلي، وكان مظهري غريباً بالنسبة إليهم، لكنني لم آبه لذلك. ركضت نحو السلم، ثم صعدت إلى شقة بنجمن. طرقت الباب بغضب وسرعة. ناديته، وتوقعت أن أجده في الداخل. حين فُتح الباب، شعرت ببعض الأمل.

رأيت وجه كاميلا لوكهارت أمامي.

تبددت راحتني.

"ماذا تفعلين هنا؟"

قالت مبتسمة: "كان قدومك متوقعاً".

من ورائي امتدت يد أحدهم. كانت قبضة محكمة، لا تتيح لي فرصة للإفلات. أردت أن أصرخ، قبل أن أرى من هو الشخص الذي يقف خلفي، إلا أن لوكهارت كتمت أنفي بمنديل أبيض. تراخت عضلاتي تدريجياً، ثم تخلّيت عن الواقع بشكل مفاجئ.

إنها أمامي مباشرة. كادت أن تلمس وجهي. بدت يدها آدمية في تلك اللحظة، لكنني ميزت الرداء الأحمر الذي غطى يدها. إنها هنا من أجلي، أو من أجل ما كنت أحمله في أحشائي، لكنني ما كنت سأسمح لها بأن تناله. لن أخسر طفلي.

شعرت بالرطوبة تمتزج بالبرد، وبرائحة الماء المالح، كانت تخترق أنفي. شهقت وأنا أفتح عيني، وأحدق في الظلمة المحيطة بي. حينها رأيت وجهاً آخر غير مألوف. "هل تتذكريني؟ لقد التقينا من قبل." كانت العتمة تمنعني من الرؤية.

التفت حولي، ورأيت ظلاً آخر يجلس على كرسي مجاور لي. خلفه كانت هناك نوافذ من دون دفة مفتوحة على البحر مباشرة، وتظهر منها صور حية ومصغرة للمدينة في الليل. سمعت صوت حركة الأمواج، وميزت المكان حولي فوراً.

"من أنت؟" دنا مني، فانعكس النور الخارجي على وجهه. "جيسون اوزويل؟".

"هذا صحيح. إنهم غاضبون بسببك. . . بسببكما، لكنني أعتقد بأن الأمر ينتهي قريباً". أشار إلى الظل الآخر المجاور لي. "لن يعفوا عنه، لكن بالنسبة إليك أنت، فهم ما يزالون بحاجة إليك". أمعنت النظر في العتمة، ورأيت بن أخيراً مقيداً في كرسي مماثل لكرسيي.

"بن". ناديت بأعلى صوتي. أجفل، وهو يستيقظ من سباته، ثم حاول فك وثاقه.

"إنه عنيد، مثل شقيقته تماماً". كان هذا صوت آخر لا أعرفه، لكنني ميزت صورة وليام فريدريك تخرج من الظلام. "أخبرتهم بأنه علينا أن نتركه يبحث في الأوهام طوال هذه السنوات، لكنك أيضاً ذكية أيتها الفتاة، كنت تعرفين الطريقة الصحيحة للوصول إلى الإجابة".

"لا يوجد طريقة صحيحة، لازاروس هو من أخبرني بكل شيء".

قال: "لازاروس أيضاً غير حقيقي، لقد تلاشى... تبدد".

"بالنسبة لك، لكن وجوده حقيقي بالنسبة لي".

"فك وثاقنا. أنت لا تريد التورط في أمور أكثر تعقيداً يا فريدريك". ضحك وليام، وتحرك إلى جوار اوزويل. "لا يوجد أي سبب يدفعك للقيام بهذا كله".

"المجد وحده سبب بالنسبة لي". أضاف: "إن كانت الخرافة ستعزز السبيل إلى ذلك، فأنا مستعد لصناعة العديد من الخرافات".

"هل ليثيليا خرافة أيضاً؟"

"ماذا كنت تعتقدين؟"

تدخل اوزويل، وقال: "إنها حقيقية".

"يبدو أن سيدك لم يقتنع بذلك".

اعترض اوزويل: "هو ليس سيدي".

"أنا وأنت... كلانا نؤمن بوجود ذاك الكيان وحقيقته. أستطيع أن أقودك إلى الطريقة الصحيحة التي تريك إياها في الواقع. يمكنها أن تلبي لك ما تريد. لكن هذا الرجل...".

"أخربي الآن". أمرني فريدريك، فيما كان ثبات أوزويل يتزعزع.

"لقد قابلت لازاروس، وهو في مكان آخر، صنعتُه له تلك الملكة. لديك فرصة أخرى لتحقيق ما تريد أنت أيضاً". راقبني بن بدهشة، قبل أن يفهم خطتي الحقيقية.

"إن كانت محقة، فعلينا فك وثاقها".

أشار وليام بيده نحوي: "هل تعتقد بأنها ستفعل هذا حقاً؟ إنها كاذبة".

"لا، إيسيا ليست كاذبة". كان هذا هو الصوت الأكثر ألفة بالنسبة لي. سمعت وقع الخطوات من بعيد، ثم ظهر بران أخيراً. "كل ما تعتقده زوجتي العزيزة صحيح. كنت آمل أن أنتظر حتى النهاية، لكنها لم تترك خياراً آخر". اقترب مني، ثم دنا من الكرسي. "لا أعرف مقدار التضحية التي عليّ تقديمها هذه المرة، لكنني أعتقد بأن حياتك وحدها ستكون كافية".

راقبنا بن بصمت. "أنت من قتل بيتر إذاً؟"

ابتسم: "كانت تلك محاولة فاشلة. لم أرغب بوجوده منذ البداية، لكنني أردت أن أقدم هذه التضحية لأي شيطان عابر. تلك الكتب والطلاسم الغريبة لم تنفعني، ولم يتحقق ما أردته". جرّ براندون نفساً بطيئاً، ثم اعترف: "لكن ريد ستون، هو الجنة بالنسبة لي. كل آميأتي قابلة للتحقيق.

"حتى وإن كان الثمن حياتنا أنا والطفل؟"

أوماً بطريقة طفولية. "حتى وإن كان هذا هو مقدار ما عليّ تقديمه من تضحية. قرأت الكثير من الأشياء الغريبة حول هذا المكان، وتمكنت من إقحام نفسي في هذا المجتمع، وها قد نجحت في النهاية. صدقيني يا إيليسيا، لن أقبل بوقوع هذا الخطأ في النهاية".

أطلق أحدهم النار في الخارج، إلا أن الشظية اصطدمت بقوة بالجدار المعدني للمستودع. قفز الجميع في أماكنهم، ثم تراجع بران نحو الظلام من جديد. رأيت ظلال الرجال تخترق المكان، ثم صاح أحدهم: "أي تهور سيقودكم إلى الموت".

لم يكونوا رجال شرطة.

تراجع وليام فريدريك نحو المكتب خلف الواجهة الزجاجية في زاوية المستودع، وضغط على زر ما، فأنيرت الأضواء في المكان.

رأيت الدخلاء، كانوا كالمرتزقة، يتحركون بسرعة، وتوغلوا في الظلال بين الصناديق الضخمة. "رجالي قادمون إلى هنا، وأنصحكم بالرحيل فوراً". كان الرعب يملأ صوت وليام فريدريك. بحث عن بران، لكنه لم يكن موجوداً بالقرب مني.

هو أول من هرب من المكان.

طوّق رجال وليام فريدريك المكان، وحدث تبادل إطلاق نار، وكان صوت الدوي يصم الآذان. ألقي بن بنفسه على الأرض، وحاول أن يحطم الذراع الخشبي للكرسي، ثم جَرَّ يديه. زحف نحوي، لكن جيسون اوزويل أعاق طريقه.

دفع بن، ثم تراجع زاحفاً نحو الكرسي، وسحب الساق الخشبية.

قفز جيسون فوق جسد بن، وأصبح هو المسيطر، لكن بن ضربه بقوة بطرف ساق الكرسي المكسور، وأسقطه أرضاً. راح جيسون يئن وهو يحاول استجماع قوته من جديد. تقدّم بن نحوي، وفكّ وثاقي بسرعة، ثم ساعدني على الحركة.

"ما الذي يحدث الآن؟"

"لا أعلم". أضاف: "علينا إخراج جوليا، لقد رأيثها هنا، في إحدى الحجرات الخارجية. إنها محتجزة في هذا المكان". كان صوت الرصاص يتردد من دون توقف. بحث عن وليام فريدريك، لكنه هو الآخر قد اختفى. خرجنا من المستودع، وركضنا في الميناء المظلم معاً.

قادني بن إلى الجانب الآخر بعيداً عن المخرج. كان المبنى الصغير مضاءً بمصباح داخلي هزيل. رأيت النافذة تُظهر بعض الأثاث، إلا أنني لم أر جوليا بوضوح. حاول أن يفتح الباب، لكنه كان مقفلاً. "تراجعني". أمرني، ثم تراجع عدة خطوات، وحاول أن يركل الباب.

كّرر محاولته مرتين، وفي الثالثة تحطّم قفل الباب.

رأيت جوليا جالسة على كرسيها ذي العجلات. بدت أكثر هدوءاً، كما لو أنها توقعت وصولنا إليها. "عرفت بأنك في مكان ما. لم تكوني مجرد وهم".

دفعت نفسها إلى الأمام وهي تقول: "شيء ما سيحدث في ريدستون".

"لنرحل إذاً". دفعث جوليا إلى الخارج، لكن وليام فريدريك أعاق

طريقها، والسلاح الناري في يده، موجهاً إياه نحو بن مباشرة.
"أعيدوها إلى الداخل".

ظلت يداي تطوقان ذراعي الكرسي الخاص بجوليا. "دعني أرحل من هنا. لن تفرض سلطتك عليّ هذه المرة". أشار وليام بسلاحه، ليظهر إصراره. "أبي... دعني أرحل. أنت لا تدرك عواقب الأمر".

"ماذا؟ هل توقعت بأنني سأؤمن بخرافاتهم. لقد ساعدتهم فقط لأن هذا كان يمنحني السلطة. جنونك وكل الرسومات السخيفة كانت بالنسبة لهم رسالة من عالم آخر. أرادوا تصديق قدراتك، وسمح لهم بالقيام بذلك، لكنني لن أتخلّى عنك الآن".

"أنت لا تفعل هذا حباً بها، إنما تحاول استغلالها".

مدّ يده بعناد نحوي. "كيف تعرفين هذا؟ من تكونين حتى؟"

"لو أن ما تقوله حقيقي، لما لجأت جوليا إلى اسم مزيف".

أيدتني جوليا: "هذا حقيقي. لقد حاولت إثبات جنوني، لكنني لست مجنونة. أنا ووالدتي نستطيع رؤية الأشياء كما هي. أنت فقط من لا يستطيع أن يبصر الحقيقة. أردت أن تحبسني في ريد ستون، حتى أخدم غرضك، وأؤكد لك بأن الجميع يسرون على الدرب الذي حدّثته". دفعت نفسها إلى الأمام، فأفلّثها: "لكن تلك اللعنة حقيقية، ويجب عليّ أن أوقفها".

"لا. لن يخرج أحدكم من هنا".

"أنت تخاطر... وجه وليام سلاحه نحو بن، فساد الصمت، وبدأ

موت الرجل وشيكاً، إلا أن أحدهم خرج من العتمة، وضرب وليام، فأسقطه أرضاً. رأيت كاثرين تقف خلف جسد الرجل الملقى على الأرض.

"علينا أن نخرج من هذا المكان".

سألها بن: "كيف عثرت علينا؟"

"هل توقعت بأنني سأترك هذا الوغد يسبقني بخطوة. عرفت بأنكم في خطر حقيقي، ووصولكم إلى كم الحقائق تلك، سيجعلكم مراقبين من قبلهم". سرنا بسرعة إلى خارج الميناء وصولاً إلى ساحة السيارات. "إن رجالي يقومون بتعطيل حركة رجال وليام، لكن الأمر لن يستمر طويلاً".

"علينا العودة إلى ريد ستون".

بدت الفكرة مخيفة. "سيحدث شيء ما هناك".

"لكن هذه مخاطرة". قلت.

"لنذهب إلى هناك". أمرت كاثرين، ثم أعطت أوامرها إلى قائد المركبة.

حين وصلنا، لم نحاول اختراق المكان من الباب الأمامي، لأن ألكساندر سيكون هناك حتماً. كان مدخل المرآب ما يزال محطماً، ومن الممكن أن نتسلل من خلاله إلى الداخل. حين وصلنا سبقهم إلى البهو، فوجودي لن يكون غريباً.

اختفت علامة اليعسوب من الأرض، وبدلاً منها وجدت فجوة

كبيرة، تُظهر العتمة في عمق الأرض. أشرث إليهم حتى يتقدموا، ثم هبطنا معاً عبر السلم الحجري المؤدي إلى الأسفل. هناك ترددت الترنيمات التي كانت موجودة في تسجيلات لازاروس، والتي كنت أسمعها في شقتي أحياناً.

فتيل ضوء راح ينير الظلام. سرت وحدي قبل الجميع نحو الهوة المضاءة بقنديل، ثم عبرت الممر الحجري على عجلة. كان صوتها يناديني. هي هناك في آخر الممر. الملكة في الرداء القرمزي. حين وصلت إلى القبو الواسع، وجدت متاهة أخرى من الممرات والمداخل، تُنيرها القناديل والشموع المنصهرة.

تبعث صوت النغمات، وراح العالم من حولي يتبدد تدريجياً.

كل شيء حولي عالق في زوبعة من الممرات والحجارة والأرواح المرهقة، التي تبحث عن خلاصها. سمعت أصوات الصراخ والأنين. كانوا أناساً معذبين، لكني لا أعرف من هم هؤلاء. وصلت في النهاية إلى الجزء الأوضح من كل هذا. رأيت نفسي أقف في لونيور من جديد.

فيلاسكو كان يقف في آخر الرواق. كشف عن وجهه من تحت القلنسوة، وترك المشاعل تنير أجزاء كبيرة من وجهه. "كان قدومك متوقعاً هذه المرة أيضاً".

ميّزت وجه براندون، لا أعرف كيف أقنعوه بأن هذا هو الخلاص الوحيد، لكنه الآن على الجانب الآخر، ويصعب عليّ استعادته. فكّرت في خلاصي، وفي احتمالية الوصول إلى هذا الخلاص. أنا هنا، ولا أعرف إن كنت سأخرج، أم لا.

"لم يكن متوقعاً؛ هذا هو اختياري أنا".

امتدت الجذور السوداء في الجدران، وتشبّعت الصدوع بذاك العفن. كانت الطاولة السداسية في منتصف القاعة، والغرباء أصحاب القلنسوات محتشدون حولها. من ورائي ظهرَ بن ومعه كاثرين التي أهالها هذا المنظر. كانت لوحة المرأة في الرداء الأحمر معلقة فوق مذبح حجري صنعوه خصيصاً لها، والقناديل تضيء الخطوط الحمراء النارية التي رُسمت من خلالها تلك اللوحة.

على الأرض كانت هناك زوبعة كبيرة منحوتة بدقة، وعلى جانبيها تحيط بها بعض الرموز التي تكررت في كل رسومات ويلينغ القديمة. "هل تصدق هذا أيضاً يا مارك؟ هل أنت حقاً تريد الإيمان بذاك الشيء الموجود في الخيال فقط، أم أنك تريد أن تضمن ولاء الجميع؟"

خلعوا قلنسواتهم، وتلاشت التهويذة الغريبة.

رأيت مارثا وزوجها. رأيت كاميلا لوكهارت، والعديد من الجيران الذين صادفتهم من دون أن ننطق بكلمة واحدة. كل الوجوه الغريبة التي كرهتُ البقاء معها كانت هناك.

"إليسيا، ما يزال بإمكانك اختيار الجانب الصحيح". حاول براندون

خداعي هذه المرة أيضاً. "أنتِ تملكين بصيرة قوية، وهذا سيخدمنا في نقل الرسائل إلى عالمنا. ستكون فرصتنا في إحياء هذا الكيان أقوى من السابق". لم أكن لأصدق أي شيء يقوله.

تجددت رائحة العفن، حين اقتربث من الطاولة، محاولة اختراق صفوف الغرباء.

رأيت المفتاح المعدني الخاص بلازاروس. كان الأسطرلاب والإطار المعدني ينتصفان الطاولة وسط ساعة فلكية أكبر حجماً. كان الميناء الرقيق مضاءً بفعل النار المحيطة بالطاولة. تفاقم الضوء المنبعث من السطح المعدني، وراح يبدد العالم من حولي، كما لو أنه مفتاح لبوابة ضخمة تنقلنا إلى عالم آخر.

رأيت لونيور مرة أخرى، بشكل أوضح.

"عليكم أن تزيلوا هذا المفتاح، قبل أن تحدث أي كارثة".

لم يكن الأمر بحاجة إلى التوضيح، لأن وجود لونيور هنا هو أمر لحظي، وما إن تخبو النار حتى يزول كل شيء. تساءلت ما إذا كانت هذه حيلة من حيل فيلاسكو، وهو يحاول صنع وهم جماعي أكبر هذه المرة. كان ينجح في صنع الخوف، ورأيت الرهبة تملأ أعين جيراني كلهم.

عددهم كبير، وبعض الوجوه كانت جديدة كلياً.

تساءلت إلى أي مدى قد يتسع هذا المجتمع الوهمي، والذي يتبع خيالاً مخيفاً ينمو في عقولهم فقط. رأيت ضوءاً يلمع من بعيد خلف سماء لونيور الغريبة، لكننا كنا جميعاً هنا نقف على الأرضية الخشبية.

تأججت النار ببطء تحت المفتاح المعدني، ورأيت العلامات تلمع على جسد الملكة ذات الرداء القرمزي. تلك الكلمات مكتوبة بالدماء على الأغلب، لكنها ليست مفهومة.

"هناك، عهد لازاروس المكتوب".

أعلنت كاثارين: "علينا أن ندمر تلك الصورة إذا".

لمعت الخطوط الحمراء في الصورة، والتي كانت مرسومة من العفن ذاته الذي انتشر في كل جدران القبو. رأيت الملكة في رداؤها الأحمر الأنيق تظهر من العدم، ثم تلاشت لوحتها. وقفت أمامي مباشرة، وكانت حينها شيئاً حياً.

"لست حقيقية".

"لا شيء حقيقي هنا". همست، مدت يدها. "رافقيني، قدمي لي دمائك".

راقبونا كلهم. رأيت الشرر يتطاير من عينيها، لكنني كنت أواجه لحظة أخيرة لا رجعة منها. لكمث هذا الشيء الوهمي، فتراجعت من دون أن تصيبها لكماتي. ضربتها بقوة، فتراجعت أكثر، لكن الغرباء طوقوني وأعاقوا حركتي. تقدّم بن في محاولة لإنقاذي، لكنهم أعاقوا حركتنا جميعاً، ثم حاولوا تقييدنا بالقرب من المذبح.

قاومتهم، لكنني عجزت. تمكنت كاثارين من مقاومة قبضتهم، وتقدمت نحو المفتاح المعدني، ثم ركلت الطاولة، فتطاير السائل المشتعل، وعلق في أودية بعض الغرباء، ثم رأيت السنة اللهب تتصاعد. قبض براندون على خنجر معدني وحاول في تلك اللحظة

أن يقتلني، لأنني كنت مقيدة وعاجزة.
"لا". صاح بن.

قلبني على ظهري، وقال: "ما إن تسيل دماؤك هنا حتى ينتهي كل شيء".

رأيت جوليا تزحف عند نهاية الحجرة. كانت عنيدة وقوية رغم كونها عاجزة عن السير. صعدت عتبات المذبح، وحاولت جر براندون بعيداً عني. التفت نحوها، وحين رآها سدّ إليها طعنة في كتفها. صاحت من الألم، فيما كنت أحاول أن أفك وثاقي.
تمددت ألسنة اللهب في كل مكان.

أفلت يديّ، وساعدت بن، فيما كانت جوليا تقاوم براندون. اندفع براندون وبن وسقطا معاً على الأرض. ساعدت جوليا على النهوض، لكن الألم تمكّن منها. تقدمت كائرين نحونا وساعدت جوليا في الانسحاب. احتضنت المرأة وحاولت جرّها نحو الظلام.

أسقط بن الخنجر من يد بران، فالتقطته، واستدرت نحو الصورة الضخمة، وسدّدت لها طعنات مكررة. تلاشت الأبعاد الخيالية للونيور، وكل الهمسات التي ملأت رأسي. "لا". صاح فيلاسكو، ثم هرع نحوي، ثم حاول أن يسحب الخنجر من يدي.

قبضت على السلاح بكلتا يديّ، وحين عاند قلبث النصل باتجاهه، وسددت له طعنة، حتى اختفى النصل كله في أحشائه. جحظت عيناه من الألم. حاول أن يقول شيئاً ما، لكن كلماته غرقت في الدماء التي سالت من فمه. خرّ صريعاً بعد ذلك.

حاولت إزاحة براندون عن يني، لكنه تمكن من دفعي بعيداً عنه، فترنحت فوق عتبات المذبح وسقطت بالقرب من النيران. راحت النيران تنتشر في الأرجاء، فجررت نفسي بسبب الخوف، وحاولت أن أساعد يني مرة أخرى، لكنه تمكن من دفع بران بعيداً عنه أخيراً. كان بران يندفع بعناد نحونا، وفيما كان يحاول الهجوم على يني، سددت له طعنة في ذراعه.

لم أقو على قتله في تلك اللحظة.

منعته صدمة الألم من القيام بأي شيء، فهربنا أنا ويني. "ساعد كاثارين في حمل جوليا إلى الأعلى. يجب علي أن أقوم بشيء ما". ركضت على السلم، وصرخت: "النيران تحرق المبنى عليكم الخروج من هنا".

صعدت إلى شقتنا، وبحثت عن حقيبتني، وكل المتعلقات التي يمكنني حملها في تلك اللحظة. أخذت مالنا من الخزانة، وهويتي أيضاً، ثم رأيت مسودة بران غير المكتملة. إنها آخر شيء يتعلق بالملكة ذات الرداء القرمزي. أخفيها في حقيبتني بسرعة وهممت بالخروج.

انتشرت النيران في البهو ببطء.

ما إن خرجت حتى رأيت بران يحجب عني الممر. كان يترنح، لكنه ما يزال يتمتع ببعض القوة التي أبقتة واقفاً على قدميه. غطت الدماء رداءه الأسود الغريب، والرماد غطى ملامح وجهه. "كل هذا يحدث بسببك أنت". تراجع نحو الباب لكنه انقضّ علي.

"ابتعد عني".

"كانت تلك فرصتي الأخيرة". غرست أصابعي بين عظام كتفه، ودفعني بقوة نحو الجدار الخارجي المجاور لباب الشقة. بيده الدامية طوّق عنقي، فانسابت الدماء على رقبتني وبللت ياقتي. "ما كان عليك أن تفسدي الأمور، كما كنتِ تفعلين كل مرة".

"لقد. . . لقد قتلت ابناً".

"وسأقتلك الآن".

لكمته بعجز، وحاولت أن أبعده عني.

رأيت تريفور يتسلق عتبات السلم. التفت بران نحوه ثم تنهّد بيأس. "هذا ما كان ينقصني في هذه اللحظة". تقدّم الشاب وبمحاولات عاجزة حاول الهجوم على براندون، لكنه كان خائفاً وعاجزاً كطفل عالق في جسد ضخم.

— ابتعد

دفعه بران نحو السلم. اغتنم الفرصة وركلته، وما إن سقط حتى ساعدت تريفور على النهوض، وهبطنا على السلم، لكنه لحق بنا بسرعة، وحاول إيقافني على السلم، لكن تريفور تدخل بيني وبينه وحاول حمايتي من قبضته.

"اتركه". أمرته، ودسست يدي بين قبضته وجسد الصبي.

أفلتته، وجذبتني محاولاً أن يدفعني من فوق الدرابزين. رأيت الغضب في عيني المراهق، وفيما كنت أقاوم قوة بران، دفعه تريفور

نحوي فازداد الحمل عليّ. ركلت ركبة زوجي، فترنّج، استدرث،
ودفعته نحو الدرايزين. تهاوى جسده، ومدّ يده نحوي.
"لا". همس.

"من أجل بيتر". دفعته بقوة، فتدحرج جسده فوق الحاجز
الحديدي، ورأيته يتهاوى نحو النيران التي أحرقت كل شيء في
الأسفل.

ارتطم جسده بالأرض بين ألسنة اللهب، وتأكدت حينها، من أنه لن
يعود مرة أخرى.

قادني تريفور نحو الطابق الأرضي، ولأن النيران كانت قد حجبت
المدخل، فقرر الفتى الغريب أن يصحبني في رحلة عبر متاهة
الممرات الخلفية، التي أفضت بنا في نهاية الأمر إلى الحديقة،
ومن خلال الحديقة، تسلّقنا السور الحجري بصعوبة، وسقطنا على
الرصيف الخارجي.

تحركنا أنا وتريفور معاً بمحاذاة السور، وحين وصلنا إلى الخارج،
وجدنا بن برفقة كاثرين وجوليا الجالسة على الأرض الحجرية، فيمَا
الدماء تنزف من جرحها. توارى تريفور خلفي، حين قابلت هؤلاء
الأشخاص الغرباء عنه. "كيف خرجت من هناك؟" سألتني بن.

"قادني هذا الفتى، نحو طريق سري".

رأيت بعض الأشخاص يخرجون، وثيابهم الغريبة ما تزال تغطيهم.
ركضوا عبر الطريق، ولم يأبهوا لوجودنا هناك. انعكس ضوء النار على
الواجهة الأمامية للمبنى، ثم راحت تتصاعد ببطء، حتى بعد أن

وصلت شاحنات الإطفاء وسيارة الشرطة.

رأيت النيران تحوّل ريد ستون إلى رماد، والجميع عاجزون عن إخماد النيران.

ليثيليا أيضاً كانت تقف خلف الألسنة التي ملأت المدخل. حدقت في، تأملتني والنيران تطوقها، ثم رأيتها تتلاشى كما لو كانت رماداً. أرادت أن تقول لي شيئاً ما، لكنني تجاهلت وجودها، أردت فقط أن أراها تزول. "إنها ليست حقيقية... ليست حقيقية".

رأيت المحقق هولم يظهر بعد ذلك بوقت طويل.

"ها نحن نلتقي من جديد". باخ مظهري بكل شيء. الرماد والدماء التي غطتني، كانت تؤكد له بأنني خرجت من مذبحة حقيقية، وهذه المرة عليه أن يصدقني أنا. أبقىث عيني على المبنى تحت سماء الليل المظلمة، ووحدها النيران كانت تضيء تلك الليلة.

الخاتمة

"كم الجثث التي عثرنا عليها، يجعلنا نواجه مشكلة أكبر، يا سيدة روزوود". فكرت في أن عليّ استعادة لقبى الأصلي، فلقب روزوود، سيظل مرتبطاً ببراندون. "النيران أحرقت كل شيء، ونحن عاجزون عن التعرف على جزء كبير من الجثث، بمن فيهم زوجك".

لن يكون على قيد الحياة. هذا مستحيل.

"لا أكثر لهذا، وحين تجدون جثته، أحرقوها". من المثير للسخرية، أن تحرق جثة بران مرة أخرى، بعد أن ألقيت به بنفسي في النيران. لا أريد أن يكون له قبر، أو ارتباط بحياتي من جديد. طوقت بطني بيدي. كانت هناك كذبات عديدة سأخبر بها طفلي حين يكبر.

ظهر الملل على هولم. "حسناً إن كل الروايات متطابقة حتى الآن. السيد مايرز، والسيدة ماكنيل، وحتى ما قالته كاثرين رودريغيز". جلس أمامي أخيراً، وأضاف: "كل التحقيقات الأولية تشير إلى وجود طائفة ما، أو حركة دينية سرية، إلا أن القبو لم يترك لنا أي شيء يمكن تفسيره. ما الشيء الذي كانوا يتبعونه بالضبط؟".

لا تتحدثي عنها. لا تحييها في خيال أحد.

"لا أعرف. كل ما أعرفه، هو أنهم أرادوا التضحية بي، أو بطفلي القادم".

"سيبقى تريفور فارنوورث في مكان مناسب لرعايته. إنه يعاني اضطرابات عديدة، كما أنه لم يكن سوياً نفسياً".

"هل حققتم معه؟"

أوماً نافياً. "وضعه لا يسمح لنا. يبدو لي بأنه تعرّض إلى العنف من عائلته". نقرّ بإصبعه على الطاولة، ثم أردف: "عثرنا على جثة لازاروس في القبو. كانت مدفونة في مكان ما هناك، مع جثة فتاة أخرى".

قلث: "إنها روزالي مايرز". سألته: "ألم تعثروا على جثة كلارك بوروز؟"

"ما يزال التنقيب مستمراً". كلهم أموات، ولم أقابلهم بالفعل. نجحت آلية فيلاسكو في صنع أبعاد حقيقية، ولعل الوهم قادني إلى رؤيتهم أو مقابلتهم بطريقة ما؛ أو ربما لم يحدث أيّ من هذا في الواقع. "هناك العديد من الجثث التي تعود إلى أوقات مختلفة في القبو. الأمر لا يرتبط بجريمة قتل واحدة".

"أفهم هذا".

قال أخيراً. "هذا كل شيء الآن".

"شكراً لك".

"شكراً لك أنت. لقد استطعت النجاة بالفعل". لم أفهم المغزى من هذا، لكنني تبعته إلى خارج غرفة التحقيق. هناك وجد بن، وأعتقد بأنه عرف شيئاً بشأن شقيقته التي كانت ميتة بالفعل. لم نتحدث عن الأمر. كان بن قلقاً بشأنني.

"هل انتهيت من التحقيق؟"

"انتهيت أخيرًا". سألته "أين هي جوليا؟"

قالت كاثرين: "تتلقى علاجها". عرضت عليّ بعد ذلك: "ستذهبين معي". انتقلنا أنا، هي، وبنجمن إلى منزلها. "استهلك التحقيق ساعات الصباح كلها". أشرقت الشمس في الخارج بالفعل حين خرجنا من مركز الشرطة. "وليام ما يزال على قيد الحياة، لكنه لن يفلت من قبضة الشرطة هذه المرة".

على الأقل هو لا يؤمن بذاك الشيء.

في منزلها منحتني كاثرين منشفة، وعرضت عليّ استخدام حمامها للاستحمام. حين خرجت، وجدت أحد فساتينها الشتوية على السرير في الطابق السفلي. كانت هي وبن حول مائدة الطعام، يترقبان عودتي. بصعوبة تناولت طعامي، فيما كانا يراقبانني. "ستجدين صعوبة في تجاوز المسألة". قال لي بن.

أشارت كاثرين إليه، وقالت: "هذا الرجل محق. ستظل الكوابيس تطاردك، لكنك ستجدين طريقة ما لنسيان الأمر في النهاية".

تجددت ضوضاء ساوث باي في الخارج، لكنها بدت مكاناً أقل وحشة بعد أن احترقت ريد ستون. "أخشى أن يشيد أحدهم ذاك المكان من جديد. أرواح العديد من الأشخاص عالقة هناك". عرفت أن الشرطة كانت تطارد كل الأسماء التي ارتبطت بتلك الطقوس، لكن بعضهم هرب بالفعل.

دنت كاثرين مني، وقالت: "أخشى أن تطاردك هذه المسألة. إذا أردت، يمكنني أن أمنحك حياة أخرى مختلفة. ستكون لك هوية

جديدة، واسم جديد. لن يعرف أحد من تكونين، أو ماذا حل بإليسيا روزوود حتى". أطرقت بصمت، ولم تكن هذه موافقة فعلية، فأنا لست واثقة مما أريده.

"أريد الرحيل من هنا فقط".

سألني بن: "إلى أين ستذهبين؟". فكرت في ماريان. سأذهب إلى هناك.

بعد أن تناولت طعامي، طلبت من بن أن يأخذني إلى سيارة براندون الواقفة أمام منزله. تبعني كاثرين إلى الخارج. "تذكري عرضي، سيكون متاحاً لك في أي وقت. لقد خلصتني من هذا الكابوس اللعين، ولا أصدق بأن المسألة انتهت الآن".

توقفت عند عتبات السلم، وسألتها: "لماذا تطاردينهم؟"

"لأن أجدادي اعتادوا على هذا. أنا أنحدر من عائلة متشددة، وهذه الهرطقة بدأت تخترق المدينة ببطء، وعرف جدي حينها أن شيطاناً ما يولد هنا، وعمل على محاربته طوال هذه السنوات". ابتسمت وهي تقول ساخرة: "لكنك قضيت عليه في النهاية".

"هل انتهت هذه المسألة بشكل نهائي؟".

قالت: "لا أستطيع الجزم".

ودّعها، وسرنا أنا وبن معاً باتجاه منزله. كانت حقيبتي الثقيلة تخفي ما تبقى من أوراق براندون. "ماذا ستفعل الآن؟"

"لا أعلم. سيتعين علي كتابة تقرير مطول جداً عن هذه الحكاية

الغريبة. ستكون ضربة ناجحة بكل تأكيد". سألني هو: "ماذا عنك؟
ماذا ستفعلين؟"

"سأبدأ في مكان آخر".

حين وصلنا إلى واجهة المبنى الذي يقطن فيه، توقفت بالقرب من
السيارة. كان كلانا يحمل شيئاً ليقوله للآخر. "هل سأراك من جديد؟"
"حتماً سنلتقي".

"سأتوقع اتصالاً منك، أينما كنت".

اختلفت زرقة الفجر بالغيوم الداكنة. "شكراً لك. أعني. . . لأنك
على الأقل كنت مؤمناً بي طوال هذا الوقت". رأيته يبتسم أمام
مدخل المبنى. اقتحمت السيارة، فلوح لي من خلف الزجاج. لوحت
له بدوري، ثم انطلقت مبتعدة عن قلب المدينة. بطريقة ما، ظلّ بن
عالقاً في أفكاري، وعرفت بأنني سأتصل به، ما أن أصل إلى وجهتي.
ببطء راحت المدينة تتلاشى ورائي، فيما كنت أقود المركبة بسرعة
جنونية بين أشجار الصنوبر الضخمة.

